أجاثا كريستي

السيد كوين الغامض

The Mysterious Mr Quin

1949 م

تأليف

أجاثا كريستى

دار الخلود
للنشر والتوزيع

اســم الـكـتــاب: السيد كوين الغامض
تــأليــــف: أجاثا كريستى
الناشـــــر: دار الخلود للنشر والتوزيع
رقــم الإيـــداع: 2014 / 2769
الـتـرقـيـم الـدولـى: 5 - 020 - 758 - 977 - 978
الإشـــراف الـعــام: وائـــل سميـــر

٤٢ سوق الكتاب الجديد بالعتبة - القاهرة
محمول: ٠١٢٨١٦٠٧١٨٥ محمول: ٠٠٢٠١٠٦٣٥٣٩٩٠٩
فاكس: ٢٥٠٦٩٥٨٢
E-Mail: DAR_AlKHOLOUD@YAHOO.COM

المشهد الأول
الشك كروز نست

جلس مستر ساتر ثوايت فى شرفة المنزل الصيفى (كروز نست) يراقب مضيفه سير تشارلس كارترايت وهو يجتاز الممشى آتيا من ناحية البحر..!

وكان المنزل أحدث المبانى الواسعة الشرفات مشيدا من الحجر الأبيض الصلد، ولقد اكتسب اسمه من موقعه العالى المطل على ميناء لوماوث.

كان سير تشارلس.. رجلا فى منتصف العمر. متين البنيان. لوحته أشعة الشمس.. يرتدى بنطلونا من الصوف الرمادى.. يعلوه سويتر أبيض.. وكانت مشيته مهتزة قليلا، وكان يضم يديه حين يمشى..

ان تسعة من عشرة أشخاص سيقولون فورا عندما يرونه:

اننا لا نخطئ فى معرفة هذا الطراز.. هو بحار متقاعد.. أما العاشر فسيكون أكثر فطنة.. ولسوف يتردد فى حيرة وهو يقول:

هذا شئ لا يمكن تحديده.. فان هذا الرجل لا يعلن عن حقيقته تماما.. بل ربما تكون صورته أجمل وهو يمثل على خشبة المسرح حين يبدو متهاديا على سطح السفينة، ويداه مضمومتان هكذا.. انها صورة ساحرة.. لبحار انجليزى.. وسيد محترم أيضا..

ويسدل الستار.. ليختفى الكوماندر سير تشارلس كارترايت.. وتخفت الأضواء على خشبة المسرح.. وترتفع موسيقى الأوركسترا بلحن هادئ..

لم يتمالك ساتر ثوايت أن ابتسم للمشهد البهيج الذى مر بمخيلته

وهو يراقب سير تشارلس فى عبوره للمشى..

كان ساتر ثوايت عنصرا هاما فى المسرحية ذاتها لا يسقط اسمه أبدا من قوائم المدعوين للحفلات العائلية والاجتماعية.. كان رجلا لماحا.. له ذكاء خاص فى مراقبة الناس والأشياء.

وتناهت الى سمعه وقع خطوات فى الشرفة، فأدار رأسه للرجل الذى جذب مقعدا ليجلس الى جواره..

كانت مهنة هذا الرجل تبدو واضحة تماما من ملامحه وشعره الرمادى، ووجهه الهادئ الطيب.. كان الدكتور بارثلوميو سترينج رجلا فى منتصف العمر.. ناجحا كل النجاح فى مهنته.. معروفا تمام المعرفة فى حى الأطباء هارلى ستريت اخصائيا فى الأمراض العصبية.. أنعم عليه مؤخرا بنيشان من طبقة الفروسية... انه أزاح مقعده. مقتربا من ساتر ثوايت وهو يقول متطلعا الى القادم: قل لنا نتيجة أفكارك!..

- لم أظن أبدا أن سير تشارلس سيقنع بعزلته بعيدا عن هنا!

- يا الله..! ولا أنا أيضا..!

وضحك الطبيب، ثم استطرد قائلا:

- اننى أعرف تشارلس منذ الصبا.. كنا فى أوكسفورد معا... وكان دائما هو.. هو تشارلس.. ممثل فى حياته أروع منه على خشبة المسرح.. أن تشارلس دائما يمثل.. لا يمكنه العيش بدون تمثيل أنها طبيعة ثانية له.. آه.. هذا هو رجلنا الماهر تشارلس..!

وتوقف الطبيب عن الحديث..! وكانت نظراته تلمع اعجابا وهو يراقب القادم فى أقل من دقيقتين سيكون معهما..

واستمر سير بارثلوميو يقول:

- على أى حال، يبدو أننا قد أخطأنا فى تقديرنا للحياة البسيطة!

- نعم.. نعم.. هو كذلك حقا..!

هرع سير تشارلس كارترايت صاعدا السلالم الى الشرفة.. ثم دخل

الى قاعة الاستقبال ونادى صديقه من النافذة:

- تعال يا توللى. ألا تضيع نصف عمرك هناك فى هارلى ستريت، وأنت تصف لمرضاك جمال الحياة بين أمواج المحيط، وعن فائدة ذلك لهم؟

فأجاب سير بارثلوميو:

- ان أكبر ميزة فى أن تكون طبيبا، هى عدم التزامك بتنفيذ نصائحك الطبية!.. وضحك سير تشارلس.. كان لا يزال يلعب دوره كبحار.. كان جذابا رائع المظهر، متناسق الجسم والقسمات.. بوجه مرح.. وكان يبدو كجنتلمان أولا.. وممثل ثانيا..!

قال الطبيب: هل كنت فى الرحلة وحدك؟..

استدار سير تشارلس ليتناول مشروبه من فتاة تحمل الكؤوس على صحفة قائلا:

- لا.. كانت معى يد أخرى.. أو على الأصح.. هى الفتاة (ايج)!

وكان فى صوته شئ غريب.. شئ جعل مستر ساترثوايت ينظر اليه بحدة..! ثم قال له:

- آه.. مس لايتون جور.. فعلا.. فعلا.. أعتقد أنها تعرف شيئا كثيرا عن البحر.. أليس كذلك..؟

فضحك سير تشارلس بشئ من الخشونة:

- لقد نجحت فى أن تجعلنى أشعر أننى مازلت متكامل الشباب.. وان العمر لم يتقدم بى بعد.. شكرا لها..!

وتزاحمت الأفكار فى رأس ساترثوايت وجعل يفكر. آه. ليج لايتون جور.. يا للعجب!.. ولهذا السبب هو لم يقاس من السن الحرجة... دائما فى هذه الحالة، وفى هذا العمر، تكون هناك فتاة صغيرة السن!

واسترسل سير تشارلس:

- البحر.. لا شئ يضاهيه.. الشمس.. الريح.. وكوخ صغير...!

ونظر حوله بسعادة الى المبنى الأبيض.. الذى يحتوى على ثلاثة حمامات...

مياه باردة وساخنة فى كل غرف النوم.. أحدث وسائل التدفئة والتهوية الكهربائية، ومجموعة من فتيات الخدمة للبار.. رئيس للخدم. فتاة للمطبخ.. مديرة للبيت.

وظهرت امرأة من الداخل.. طويلة.. دميمة..، ولحقت بهم:

- صباح الخير يا مس ميلراى..!

- صباح الخير يا سير تشارلس..

- هذه هى قائمة العشاء.. لا أدرى ان كانت ستعجبك.. أو ترى أن يكون بها أى تعديل..؟

فتناول منها قائمة الطعام وتفحصها مليا ثم قال: هذا رائع يا مس ميلراى. سيكون كل صفى هنا بقطار الرابعة والنصف..!

- لقد أعطيت التعليمات لهولجيت. على فكرة يا سير تشارلس. أرجو أن تغفر لى اننى وجدت من الأفضل أن أتناول عشائى معكم الليلة!

أجفل سير تشارلس.. ولكنه قال فى كرم وترحاب:

- بكل سرور.. أننى متأكد يا مس ميلراى.. ولكن..!

ففسرت مس ميلراى غرضها قائلة:

- ان وجود ثلاثة عشر شخصا على مائدة يدعو الى التشاؤم...!

بدا من لهجتها أنها قد أعتادت ترتيب جلوس مثل هذا العدد كل ليلة، واكمال العدد بشخصها...

استمرت تقول:

- على أى حال لقد تم ترتيب كل شئ.. ولقد أخبرت هولجيت أن السيارة يجب أن تكون فى انتظار ليدى مارى.. وعائلة بابنجتون.. لتقلهم الى هنا.. هل هذا حسن؟.

- تماما.. تماما.. لقد كنت على وشك أن أسألك أن تفعلى ذلك..!

وانسحبت مس ميلراى من الغرفة وهى تبتسم فى ترفع مديرة البيت الواثقة من نفسها..

وعقب سير تشارلس قائلا: هذه امرأة قوية الملاحظة.. اننى أخشى

أنها ستأتى يوما لتنظف لى أسنانى..!

وأضاف سترينج: انها ممتازة فى عملها..!

وقال سير تشارلس:

- انها معى منذ ست سنوات.. أولا كسكرتيرة فى لندن.. وهنا.. أعتقد أنها من نوع نادر لمديرات المنزل، تدير هذا المكان كالساعة.. والآن.. هى على وشك أن تتركنى...! آه انها تقول ان لها أما عاجزة.. أنا شخصيا لا أصدق ذلك.. هذا النوع من النساء لا أمهات لهن على الاطلاق..! لا.. هناك سبب ولا شك..

وقال سير بارثلوميو: من المحتمل أن الناس بدأوا يتكلمون.

وأجفل المضيف صائحا: يتكلمون عن ماذا؟

- يا عزيزى تشارلس.. أنت تعرف جيدا ماذا يعنى الكلام..!

- تعنى الكلام عنها... وعنى..؟ وهى بهذا الوجه.. وهذا السن..؟

- أنها على الأرجح تحت الخمسين..!

- ربما. ولكننى لا أمزح يا توللى هل لاحظت وجهها؟ ان لها عينين. وأنفا. وفما. ولكن؟ هل هذه الأشياء يمكن أن تسمى وجها نسائيا؟

- أننى لا أصدق هذا.. هناك على كل حال شخصية خفية تكمن فى مس ميلراى..

وغير الطبيب مجرى الحديث، قائلا: من سيأتي هذا المساء..؟

- أنجيلا..

- آه.. أنجيلا ساتكليف.. هذا حسن..!

واضطجع ساترثوايت فى مقعده الى الخلف سعيدا ليتعرف على رواد الحفلة..! انجيلا ساتكليف.. ممثلة معروفة.. ليست صغيرة السن.. ولكنها ذائعة الصيت.. لمرحها وجاذبيتها..!

- وهناك أيضا. عائلة داكريس...!

وللمرة الثانية أطرق ساترثوايت مستسلما لأفكاره..! مسز داكريس.. مؤسسة الأزياء الشهيرة.. وزوجها كابتن داكريس.. هذا الرجل المخضرم فى

حلبات السباق.. كانت له حادثة شهيرة فى السباق الكبير.. وكانت هناك بعض المتاعب -لم يعرفها أحد بالضبط.. وكانت هناك بعض التقولات.. ولم يكن هناك شئ محدد بالذات.. الا أن اسم (فريدى داكريس) كان يثير بعض الهمس...

- وهناك أيضا (أنتونى أستور) المؤلفة المسرحية.

فقال ساترثوايت:

- طبعا.. طبعا.. انها ألفت مسرحية (المرور فى اتجاه واحد) اننى شاهدتها مرتين.. وقد أحدثت ضجة كبرى عند عرضها..!

وقال سير تشارلس:

- هذا صحيح.. أننى نسيت حتى اسمها الحقيقى.. أعتقد أنه (وليز) لقد قابلتها مرة واحدة فقط، وانني دعوتها اكراما لخاطر انجيلا.. هذه هى كل مجموعة الحفلة على ما أعتقد..!

وسأله الطبيب: وباقى المدعوين؟..

- آه.. هناك عائلة بانجتون.. وهو قس طبيب.. وزوجته.. هى فى الحقيقة امرأة لطيفة.. تعطينى دروسا فى الفلاحة.. أنهما سيحضران.. وهناك أيضا ليدى مارى وايج.. هذا كل ما هنالك..! آه.. نعم.. نعم.. هناك أيضا شاب صغير يدعى (ماندرز) -انه صحفى.. أو شئ من هذا القبيل.. أنه شاب وسيم.. هذه هى كل المجموعة..!

ولما كان سير بارثلوميو بطبيعته يحب التدقيق، فانه ابتدأ يعد المدعوين:- مس ساتكليف.. واحد - عائلة الداكريس.. -ثلاثة.. أنتونى أستور.. - أربعة -ليدى مارى وابنتها.. - ستة - القس وزوجته.. - ثمانية -الشاب الصغير - تسعة - ونحن.. -اثنا عشر - لابد أنك أو مس ميلراى قد أخطأ فى العدد!

وأجاب سير تشارلس بتأكيد:

- لا يمكن أن تكون المخطئة مس ميلراى.. هذه المرأة لا تخطئ أبدا.. دعنا نرى آه يا الله.. فعلا أنت على صواب.. لقد نسيت أحد الضيوف.. انه سقط سهوا من ذاكرتى..!

وغمز سير تشارلس بعينه قائلا:
- انه أعجب شيطان قابلته فى حياتى...!
فسأله سير بارتلوميو: ومن هو هذا الذى حاز كل هذا الإعجاب.؟
- هو صعلوك. ثم ليس الا صعلوكا لا تخلو منه الحفلات. قطعا. لابد وأن تكون قد سمعت عنه.. انه هركيول بوارو. هو بلجيكى..!
- آه.. البوليس السرى..
وقال سير تشارلس: هو شخصية عجيبة.!
فقال الدكتور بارتلوميو: اننى لم أقابله أبدا.. ولكننى سمعت الكثير عنه.. لقد استقال منذ سنوات، أليس كذلك؟. اننى أرجح أن يكون ما سمعته عنه خرافة.. حسنا يا تشارلس.. أتمنى ألا تكون هناك جريمة فى حفلة نهاية الأسبوع هذه..
- ولماذا.. هل لأنه يوجد بالمنزل بوليس سرى؟.
- هذه مجرد خواطر...
فسأله سير تشارلس: وما هى خواطرك يا دكتور..؟
- ان أحداثا تأتى لبعض الناس طائعة...
ومن هذا النوع.. رجلك هذا (هيركول بوارو) لا حاجة به أبدا للبحث عن جريمة.. ان الجرائم تأتى اليه.. وتبحث عنه...!
وهنا قال مستر ساترثوايت:
- ربما كان من الأفضل أن تنضم الينا مس ميلراى، حتى لا نكون ثلاثة عشر شخصا على العشاء، تفاديا للنحس..!
فأجاب سير تشارلس بمرح:
- حسنا.. ستحصل على جريمتك يا توللى.. اذا ما كنت شغوفا بها الى هذا الحد.. ولكننى أشترط شرطا واحدا فقط..! هو أنه ألا أكون أنا الضحية...!
وتضاحك الرجال الثلاثة.. ودخلوا معا الى المنزل..!

الفصل الثانى
حادث قبل العشاء

كانت المتعة الرئيسية فى حياة مستر ساترثوايت.. هى الناس... والنساء خاصة.. لا الرجال..!

وكان ذلك المساء يجلس فى الغرفة الكبيرة.. موجها أنظاره الى الشرفة التى تبدو مثل (كابينة) فاخرة.. بباخرة تتهادى فى المحيط. وسط الأضواء المتلألئة، وثياب المدعوين اللامعة. كان يستمتع بمشاهدة الظلال التى يعكسها شعر كينيتا داكريس. انها كانت لحنا جديدا قادما رأسا من باريس. اللون البرونزى للشعر. بتصفيفة تدل على خروجها للتو واللحظة من تحت أمهر حلاق فى باريس. لون البشرة الذى لونته ظلال المصيف. وأبرزه الماكياج الرائع. الخطوط والظلال فى العينين والجفنين! وزينة المساء التى تضفى عليها رونقا ساحرا!

وقال مستر ساترثوايت لنفسه، وهو يرمقها بعين الرضاء:

- هذه امرأة ماهرة.. ترى ما هى حقيقتها!

ولكنه اذ ذاك كان يقصد عقلها.. لا جسدها.. أتت كلماتها اليه مطاطة متساوية بأسلوب آخر (موضة) فى الحديث:

- يا عزيزى.. لم يكن هذا ممكنا.. أقصد الأشياء.. أما أن تكون ممكنة.. أو غير ممكنة.. لقد كان بكل بساطة.. شيئا خارقا..!

كانت هذه هى الجملة الجديدة كل شئ كان خارقا..!

وكان سير تشارلس يعد الكوكتيل بنشاط. ويتحدث مع أنجيلا ساتكليف. وهى امرأة رمادية الشعر، لها فم متحفز. وعينان نجلاوان.

وكان داكريس يتحدث مع بارثلوميو سترينج..

- كل واحد يعرف ما هى علة لاديسبورن. ان كل الاسطبل يعرف ذلك..

وكان يتكلم بصوت عال رنان.. انه رجل ثعلبى الوجه، ذو شارب قصير.. وعينان زئبقيتان...

وكانت مس ويلز صاحبة أروع مسرحية ظهرت لسنوات عديدة فى لندن، تجلس بجوار ساترثوايت.. كانت مس ويلز طويلة القامة.. نحيفة.. بذقن مدبب، وشعر أشقر مشعث بغير تنسيق.. وكانت ترتدى ثوبا من الشيفون الأخضر... صوتها عال.. غير مريح..!

كانت تقول: لقد ذهبت الى جنوب فرنسا.. ولكن فى الحقيقة لم أستمتع بها كثيرا...! ليست محببة ولا مرحبة بالغرباء.. ولكنها بالطبع افادتنى كثيرا فى عملى، لأرى مجريات الأمور.. كما تعلمون..

قال مستر ساترثوايت لنفسه: يا للمسكينة.. يا للروح الهائمة.. تقتطع نفسها من الحياة المنزلية.. وتعيش وحيدة فى شقة مفروشة.. فى بورتماوث.. هذا هو المكان الذى تحب هى أن تكون به..!

ولكنه لاحظ أن العينين الزرقاوين اللتين تختفيان وراء النظارة يشعان ذكاء..! وقد تحولتا اليه الآن، وكأن مس ويلز تريد أن تدرسه وتحفظه عن ظهر قلب...

وأخذ سير تشارلس يصب كؤوس الكوكتيل..!

ورفع ساترثوايت كأسه قائلا: دعينى أقدم لك كأسا من الكوكتيل!

- لا بأس.. لا بأس..!

وفتح الباب.. وأعلن تمبل حضور ليدى مارى لايتون جور.. ومستر ومسز بابنجتون.. ومس لايتون...

وقدم ساترثوايت الكوكتيل لمس ويلز، ثم انحنى جانبا لينضم الى ليدى مارى لايتون جور.. فهو يحب ذوى الألقاب، كما يحب المرأة الرقيقة، وكانت ليدى مارى ملائمة تماما من هذه الناحية انها جاءت الى لومادث وهى أرملة فى حالة سيئة ولها طفلة فى الثالثة، وقد أقامت فى كوخ صغير منذ ذلك الحين مع خادمة مخلصة.

كانت امرأة، نحيفة، تبدو أكبر من سن الخامسة والخمسين.. كانت تترك تأثيرا طيبا لدى المحيطين بها.. وكانت تعبد ابنتها.. ولكنها كثيرا ما قاست بسببها..!

ان هرميون لايتون جور كانت تعرف عادة ولأسباب غامضة باسم ايج (البيضة). وكانت قليلة التشابه لوالدتها، اذ كانت موفورة الحيوية!

رأى مستر ساترثوايت أنها شديدة الجاذبية، وأن سر جاذبيتها يكمن فى حيويتها الدافقة..! كانت تبدو وكأنها الحياة الوحيدة التى تنبض فى الحجرة.

وكانت تتكلم مع أوليفر ماندرز الذى وصل لتوه:

- لا أستطيع أن أفكر كيف أن البحر يشدك اليه هكذا..؟

- يا عزيزتى ايج.. الإنسان منا يكبر..

كان شابا وسيما.. فى نحو الخامسة والعشرين.. وسيم المظهر، يخالطه طابع أجنبى.

وكان هناك شخص آخر يراقب أوليفر ماندرز: رجل صغير.. رأسه كالبيضة وله شارب.. يبدو أجنبيا..!

وعندئذ تذكر ساترثوايت مسيو هركيول بوارو..

كان الرجل الصغير بادى المرح، وكأنما يستعرض خصائصه الأجنبية، وكأنما يقول لمستر ساترثوايت:

- حسنا.. أنت تتوقع منى أن أكون مهرجا.. لأمثل لك كوميديا مسلية..! حسنا!

- سأكون عند حسن ظنك!

ولكنه الآن.. لا يبدو مازحا.. ولا تلمع عيناه.. أنه يبدو رصينا، أقرب الى الكآبة...

وأنضم القس (ستيفان بابنجتون) وأعظ لوماوث الى جانب ليدى مارى ومستر ساترثوايت..! كان رجلا فى الستين، تدل عيناه على طيبة القلب، والتفت الى ساترثوايت قائلا:

- اننا سعداء الحظ اذ يعيش سير تشارلس معنا.. أنه دائما الجار الكريم.. الطيب الحبيب.. وأننى متأكد أيضا أن ليدى مارى توافقنى على ذلك..! وابتسمت ليدى مارى..

واستمر قائلا: اننى أحبه كثيرا.. فان نجاحه لم يفسده.. ولم يملأه غرورا.. هو مازال كطفل...

وازدادت ابتسامة ليدى مارى اتساعا..

طافت الوصيفة بصحفة الكوكتيل تقدم الكؤوس..

ورفعت ايج يدها بكأس قائلة:

- يمكنك أن تأخذى واحدا يا ماما.. واحدا فقط..

فأجابتها ليدى مارى برقة: أشكرك يا عزيزتى..

وقال القس بابنجتون: أعتقد أن زوجتى ستسمح لى بأن أتناول كأسا.

وضحك ضحكة رقيقة..!

وحول ساترثوايت نظره الى مسز بابنجتون التى كانت تتحدث مع سير تشارلس فى موضوع السماد:

كانت مسز بابنجتون امرأة كبيرة الحجم.. غير مرتبة الملبس.. كانت تبدو ممتلئة حيوية.. متحررة من كل التزامات الأناقة والتقييد..

وقالت ليدى مارى وهى تميل برأسها:

- أخبرنى.. من تلك السيدة الصغيرة التى كنت تتحدث معها عند

وصولنا؟ تلك التى ترتدى الفستان الأخضر...؟

- آه.. هذه مؤلفة مسرحية.. (أنتونى أستور)!

- ماذا..؟ هذه المرأة الصغيرة الصفراء!. انها لا تبدو مؤلفة... أنها أقرب الى مربية.

كان وصفا مطلقا لما تبدو عليه مس ويلز.. مما جعل ساترثوايت يغرق فى الضحك..!

وكان بابنجتون يتطلع الى الغرفة بنظره القصير... ثم تناول كأسه.. ورشف منه رشفة..! لقد كان غير معتاد على شرب الكوكتيل..؟

كان منظره ممتعا فى رأى ساترثوايت لعله لا يحب هذا الأسلوب العصرى بالنسبة لقس...

وارتشف بابنجتون رشفة أخرى... وشرق... وسرعان ما ارتفعت يد القس الى حلقه..

ارتفع صوت ايج لايتون جور: وهى تتحدث مع أوليفر ماندرز الشاب.

- أوليفر..! أنت أيها الماكر!..

فنظر اليهما ساترثوايت معجبا بشبابهما وحيويتهما..

ثم أفاق من تأملاته على صوت بجانبه.. لقد وقف مستر بابنجتون على قدميه.. وكان يترنح..! واحتقن وجهه..!

وكان صوت ايج واضحا هو الذى لفت كل الأنظار... وأثار الانتباه:

- انظروا!. ان مستر بابنجتون مريض..!

هرع سير بارثلومير وأمسك بالرجل المترنح. وحمله الى أريكة فى جانب من الحجرة. وتجمهر الكل من حوله فى قلق. عاجزين عن المساعدة!

وبعد دقيقتين.. نهض سترينج واقفا.. وهز رأسه فى يأس قائلا: اننى آسف!.. لقد مات!...

الفصل الثالث
تساؤلات سير تشارلس



أطل سير تشارلس برأسه من الباب قائلا: تعال الى هنا يا ساترثوايت..!

وكانت قد مرت ساعة ونصف على الحادث، حتى زال الاضطراب قليلا..! وصحبت ليدى مارى المرأة الباكية (مسز بابنجتون) الى المنزل..

وابدت مس ميلراى كفاءتها المعهودة فى الاتصالات التليفونية، حيث وصل الطبيب.. وأعد عشاء بسيطا يناسب هذا الظرف... وبالطبع، أعتكف ضيوف الحفلة كل فى غرفته.. وكان ساترثوايت يجلس وحيدا مستسلما للتفكير فى التأمل حينما ناداه سير تشارلس من حجرة السفينة، حيث كانت الجثة مسجاة..!

دخل ساترثوايت بشعور خائف وجل.. ورعشة خفيفة.. كان من الكبر بحيث لا يحتمل رؤية منظر جثة أمام عينيه.. وفكر فى نفسه: (ربما كانت هذه الجثة).. ولكن! لم التفكير فى هذا الآن...؟

اننى فى صحة جيدة تمكننى من العيش عشرين سنة أخرى...

وكان الرجل الوحيد من ضيوف الحفلة الموجود بالحجرة هو (بارثلوميو سترينج).

وجلس ساترثوايت فى مقعد وثير بجوار الطبيب، وكأن سير تشارلس يمشى فى الحجرة طولا وعرضا، ناسيا من حومة قلقة وانشغال باله أن يضم يديه ضمتها المعتادة.. وكان فى حالته هذه يبدو بعيدا كل البعد عن مظهر البحار..!

قال بارثلوميو:

- ان تشارلس لا يحب هذا. أقصد وفاة المسكين بابنجتون العجوز!

وقال مستر ساترثوايت: انها لفاجعة مؤلمة...!
فقال الطبيب بلهجته العملية: نعم.. انها مؤلمة..
وتوقفت كارترايت عن المشى قليلا وقال:
- هل رأيت أحدا بمثل هذه السكينة من قبل يا توللى...؟
فأجاب بارثلوميوث:
- أبدا.. أبدا.. لا يمكننى أن أقول أننى رأيت مثل هذا من قبل..
وأضاف بعد برهة: فى الحقيقة اننى لم أشاهد جثثا كثيرة كما تعتقد، فان اخصائى الأعصاب لا يقتل كثيرا من مرضاه..! أنه يتركهم أحياء يرزقون ليأخذ دخله منهم... أننى لا أشك فى أن دكتور ماكدوجال شاهد كثيرا من الجثث أكثر منى..!
وكان دكتور ماكدوجال هو الطبيب الرئيسى فى (لوماوث) والذى استدعته مس ميلراى..! فتنحنح ساترثوايت قائلا:
- هل لى أن أقدم اقتراحا؟.. مستر بابنجتون شعر بالمرض بعد دخوله هذه الحجرة ببضع دقائق.. وفور احتسائه الكوكتيل.. والآن أقول اننى قد لاحظت أن وجهه قد تغير أثناء احتسائه لهذا الكوكتيل.. وتوهمت وقتها أن هذا ناتج عن عدم تعوده لمذاقه.. ولكن..؟ لنفترض أن اقتراح سير بارثلومير من أن مستر بابنجتون قد أراد فعلا الانتحار صحيح. هنا يكون حتى مجرد التفكير فى القتل مهزلة.. وعلى الأرجح. لابد وأن يكون مستر بابنجتون قد ألقى فى كوبه شيئا لم نره نحن!
والآن.. فاننى أرى أن كل شئ مازال كما هو فى هذه الحجرة.. وفى مكانه.. ولم يمس.. كؤوس الكوكتيل كما هى.. فى مكانها، كما كانت قبلا.. وهذه هى كأس مستر بابنجتون -كما أعرف- فاننى كنت جالسا هنا أتحدث معه، واننى أقترح أن يرسل هذا الكأس للتحليل.. وهكذا يمكن فعله فى منتهى الهدوء.. وبلا أدنى ضجة..!
فوقف سير بارثلوميو والتقط الكأس قائلا:

- سأجاريك الى النهاية، واننى أراهنك على عشرة جنيهات لجنيه واحد بأنه لن يوجد شئ فى الكأس الا الجين والفيروموت..!

وقال سير تشارلس: موافق..!

ثم أضاف بابتسامة تنم عن الاعتذار:

- أنت تعلم يا توللى أنك مسئول مسئولية تامة عن تحليق خيالاتى!

- أنا..؟

- نعم أنت.. بحديثك عن الجريمة هذا الصباح.. لقد قلت أن هذا الرجل هركيول بوارو حيثما يذهب تتبعه الجرائم.. وبعد وصوله بقليل حدث عندنا موت مفاجئ غير متوقع.. بالطبع.. لقد اتجهت أفكارى الى القتل فورا..!

قال سير تشارلس كارترايت: نعم.. نعم.. لقد فكرت فى هذا.. هل ترون أنه يمكننا أن نسأله عما يراه فى كل هذا؟. أعنى هل من اللياقة أن نفعل ذلك؟

فغمغم ساترثوايت: آه.. كلا حسنا..!

وقبل أن يعرب بارثلميو عن رأيه سمعت نقرة خفيفة على الباب.. وظهر وجه (هركيول بوارو) تلوح عليه امارات الاعتذار..

هب سير تشارلس واقفا وهو يهتف:

- ادخل يا رجل!. لقد كنا الآن نتكلم عنك..

- اننى أعتقد باننى ربما أكون متطفلا..

- لا شئ من هذا.. هل لك فى شراب..!

- لا شكرا. لقد قاطعت شرب الويسكى. كوب من العصير يكفى.

ولكن العصير لم يكن فى قائمة مشروبات سير تشارلس.. وعندما استقر ضيفه فى مقعده، طرق الممثل الموضوع فورا فقال:

- اننى لن ألف وأدور.. فاننا كنا الآن نتكلم عنك (يا مسيو بوارو)، وعما حدث فى هذه الليلة.. أنظر.. هل تعتقد أن هناك خطأ ما..؟

وارتفع حاجبا بوارو وهو يقول: خطأ.. ماذا تقصد بهذا الخطأ..؟

وقال بارثلوميو سترينج: عند صديقى فكرة بأن بابنجتون العجوز قد قتل..

- وأنت؟. هل تعتقد ذلك أيضا..؟ أننا نريد اعتقادك أنت..؟

فقال بوارو مفكرا: لقد شعر بالمرض وفجأة.. فجأة جدا هكذا!

وأوضح ساترثوايت فكرة الانتحار.. والاقتراح الخاص بتحليل كأس الكوكتيل. وأطرق بوارو موافقا قائلا:

- هذا فى اعتقادى لا ضرر منه.. وبالحكم على طبيعة الانسان.. فاننى أرى أنه لا يوجد أحد يريد الاضرار بذلك العجوز البشوش الطيب.. ومع أننى لا أميل كثيرا الى مسألة الانتحار هذه.. فإن كأس الكوكتيل ستخبرنا عن هذه الطريقة.. أو الاخرى...

- ونتيجة التحليل.. ماذا تظن أنها ستكون..؟

وهز بوارو كتفيه..!

- أنا.. اننى أستطيع فقط أن أخمن.. هل تسألنى أن أخمن.. ماذا تكون نتيجة التحليل.. نعم.

- اذن أنا أخمن بأنهم سيجدون فقط بقايا مارتينى جيد..

وأومأ برأسه الى سير تشارلس قائلا:

- لكى يوضع السم لرجل فى كأس الكوكتيل، حيث تمتد الأيدى الكثيرة للكؤوس العديدة المتراصة فى الصينية.. فى الحقيقة أنه وضع فى غاية الصعوبة.. واذا ما كان ذلك القس العجوز قد صمم على الانتحار فأعتقد أنه ما كان يفعل ذلك فى حفل.. أن هذا العمل ينقصه الفطنة والمراعاة للآخرين وقد استرعى انتباهى اننى وجدت أن مسز بابنجتون امرأة شديدة الفطنة..

وأطرق قليلا.. ثم استطرد:

- هذا ولأنكم قد سألتمونى.. ما هو رأيى..

كانت هناك لحظة سكون، تنهد بعدها سير تشارلس.. وذهب.. وفتح احدى النوافذ، وألقى ببصره الى الخارج!

قال: الريح تدور وتلف..!

هكذا بدا لعين ساترثوايت التى كانت تراقب ما يدور ان سير تشارلس قد عاد الى تمثيل شخصية البحار مرة أخرى..



الفصل الرابع
فتاة عصرية

ـ وأنت يا مستر ساترثوايت.. ما هو رأيك فيما حدث؟..
تلفت مستر ساترثوايت هنا وهناك..! لم يكن حوله أى مجال للهرب.. لقد حاصرته ايج لايتون كور بلا رحمة ولا هوادة..

قال أخيرا: اذن لقد وضع سير تشارلس هذه الفكرة و رأسك..؟

- أبدا.. انها كانت موجودة فعلا.. انها هناك منذ البداية.. لقد كانت مفاجأة مرعبة..!

- كان القس رجلا مسنا.. وصحته لم تكن على ما يرام..

فقاطعته ايج بقولها: كل هذا ترهات.. لم يكن يشكو الا من تعب فى الأعصاب وآلام الروماتيزم والنقرس.. وهذه ليست بالأمراض التى تجعلك تسقط أرضا.. انه من ذلك الطراز الهادئ الذى يعيش طويلا.. ما رأيك فى نتيجة التحقيق؟.

- ان كل شئ عاديا تماما..

- ما رأيك فى شهادة دكتور ماكدوجال؟. هذه الشهادة الفنية الصرفة.. ألم تلفت نظرك تلك الكلمات المقنعة بقناع غامض؟. كل ما قاله لم يزد عن أن الموت لم يكن ناتجا من أى حالة غير طبيعية.. ألا ترين أنك قلقة قليلا يا عزيزتى..؟

- الحقيقة اننى وجدته متحفظا فى شهادته الطبية.. ما هو رأى الدكتور بارثلوميو فى ذلك؟

فكرر ساترثوايت ما قاله طبيب الأعصاب.
وقالت ايج وهى غارقة فى التفكير:
- انه بالطبع رجل حريص كطبيب أعصاب كبير!..
فكرر ساترثوايت رأيه قائلا:
- لم يكن فى كأس الكوكتيل الا الجين والفورمون..
- ها هو شئ قاله لك سير بارثلوميو..؟
ان كلامهما أثار فضول ساترثوايت هنا.. بينما أجابت:
- لا.. لا لم يقله لى، ولكن لأوليفر.. أوليفر.. أوليفرماندرز.. انه كان مدعوا للعشاء هذه الليلة.. ربما لا تتذكره..؟
- نعم.. اننى أتذكره جيدا.. هل هو صديق حميم لك..!
وفى حديثه مع ليدى مارى تكلما عن سير تشارلس، فسألته أن كان يعرفه جيدا..
فأجابها بأنه ليس صديقا حميما له، بل كانت له معاملات مالية معه فى احدى مسرحياته منذ سنوات، وهكذا أصبحا صديقين منذ ذلك الحين..
فقالت ليدى مارى باسمة: ان له جاذبية شديدة.. اننى شعرت بها تماما كما شعرت بها ايج..! أعتقد أن ايج تعانى كثيرا مما يسمونه عبادة الأبطال..
ثم قالت وهى تتنهد:
- ان ايج لم تر من العالم الا قليلا.. اننا نقاسى كثيرا من الفقر.. من الصعب عليها أن تبعد عنا.. باستثناء المناسبات الخاصة..!
اننى أشعر أن الشباب يجب أن يروا كثيرا من الناس والأماكن.. وخاصة الناس..! ولو أنه فى بعض الأحيان يكون القرب منهم شيئا خطيرا للغاية..!
ووافق ساترثوايت على قولها، وهو يفكر فى سير تشارلس ورحلته البحرية.. ولكن هذا لم يكن فى ذهن ليدى مارى عندما كانت تقول هذا.. وقد ظهر ذلك عندما قالت:
- ان حضور سير تشارلس قد فعل كثيرا لايج.. لقد اتسع أفقها.. أنت

ترى أنه لا يوجد هنا الا قليل من الشباب.. وخاصة الرجال.. أننى كنت أتخوف دائما من أن تتزوج ايج أى واحد تصادفه. ولا ترى سواه.

وبلمحة سريعة الى ما تعنيه، قال ساترثوايت:

- أتفكرين فى الشاب (أوليفر ماندرز)..؟

احمر وجه ليدى مارى فى دهشة صادقة قالت: أوه مستر ساترثوايت..؟ لا أدرى كيف عرفت..؟ لقد كنت أفكر فيه فعلا.. انه وايج كانا معا لوقت طويل.. وأنا أعرف بأننى من طراز قديم.. ولكننى لم أحب بعض أفكاره..!

قال ساترثوايت: للشباب طيشة!

فهزت ليدى مارى رأسها...!

- لقد كنت شديدة الخوف.. بالطبع هو مناسب تماما، واعرف كل شئ عنه، وعن عمه الذى أخذه أخيرا الى مؤسسته.. انه شديد الثراء.. ليس هذا ما أفكر فيه.. انه سخف منى.. ولكن..!

شعر مستر ساترثوايت بفضول شديد.. وقال لها بهدوء واخلاص:

- الكل سواء يا ليدى مارى.. ولكنك لا تريدين بالطبع لابنتك أن تتزوج رجلا فى ضعف عمرها...!

ودهش لاجابتها: ان هذا يكون أكثر أمانا.. اذا فعلت ذلك على الأقل، فان خطايا مثل هذا الرجل تكون خلفه.. لا أمامه..!

وعندما عاد ساترثوايت الى (كروز نست) وجد مضيفه جالسا فى الشرفة، ملقيا أبصاره عبر البحر..

- أهلا يا ساترثوايت! هل تناولت الشاى مع أسرة لايتون كور..؟

- نعم.. هل يضيرك هذا..؟

- بالطبع لا.. لقد طلبتنى ايج تليفونيا.. انها فتاة من طراز فريد..

وقال مستر ساترثوايت: وجذابة...!

- أعتقد أنها كذلك..

ووقف.. وخطا بعض الخطوات على غير هدى.. وقال فجأة بمرارة:

كنت أتمنى من الله.. لو لم آت أبدا الى هذا المكان اللعين!..

الفصل الخامس
هروب من سيدة . . !

قال ساترثوايت لنفسه: ان الفتاة أثرت تأثيرا سيئا فى مضيفنا المسكين!.

شعر بعطف فجائى تجاه مضيفه. فى سن الثانية والخمسين (تشارلس كارترايت) الرجل الفاتن اللطيف محطم القلوب، وقع فى الحب! انه يتوقع له الخيبة المريرة! نعم، فان الشباب يلتف حول الشباب!

ومضى ساترثوايت يناجى نفسه:

ان الفتيات لا يحملن قلوبهن فى أيديهن..! ان ايج تتباهى بمشاعرها نحو سير تشارلس، ولكنها فى الحقيقة ان كانت تعنى أحدا.. فهو الفتى ماندرز..!

وتطلع عليه تفكيره تليفون من ايج بعد العشاء تطلب الاذن باصطحاب أوليفر ماندرز (للتشاور)..

قال (ماندرز) لسير تشارلس: ألا تحاول اقناعها يا سيدى؟.. انها هذه الحياة الطلقة المتحررة التى تعيشها هى التى تجعلها هكذا شديدة الحيوية.. أنت تعرفين يا ايج انك فى الحقيقة نشيطة بشكل مخيف.. ونزواتك طفولية الجريمة.. الاثارة.. وكل هذا الكلام الفارغ!..

- أنت متشكك يا ماندرز...!

- حسنا يا سير تشارلس.. فى الحقيقة هو هذا يا سيدى... بخصوص العجوز المسكين.. انه لمن السخرية أن نفكر فى شئ غير أنه مات بحالة طبيعية..!

فقال سير تشارلس: اننى أعتقد أنك على صواب..

أجفل ساترثوايت.. ونظر اليه.. أى دور كان يمثله سير تشارلس هذه الليلة.. لا دور البحار.. ولا مفتش البوليس السرى.. لا.. هذا شئ جديد.. ودور غير مألوف..!

وكانت صدمة لمستر ساترثوايت عندما فهم طبيعة هذا الدور.. ان سير تشارلس كان يمثل دور البطل..! البطل لأوليفر ماندرز..

ومال ساترثوايت الى الخلف يراقب الاثنين..

ايج وأوليفر.. كانا يتجادلان.. ايج بحرارة.. واوليفر بفتور... وبدا سير تشارلس متقدما فى السن على غير عادته. مسنا متعبا.. أكثر من مرة استعطفته ايج بحرارة.. ولكنه ضن عليها بالرد..

وكانت الساعة الحادية عشرة عندما غادرا المكان ورافقهما سير تشارلس الى الشرفة، وعرض عليهما بطاريته ليساعدهما فى عبور الممر.. ولكن لم تكن بهما حاجة اليه، لأن الليلة كانت مقمرة... وسمعت أصواتهما من بعيد وهى تختفى..!

وعاد ساترثوايت الى غرفة الباخرة، أما سير تشارلس فقد بقى فى الشرفة لفترة أطول.. ثم دخل وأغلق النافذة وراءه، واستدار الى المائدة الجانبية ليفرغ لنفسه كأسا من الويسكى بالصودا...

قال:ساترثوايت.. اننى سأغادر هذا المكان غدا..

هتف ساترثوايت مذهولا: ماذا..؟

بدا سير تشارلس سعيدا للتأثير الذى أحدثه تصريحه المفاجئ فى نفس ساترثوايت..

قال بنبرات واضحة، وكأنه يكتبها بالخط العريض:

- اننى سأبيع هذا المكان. ان ما يعنيه بالنسبة لى، لن يعرفه أحد.

وكان صوته بطيئا مؤثرا..

بعد ليلة كان فيها سير تشارلس العازف الثانى بدأ غروره يتصدع. هذا ولا شك المشهد الدرامى للتخلى عن المحبوبة...

المشهد الدرامى الذى كثيرا ما قام بتمثيله على خشبة المسرح... يترك الفتاة التى يحبها، ليعطيها زوجة لرجل آخر...

وكان فى صوته رنة كلها شجاعة، وهو يقول متحفزا للخروج.

- لابد من تقليل الخسائر.. انها الطريقة الوحيدة.. الشباب للشباب... لقد خلقا لبعضهما. هذان الاثنان!..

قال ساترثوايت: والى أين..؟

وفى حركة لامبالية أجاب الممثل: إلى أى مكان.. فهذا لا يهم..

وأضاف بتغيير طفيف فى صوته: على الأرجح... مونت كارلو..!

ثم أردف بشئ من السخرية: فى قلب الصحراء.. فى قلب الزحام.. هذا لا يهم... ان أعمق شئ فى الانسان هو الوحدة... اننى كنت دائما.. روحا وحيدة!

كانت هذه العبارة أقرب الى الحملة الختامية على المسرح قبيل انسحاب الممثل!..

هرب ساترثوايت بنفسه من هذا الجو الى جو آخر... هبط الى الرصيف يسير بلا هدف، عندما شعر بمن يمسك ذراعه من الخلف.. واستدار ليواجه فتاة شاحبة الوجه...

استفسرت ايج بانفعال عنيف: ما هذا؟..

- ان الكل يرددون أن سير تشارلس سيغادر هذا المكان، وأنه سوف يبيع المنزل!..

- هذا صحيح...

- هل سيذهب..؟

- بل ذهب..!

صرخت ايج متأوهة وهى تضغط على ذراعه وفجأة بدت كطفلة صغيرة عوملت بقسوة..

ولم يدر ساترثوايت ماذا يقول.. وبعد برهة قالت: أين ذهب..؟

- الى جنوب فرنسا..

- أوه..!

وظل لا يدرى ما يقوله.. لقد كان واضحا ان هناك شيئا أكبر من عبادة البطولة...

وواساها ببضع كلمات رقيقة، عندما أفزعته وهى تصرخ ثانيا:

- أية فاجرة منهن...؟

ونظر اليها ساترثوايت بدهشة فاغرا فاه..

وامسكت ايج بذراعه ثانية وهى تهزه بعنف وقسوة وتصرخ قائلة:

- لابد وأنك تعرف! أى واحدة؟ ذات الشعر الأبيض. أو الأخرى.؟

- يا عزيزتى.. اننى لا أدرى عمن تتكلمين..!

- أنت تعرف.. ويجب أن تعرف.. بالطبع أنها احدى النساء.. انه يحبنى.. يحبنى أعرف انه يحبنى أنا...! واحدة من هؤلاء النسوة قد رأتنى.. وقررت ان تبعده عنى.. اننى أكره النساء.. أكرهن.. كالقطط القذرة!.. هل رأيت ملابسها ذات الشعر الأخضر.. لقد جعلتنى أصر على أسنانى حسدا.. امرأة لها مثل هذه الملابس.. انها مدمرة.. انها عجوز وبشعة كالخطيئة.. لقد جعلتنى كل واحدة منهما أبدو بجانبها وكأننى زوجة قس بالية..! هل هى..! أو تلك الأخرى ذات الشعر الأبيض؟... كان يدعوها (انجى)! لا يمكن أبدا أن تكون هذه التى تشبه الكرنبة..! هل هى الرشيقة.. أم انها انجى؟

- يا عزيزتى.. انك اخترت فى عقلك أفكارا غير عادية.. ان سير تشارلس كارترايت لا تعجبه أية واحدة من هؤلاء النسوة...!

- اننى لا أصدقك.. على أى حال.. هن معجبات به..

- لا.. لا. انك مخطئة.. ما كل هذه الا خيالات..

فقالت ايج:

- فاجرات... ما هن الا كذلك..!

- لا يجب أن تستعملى هذا اللفظ يا عزيزتى...

- بل يمكن أن أفكر فى كلمات أحط من الكلمة..!

- ممكن.. ممكن.. ولكننى أتوسل اليك ألا تفعلى.. أؤكد لك أنك تتكلمين من خلف قناع من الوهم..!

- اذن.. لماذا ذهب هكذا؟. لماذا..؟

ابتلع ساترثوايت ريقه.. ثم قال:

- اننى أتخيل.. أنه قد وجد أن هذا هو الأفضل..!

تفرست فيه ايج بحدة: أتعنى أنه فعل هذا بسببى؟.

- حسن.. ربما شئ من هذا القبيل..!

- آه!. وهكذا وضع حدا للمسألة. الحيرة اننى أظهرت له قليلا من الميل! ان الرجال يكرهون المطاردة.. أليسوا كذلك؟. بعد كل هذا فان امى على حق.. أنك لا تتصور كم هى ممتعة عندما تتكلم عن الرجال..

ان الرجل يكره من يطارده.. يجب على الفتاة أن تجعل الرجل هو الذى يجرى وراءها.. ألا تعتقد أنه تعبير لطيف؟. يبدأ الجرى.. وهذا هو ما فعله سير تشارلس ولكن بطريقة عكسية... هرب منى.. انه خائف.. والمصيبة اننى لا أقدر أن أجرى وراءه.. أعتقد اننى اذا فعلت هذا، فسوف يستقل سفينة لتذهب به الى مكان بعيد...

قال مستر ساترثوايت:

- يا الله.. هل أنت جادة فى شعورك نحو سير تشارلس؟.

رمقته الفتاة بنفاذ صبر: بالطبع.. اننى كذلك..!

- وماذا عن أوليفر ماندرز..؟

استبعدت ايج أوليفر ماندرز بهزة من رأسها تدل على الملل...

قالت بعد أن استسلمت لخواطرها برهة: هل تظن اننى يجب أن أكتب إليه، لا شئ يضايق الرجل أكثر من فتاة تطارده، تدس أنفها فى شئونه! وفى مثل حالته، فان هذا سوف يزعجه!

وأطرقت قليلا.. ثم عادت تقول:

- كم كنت بلهاء!.. ان الامهات يتصرفن أفضل منى.. انهن يعرفن كيف يتقن اللعب.. اننى كنت دائما مخطئة... كنت أظن أننى أمنحه بعض التشجيع انه فعلا كان يحتاج الى شئ من المساعدة..

واستدارت بانفعال نحو ساترثوايت قائلة: أخبرنى.. هل هو فعلا قد رآنى وأنا أؤدى تمثيليتى فى تقبيل أوليفر فى الليلة الماضية..؟

- هذا شئ لم أكن أعرفه!..

- ان هذا حدث فى ضوء القمر. فحينما كنا نهبط الى الممر معا فكرت فيه أن تشارلس مازال مطلا من الشرفة! خطر لى أنه رآنى أنا وأوليفر، فقد يثيره هذا قليلا.. لأنه يحبنى... اننى أقسم أنه يحبنى.!

- ألم يكن هذا شيئا قاسيا على أوليفر...!

هزت ايج رأسها بعزم قائلة:

- ليس هذا.. ان أوليفر يعتقد أنه شرف كبير لأية فتاة أن يقبلها..! اننى فقط أردت أن أثير غيرة سير تشارلس.. ولكن الانسان لا يمكنه أن يفكر فى كل شئ.. انه مختلف تماما...!

قال ساترثوايت:

- يا طفلتى العزيزة.. أعتقد أنك فهمت سبب ذهاب سير تشارلس هكذا فجأة.. أنه أعتقد أنك تهتمين بأوليفر.. لقد ذهب بعيدا.. ليجنب نفسه مزيدا من الألم...!

ترنحت ايج.. وأمسكت بكتفى ساترثوايت.. وصرخت وهى تحدق فى عينيه:

- هل هذا حقيقى..؟ هل هذه هى الحقيقة؟.. أو اه!.

وتركت كتفه فجأة..! ثم أسرعت الى جانبه وراحت تهزه فى انفعال قائلة: اذن سيعود ثانية.. انه سوف يعود.. واذا لم يفعل..؟

- اذا لم يفعل..؟

وضحكت ايج..!

- سأعيده بكيفية ما.. وسوف ترى اذا لم أفعل...!

المشهد الثانى اليقين
سير تشارلس يتسلم خطابا



نزل ساترثوايت الى (مونت كارلو) و كانت الريفيرا وخاصة في شهر سبتمبر هى متعته الخاصة..!
كان يجلس في الحديقة.. مستمتعا بأشعة الشمس.. ويقرأ نسخة من جريدة (الديل ميل) يرجع تاريخها الى يومين سابقين...

وفجأة استرعى انتباهه اسم (سترينج) وطالع النبذة التالية:
نأسف اذ نعلن وفاة (سير بارثلومير سترينج) اخصائى الأعصاب الكبير.. وكان سير بارثلومير يقيم حفلا لبعض الأصدقاء فى منزله بيوركشير.. وكان سير بارثلومير فى هذا الحفل فى صحة تامة وروح عالية.. وحدثت الوفاة فجأة فى نهاية العشاء.. فلقد كان يتسامر مع أصدقائه، ويشرب كأسا من نبيذ (البورت) ثم انتابته نوبة مفاجئة.. وتوفى قبل أن يتمكن الطب من انقاذه...!
وتلا ذلك وصف لشخصية سير بارثلومير وعمله.. الخ..!
ترك ساترثوايت الجريدة تفلت من بين أصابعه.. فلقد تأثر تأثرا شديدا.. حيث كان طيف الطبيب يتراءى أمامه، كبيرا، عظيما، وفى

حالة مشرفة.. والآن.. هو ميت..!

وتطايرت بعض الكلمات فى ذهن ساترثوايت..!

يشرب كأسا من نبيذ (بورت) نوبة مفاجأة.. توفى قبل أن يتمكن الطب من انقاذه..! بورت.. وليس كوكتيل..!

تذكر تلك الوفاة التى حدثت فى كورنوول.. وتراءى أمام عينيه ثانية وجه القس العجوز الطيب..

لنفترض أنه بعد كل هذا...

ورفع نظره. ليجد سير تشارلس يسير فوق الحشائش قادما نحوه.

- ساترثوايت..؟ بعد كل هذا..؟ عجيب..! هو الرجل الذى كنت أود أن أراه..! هل رأيت ما حدث للمسكين (توللى)...

- كنت أقرأ عنه فى التو واللحظة..!

وجذب سير تشارلس مقعدا ليجلس الى جواره..!

كان يرتدى بدلة اليخت الناصعة.، كان صورة لرجال اليخوت فى جنوب فرنسا..

- اصغ الى يا ساترثوايت.. لقد كان توللى سليما معافى كالجرس الرنان.. لم يكن به أى شئ.. ألا تذكرك هذه الأحداث بالـ..!

- بتلك الأحداث فى لوماوث..! نعم انها كذلك.. ولكن بالطبع.. قد نكون مخطئين.. وربما كانت المشابهة سطحية.. زد على ذلك أن الموت المفاجئ يقع فى كل وقت...! مع تغير الحالات..!

أطرق سير تشارلس برأسه فى نفاذ صبر:

- لقد تسلمت الآن فقط خطابا من ايج لايتون كور..!

أخفى مستر ساترثوايت ابتسامته وقال:

- الخطاب الأول.. الذى تسلمته منها...؟

لم يتوقع سير تشارلس هذا. ولكنه أجاب:

- لا.. لقد وصلنى منها خطاب بعد وصولى الى هنا بقليل.. كان يتضمن بعض الأخبار فقط، ولم أرد عليه...

أترك هذا كله الآن يا ساترثوايت..! اننى فى الحقيقة لم أجرؤ على الرد عليها.. بالطبع.. ليس عند الفتاة أية فكرة.. وانى لا أريد أن أجعل من نفسى ملهاة..!

وضع ساترثوايت يده على فمه لإخفاء تلك الابتسامة التى مازالت تتراقص على شفتيه.. وسأله: والخطاب الثانى..؟

- آه.. انه شئ مختلف.. هو استنجاد..

وارتفع حاجبا ساترثوايت قائلا: استنجاد...؟

- انها كانت هناك كما تعلم فى ذلك المنزل.. عندما حدث هذا..!

- أتعنى.. انها كانت مع سير بارثلومير سترينج فى وقت وفاته؟.

- نعم..

- وماذا تقول هى فى ذلك..؟

أخرج سير تشارلس خطابا من جيبه.. وتردد قليلا.. ثم قدمه لساترثوايت قائلا: الأفضل أن تقرأه أنت..

فتح مستر ساترثوايت الرسالة بفضول شديد وقرأ ما يلى:

عزيزى سير تشارلس:

لا أدرى متى سيصلك هذا.. اننى فى منتهى الحيرة.. لا أعرف ماذا أفعل.. لابد انك قرأت فى الجرائد كما أتوقع خبر موت سير بارثلومير سترينج.. لقد مات بنفس الطريقة التى كان بها موت مستر بابنجتون أنها أبدا لا تكون مصادفة.. أبدا لا تكون.. أبدا.. اننى منزعجة من هذه الوفاة...!

انظر.. ألا يمكنك أن تأتى الى هنا وتفعل شيئا؟. قد يبدو أن هذا فيه انزعاج لك.. ولكنك أنت. كانت لك شبهات وشكوك من قبل...ولم يستمع اليك أحد.. والآن هو صديقك الخاص الذى قتل! وربما اذا لم تأت أنت... فلن

يتمكن أحد من أن يجد الحقيقة.. اننى متأكدة من أنك ستقدر.. ستقدر!

وهناك شئ آخر.. اننى منزعجة تماما من ناحية شخص معين.. انه لا صلة له اطلاقا بهذا الأمر.. ولكن كل شئ يبدو غريبا.. آه.. لا يمكننى أن أفسر ذلك فى خطاب.. ولكن.. هل ستحضر.. صديقتك المتلهفة (ايج)

قال سير تشارلس متبرما: خطاب غير متماسك قليلا بالطبع.. لقد كتبته على عجل.. ولكن ما رأيك فيه..؟

أطبق مستر ساترثوايت الخطاب على مهل لكى يمهل لنفسه دقيقة أو دقيقتين قبل أن يجيب..

ووافق على أن الخطاب غير متماسك.. ولكنه يعتقد أنه لم يكتب على عجل.. كان من وجهة نظره شيئا معدا بإتقان.. كان القصد منه إثارة حمية سير تشارلس.. وشهامته.. وروحه الرياضية..!

ان ما كان يعرفه ساترثوايت عن سير تشارلس جعله يوقن أن هذا الخطاب يعتبر بمثابة استدراج له...

وسأله ساترثوايت: من تعتقد هذا الذى تقول عنه. انه شخص معين؟

- أعتقد أنه (ماندرز)..

- اذن.. هل كان هناك...

- لابد وأنه كان..!

- لا أدرى لماذا..؟ فان توللى لم يقابله أبدا الا فى هذه المناسبة التى كانت فى منزلى... ما الذى جعله يدعوه؟.. اننى لا أتصور هذا..!

- هل كان معتادا اقامة مثل هذه الحفلات المنزلية الكبيرة...؟

- ثلاث أو أربع مرات كل عام.. ودائما حفلة لمناسبة (سانت ليجر)..!

- وهل يقضى وقتا طويلا فى يوركشير..؟

- عنده مصحة كبيرة. وبيت للتمريض أو سمه ما شئت. لقد اشترى (أبى ميلفورت) انه مكان قديم جدا. وبنى المصحة فوق أرضه المتسعة.

- آه...!

وظل ساترثوايت صامتا دقيقة أو اثنين، ثم قال:

- من يا ترى كان هناك أيضا فى الحفل؟

اقترح سير تشارلس البحث فى احدى الجرائد القديمة.. ومضيا فى تصفحها..!

وصاح سير تشارلس: ها هو المطلوب!..

وقرأ بصوت عال: يقوم سير بارثلومير سترينج حفله المنزلى المعتاد (لسانت ليجر) ومن بين المدعويين لورد وليدى ايدن.. ليدى لايتون كور.. سير جوكلين وليدى كامبل.. كابتن ومسز داكريس.. ومس انجيلا ساتكليف الممثلة المعروفة..

تطلع الاثنان احدهما الى الآخر..

ثم قال سير تشارلس:

أسرة داكريس.. انجيلا ساتكليف.. لا شئ عن أوليفر ماندرز..!

فقال ساترثوايت:

- لننتظر ملحق اليوم من الديلى ميل.. لابد وأن يكون به شئ..!

وأخذ سير تشارلس بالجريدة يتصفحها.. وصرخ فجأة:

- يا آلهى يا ساترثوايت.. اصغ الى هذا..

فى التحقيق الرسمى الذى تم بشأن وفاة سير بارثلومير سترينج. كان القرار النهائى لسبب الوفاة هو سم النيكوتين.. ولم يتضح وجود أى دليل عن كيف أو بواسطة من قدم هذا السم..!

- سم النيكوتين.. يبدو أنه سم خفيف.. ليس هذا من النوع الذى يجعل الرجل يسقط ميتا...! اننى لا أفهم كل هذا..!

- وماذا تنوى أن تفعل..؟

- أفعل!. سأذهب لأحجز مكانا فى قطار النوم الأزرق هذه الليلة..!

قال ساترثوايت: حسناً جدا.. وأنا سأفعل ذلك أيضا..!
دار سير تشارلس حوله فى دهشة: أنت..؟
قال ساترثوايت بتواضع: هذا النوع هو من الأشياء التى أهتم بها..! ان لدى خبرة قليله به. وبجانب هذا. فاننى أعرف رئيس الشرطة فى تلك المنطقة.. الكولونيل جونسون.. وسيكون نافعا لنا..
فصاح تشارلس: أيها الرجل الطيب.. دعنا نسرع الى مكاتب الحجز فورا..!
وناجى ساترثوايت نفسه: لقد فعلتها الفتاة.. لقد أعادته ثانية. لقد قالت أنها ستفعل. ترى الى أى حد كان كل ما تضمنه خطابها صادقا؟
من المحقق أن أيج لايتون كور فتاة نهازة للفرص..!
وبعد أن ذهب سير تشارلس الى مكاتب حجز تذاكر اليوم بالسكة الحديد أخذ ساترثوايت يتجول فى الحدائق.. وكان ذهنه مازال مشغولا.. بمتعة.. فى مشكلة (ايج لايتون كور) وكان معجبا بقوتها المسيرة، ولو أنه بطبيعته كرجل لم يكن يحبذ أن يخطو الجنس اللطيف الخطوة الأولى فى شئون العاطفة...
وكان ساترثوايت رجلا لماحا.. وعلى الرغم من تفكيره فى الجنس اللطيف بصفة عامة، وفى ايج بصفة خاصة، فانه لم يتمالك أن قال لنفسه: والآن.. أين يا ترى رأيت مثل هذا الرأس من قبل...؟
وكان صاحب الرأس يجلس أمامه.. على مقعد..! والى جانبه كانت تقف طفلة انجليزية متذمرة.. تارة تقف على قدم واحدة... وتارة أخرى على القدم الثانية.. وفى كل حركة كانت ترفس أحجار السور...
قالت لها أمها التى كانت غارقة فى صفحات جريدة قديمة:
- لا تفعلى ذلك يا حبيبتى..
فأجابت الطفلة: ليس لدى شئ أفعله..

وأدار الرجل القصير راسه لينظر اليها! وفي الحال عرفه ساترثوايت.
قال له: مسيو بوارو.. هذه مفاجأة سارة..!
ووقف مسيو بوارو وأحنى رأسه...!
- تشرفنا يا سيدى...
وصافح كل منهما الآخر..!
وجلس ساترثوايت.. فقال بوارو: يبدو أن كل شخص موجود هنا فى مونت كارلو.. لم أمش سوى نصف ساعة فقط، حتى قابلت سير تشارلس كارترايت.. والآن.. أنت..!
- وسير تشارلس هنا أيضا؟
- انه هنا، يعيش فى اليخت...! لقد باع منزله فى لوماوث...!
- آه... لا..! لم أعرف ذلك.. هذا مدهش.
- مع ذلك ولا أظن أن كارترايت من هذا النوع الذى يجب أن يعيش دائما منقطعا عن العالم..!
- آه.. لا.. اننى اوافقك على هذا.. ولكننى مندهش لسبب آخر..! ايه.. ألست محقا فى ذلك؟. هذه الأنسة.. الفاتنة مس ايج..؟
ولمعت عيناه برقة...!
- أوه.. وأنت أيضا لاحظت ذلك...؟
- بالتأكيد لاحظت.. ان لى قلبا حساسا يشعر بالمحبين...!
وتنهد بوارو.
فقال ساترثوايت: أظن أنك فعلا قد أصبت الهدف فى معرفة سبب نزوح سير تشارلس من لوماوث، لقد هرب...!
- من مدموازيل ايج.. كان واضحا تماما انه يعبدها عبادة... فلماذا اذن الهرب...؟
قال ساترثوايت: آه.. أنت لا تقدر أن تفهم عقدتنا السكسونية..
وكان مسيو بوارو يتابع تفكيره الخاص!

فقال: بالطبع انها حركة بارعة.. اهرب من السيدة، تتبعك فى الحال... لا شك أن سير تشارلس رجل مجرب.. وله خبرة طويلة...

بدا أن ساترثوايت استهواه هذا الكلام..

ثم قال: لا أعتقد أنه كان يقصد ذلك! قل لى. ماذا تفعل أنت هنا؟ هل هى أجازة...؟

- ان كل وقتى أجازات فى هذه الأيام.. اننى فى حياتى.. وأنا غنى.. وقد اعتزلت العمل... وأسافر لأرى العالم..!

قال ساترثوايت: رائع..!

- أليس كذلك..؟

وعندئذ سمعت الطفلة الانجليزية وهى تصيح:

- ماما!.. أليس هناك أى شئ أفعله..!

واقتربت منها الأم قائلة: يا حبيبتى.. أليس من الممتع أننا سافرنا الى هنا فى الخارج.. وتمتعى بأشعة الشمس الجميلة..؟

- نعم.. ولكن لا يوجد أى شئ أفعله..!

- اجرى هنا.. وهناك.. متعى نفسك باللعب.. اذهبى وانظرى الى البحر وظهرت فجأة طفلة فرنسية تقول:

- ماما.. تعالى.. العبى معى...!

ورفعت أمها رأسها من كتاب تقرأه قائلة:

- سلى نفسك باللعب بالكرة التى معك يا مارسيل..؟

فأطاعت الطفلة.. وضمت الكرة الى صدرها بوجه عابس.. وهنا. قال هركول بوارو ووجهه ينم عن تعبيرات عجيبة:

- اننى أيضا.. أسلى نفسى..!

وصمت برهة ثم عاد وقال: أنت ترى.. اننى كنت صبيا فقيرا.. كنا كثيرين.. ولابد أن نعيش..! ودخلت خدمة البوليس.. واشتغلت بجد.. وببطء تفوقت فى هذا العمل... وابتدأت أكون اسما لنفسى... وبدأت

أنال شهرة عالمية.. وأخيرا! كان على أن اعتزل.. ثم جاءت الحرب.. وجرحت.. وجئت جريحا محزونا الى انجلترا.. وقامت بتمريضى سيدة طيبة.. وتوفيت.. لم تكن وفاتها طبيعية بل قتلت...!

حسنا..! اننى جندت كل ذكائى للعمل واستعنت بالخلايا السمراء فى مخى.. واكتشفت القاتل..!

ووجدت أننى لم أنته بعد... فى الحقيقة كنت أقوى مما مضى..! ثم ابتدأت الخط الثانى من حياتى.. مخبرا سريا خصوصيا فى انجلترا...! وقد حللت كثيرا من المشاكل المستعصية العويصة... آه يا سيدى..! اننى عشت حياتى..! ان سيكولوجية الطبيعة البشرية لهى شئ رائع. رائع! ثم أصبحت غنيا. غنيا جدا! فى يوم ما قلت لنفسى:

سيكون لى كل المال الذى احتاجه.. وسأحقق احلامى..

ووضع بوارو يده على ركبة ساترثوايت قائلا:

- يا صديقى.. احذر عندما تتحقق أحلامك!..

هذه الطفلة بجوارنا.. لاشك فى أنها أيضا قد حلمت بالسفر الى الخارج.. وبأن كل شئ سيكون مختلفا...! أتفهم...؟

قال ساترثوايت: اننى أفهم...! أنت تتمتع بحياتك كما يجب...

فأطرق بوارو قائلا: تماما.. تماما...!

ومرت لحظات.. بدا فيها ساترثوايت مترددا..!

ولم يلبث أن فتح الجريدة التى كانت بيده.. ثم.. أشار بإصبعه الى الفقرة التى كان يعنيها..!

- هل رأيت هذا يا مسيو بوارو..؟

تناول البلجيكى القصير الجريدة.. وراقبه ساترثوايت وهو يقرأ.. ولم يظهر أى تعبير على وجهه.. ولكن الرجل الانجليزى شعر بأن جسده تصلب كما يفعل الكلب الصغير عندما يشم جحر فيران.

وقرأ هروكيول بوارو الفقرة مرتين.. ثم أطبق الجريدة.. واستدار

الى ساترثوايت قائلا: هذا شئ ممتع للغاية..!

- نعم.. انه يبدو كذلك.. لقد كان سير تشارلس على صواب.. ونحن على خطأ..!

قال بوارو: نعم.. نعم.. يبدو أننا كنا مخطئين.. اعترف يا صديقى اننى ربما كنت مخطئا.. ولكن أنظر الى هذه الوفاة الأخرى.. انها قد تكون مصادفة..! أنا هيركول بوارو قد عرفت مصادفات مذهلة...

واطرق هنيهة.. ثم مضى يقول:

- ربما تكون غريزة سير تشارلس صادقة.. انه فنان.. حساس.. يتأثر.. ويشعر بالأشياء والأحـداث.. أكثر من قدرته على تحليلها.. ومنهج كهذا فى الحياة.. غالبا ما يكون كارثة، ولو أنه أحيانا قد يكون له تبريره..! ترى أن سير تشارلس الآن...؟

وابتسم ساترثوايت: بامكانى أن أقول لك.. انه الآن فى مكتب شركة عربات النوم.. اننا سنعود الى انجلترا هذه الليلة..!

- آه... آه..!

كانت نبراته تنم عن التعجب.. ولمعت عيناه وهو يقول:

- يا لنشاط عزيزنا سير تشارلس.. اذن لقد رأى أن يمثل دورا.. هل هو دور رجل البوليس الهاوى..! أم أن هناك سببا آخر..؟ لم يجب ساترثوايت. ولكن بدا من سكوته أن بوارو قد استنتج الاجابة!

قال: اننى أرى أن عينى الآنسة ايج اللامعتين. لهما دخل كبير فى هذا..! ليست الجريمة فقط.. هى التى تناديه...!

قال ساترثوايت: لقد كتبت اليه ترجوه العودة...

أطرق بوارو قائلا: اننى أتعجب الآن.. اننى لم أفهم تماما..

فقاطعه ساترثوايت قائلا:

- أنت لا تفهم الفتاة الانجليزية العصرية.. لا تدهش.. اننى أنا نفسى لا أفهمها دائما.. ان فتاة مثل ايج لايتون كور..

وفى هذه المرة قاطعه بوارو قائلا:

- أرجو المعذرة.. انك لم تفهمني.. أننى أفهم ايج لايتون كور جيدا.. لقد قابلت مثلها كثيرا.. أنت تدعوه الطراز العصرى.. ولكن ماذا أقول... اسميه الطبقة البشرية على مدى العمر...

شعر ساترثوايت بصدمة يسيرة لإحساسه بأنه هو وحده الذى يفهم ايج أن هذا الأجنبى الغريب لا يمكن أن يعرف شيئا عن طبيعة الفتاة الانجليزية...

وكان بوارو مازال يتكلم بنبرة حالمة متأملة:

- ان معرفة طبيعة الانسان هى أخطر شئ يمكن أن يكون..

- وانفع شئ أيضا...

- ربما.. المسألة وجهة نظر...

- حسنا..!

بدا ساترثوايت مترددا.. ثم وقف وهو يشعر بشئ من خيبة الأمل لقد وضع الطعم.. ولكن السمكة لم تظهر.. شعر أن معرفته الخاصة بالطبيعة الإنسانية كانت خاطئة..

- أتمنى لك أجازة سعيدة..!

ومد يده ببطاقة قائلا: اننى أتمنى أن تأتى لرؤيتى عند قدومك الى لندن فى المرة التالية، هذا هو عنوانى..!

- هذا تلطف منك يا مستر ساترثوايت.. سأكون سعيدا..

- اذن الى اللقاء فى الوقت الحاضر..

- الى اللقاء.. ورحلة سعيدة..

وابتعد ساترثوايت فتبعه بوارو بنظراته برهة، ثم حول نظره عنه فجأة.. وتطلع الى البحر الأبيض..

وجلس هكذا نحو عشر دقائق على الأقل.

وعادت الطفلة الإنجليزية الى الظهور:

- ماما.. لقد نظرت الى البحر.. ماذا أفعل بعد ذلك..؟

تنهد بوارو قائلا: انه سؤال وجيه..!
ونهض واقفا.. وسار ببطء فى اتجاه مكاتب عربات النوم.

الفصل الثانى
الساقى المفقود



كان سير تشارلس ومستر ساترثوايت يجلسان فى مكتب الكولونيل جونسون.. كان رئيس الشرطة رجلا أحمر الوجه جهورى الصوت كثير الحفاوة. وقد رحب كثيرا بساترثوايت.. وأظهر سعادته التامة بمعرفة سير تشارلس كارترايت الذائع الصيت:

- ان زوجتى من عشاق المسرح.. وأنا شخصيا أحب المسرحية الجيدة..

فشكره سير تشارلس.

وعندما طرق موضوع الزيارة، أبدى جونسون استعداده لكى يخبرهما بكل ما يعرفه... قال:

- تقولان أنه صديق لكما؟. هذا شئ سيء للغاية.. نعم.. لقد كانت له شعبية كبيرة فى هذه المنطقة.. كانت مصحته من الطراز الأول، وقمة فى مهنته... كان عطوفا كريما، محبوبا من الجميع.. كان آخر رجل فى العالم يتوقع له القتل...! والوفاة كما بدت، لا شئ فيها يدل على

الانتحار...! كما أن وقوع حادثة بعيد عن الاحتمال؟

فقال سير تشارلس: اننى وساترثوايت وصلنا لتونا من الخارج... فقط رأينا فقرات فى الجرائد هنا.. وهناك..!

- وبالطبع، تريدان معرفة كل شئ عنه! سأخبركما بمجريات الأمور تماما. أظن أن الساقى والرجل الذى علينا أن نبحث عنه رجل جديد. أحضره سير بارثلومير منذ أسبوعين فقط وقد أختفى عقب الجريمة. اختفى تماما. وتبخر فى الهواء. هذا يبدو مريبا! أليس كذلك؟

- أليست لديك فكرة الى أين ذهب..؟

فزادت حمرة وجه الضابط وهو يقول:

- سوف تظنان أنه اهمال من ناحيتنا.. أننى أعترف بهذا.. طبيعى أنه يبدو كذلك.. كان هذا الشخص تحت المراقبة كان واحد آخر.. وأجاب على أسئلتنا اجابة مرضية.. وأحالنا الى (وكالة لندن) التى ألحقته بالعمل فى هذا المكان.. وكان مخدومه السابق هو سير هوارس بيل! وكان يتكلم بهدوء. بلا أثر للرعب! والنقطة الثانية هى أنه ذهب! وكان المنزل موضوعا تحت المراقبة!.. اننى شددت على رجالى، ولكنهم أقسموا أنهم لم يغمضوا أعينهم فى الحراسة... فقال ساترثوايت

- شئ جميل.

فقال سير تشارلس مفكرا:

- انه يبدو أبله اذ يفعل ذلك بنفسه.. كان يعرف انه غير مشتبه فى أمره.. وباختفائه هكذا أثار الانتباه اليه..

- تماما.. لقد أبرقنا السير هوارس بالطبع.. نشرت.. انها فقط مسألة أيام قليلة قبل أن يقبض عليه..

فقال سير تشارلس: هذا غريب جدا... اننى لا أفهم الموقف...

- .. السبب واضح تماما.. لقد فقد أعصابه.. وذهب فجأة...!

- أليس الرجل الذى لديه أعصاب لكى يقتل، له أيضا أعصاب ما يجعله يبقى بعد ذلك..!

- هذه مسألة تقديرية... اننى أعرف معظم المجرمين خوافون جبناء... لقد ظن أنه مشتبه فى أمره، فهرب...

- وهل بحثت عن صدق أقواله..؟

- طبيعى يا سير تشارلس.. هذا أبسط اجراء روتينى.. لقد ايدت وكالة لندن قصته.. وكان معه توصية حارة خاصة من سير هوارس بيل مخدومه السابق.. وسير هوارس نفسه فى شرق أفريقيا..!

- اذن.. ربما تكون التوصية مزورة..!

فقال الكولونيل جونسون بطريقة المدرس الذى يهنئ تلميذا ذكيا:

- تماما.. لقد أبرقنا الى سير هوارس بالطبع.. ولكنه سيمضى وقتا ليس بالقليل حتى يصلنا الرد..

- ومتى اختفى الرجل..!

- فى الصباح التالى للوفاة.. لقد كان هناك طبيب بين المدعوين هو (سير جوسيلين تشامبل) المختص بعلم السموم.. وقد فهمت انه هو ودافيز.. (طبيب من البلدة) قد قررا حالة الوفاة.. ومن ثم استدعى رجالنا على الفور.. وقد أخذنا أقوال كل شخص فى تلك الليلة.. وايليس الساقى ذهب الى غرفته كالعادة.. وفى الصباح لم يكن موجودا..! انه لم ينم فى الغرفة..

- تسلل خارجا تحت جنح الظلام...؟

- يبدو كذلك.. ان احدى السيدات المدعوات مس ساتكيف -الممثلة- ربما تعرفها...؟

- نعم.. معرفة جيدة..

- ان مس ساتكليف اشارت الى أن الرجل ربما غادر المنزل من خلال ممر سرى. هذا يشبه ما فى روايات ادجار والاس ولكن يبدو أن

هذا الممر موجود فعلا. أن سير بارثلومير نفسه كان فخورا به. لقد أراه لمس ساتكليف. كانت نهايته عند مبنى متهدم يبعد حوالى نصف ميل.

فقال سير تشارلس: هذا تفسير ممكن بالتأكيد.. هل كان الساقى يعرف بوجود مثل هذا الممر...؟

- ان زوجتى دائما تقول.. ان الخدم يعرفون كل شئ.. ان مارى على حق..

فقال مستر ساترثوايت: أنا أفهم أن السم كان النيكوتين..؟

- هذا حقيقى.. هو مادة غير مألوفة للاستعمال.. وأعتقد أنه شئ نادر نسبيا.. اننى أفهم أنه اذا كان الرجل مدخنا كما كان الدكتور، فإن هذا يفضى الى تعقيد الأمور.. اعنى أنه كان من الممكن أن يموت من سم النيكوتين بطريقة طبيعية.. فقط بالطبع أن هذا الحادث وقع بصورة مفاجئة جدا..

- وكيف أعطى له السم..؟

فأجاب الكولونيل جونسون:

اننا لم نعرف.. وهذا هو الناحية الضعيفة فى القضية.. وطبقا للشهادة الطبية، فان المادة ابتلعت قبل الوفاة بدقائق قليلة..

- انهم كانوا يشربون نبيذ (البورت)؟.

- تماما.. ويبدو أن المادة كانت فى النبيذ. ولكنها لم تكن نبيذا فلقد حللنا كأسه.. ولم يكن بها الا البورت فقط.. وباقى كؤوس الخمر كانت قد رفعت.. ولكنها كانت كلها موضوعة فى صينية فى المطبخ بدون غسل، ولم تحتوى واحدة منها على شئ غير عادى.. أما بخصوص ما أكله.. فهو نفس الطعام الذى أكل منه الكل... وكان طباخه يعمل عنده خمسة عشر عاما.. وهكذا يبدو أنه مازال فى معدته.. هذه معضلة عويصة.

فاستدار سير تشارلس نحو ساترثوايت وقال بانفعال: تماما..

والتفت معتذرا لرئيس الشرطة قائلا:

- يجب أن أوضح ذلك.. لقد حدثت وفاة فى منزلى فى كورنوول..!

فبدا الاهتمام على الكولونيل جونسون وقال:

- أعتقد أننى سمعت ذلك من سيدة شابة.. مس لايتون كور..

- نعم.. لقد كانت هناك.. هل أخبرتك عن ذلك؟.

- نعم.. أنها كانت مصممة على رأيها.. ولكنك تعرف يا سير تشارلس اننى لا أصدق شيئا كهذا.. أنه لا يفسر هروب الساقى.ان الساقى عندك لم يختف بأى حال..!

- لم يكن عندى ساقى...! بل وصيفة...

- ألا يمكن أن يكون رجلا متنكرا..؟

ابتسم سير تشارلس وذهب به الفكر الى الوصيفة الجميلة تمبل ذات الأنوثة الواضحة.. وابتسم أيضا الكولونيل جونسون معتذرا وقال:

- هى مجرد فكرة.. لا.. لا أقول أننى علقت أهمية على رأى مس لايتون كور.. اننى أفهم أن الوفاة المشار اليها كانت وفاة قس متقدم فى السن.. ومن ذا الذى يريد أن يزيح قسا عجوزا من الطريق..؟

قال سير تشارلس: هذه هى النقطة المحيرة فى الأمر...!

- أعتقد أنك ستجد انها مجرد مصادفة.. ثق ان الساقى هو الرجل الذى نريده.. محتمل جدا أنه مجرم معتاد.. ولسوء الحظ لم نجد أبدا بصمات أصابعه.. لقد أحضرنا خبيرا فى البصمات.. بحث عنها فى حجرة نومه. وفى المطبخ ولكننا لم نوفق..!

- إذا كان الفاعل هو الساقى.. فأى دافع له يمكن أن تفكر فيه؟

قال الكولونيل جونسون:

- هذا فى الحقيقة أحد الصعوبات.. ربما جاء الى هناك وهو يقصد السرقة.. وربما ضبطه سير بارثلومير وفضح أمره.

لزم كل من سير تشارلس ومستر ساترثوايت الصمت مجاملة للضابط.. وبدا أن كولونيل جونسون نفسه قد شعر بأن الاقتراح يفتقر الى المنطق...

فقال: الحقيقة هى أنه لا يمكن لانسان الا أن يتخيل. لكن اذا قبضنا على (جون ايليس) وعرفنا من هو، وما اذا كان قد وقع فى أيدينا من قبل، ففى هذه الحالة سيكون الباعث واضحا كالنهار..!

- أعتقد أنكم قد بحثتم فى أوراق سير بارثلومير...!

- طبعا يا سير تشارلس.. لقد أعطينا هذا الجانب اهتماما كبيرا.. ويجب أن أقدم لك المفتش (كروسفيلد) المسئول عن هذه القضية.. انه رجل واقعى تماما.. انني المحت له الى هذا.. فاقرنى على رأيى فى أن مهنة سير بارثلومير ربما يكون لها ضلع كبير فى الجريمة.. فان الطبيب يعرف أسرارا مهنية كثيرة... وجدنا كل أوراق سير بارثلومير مرتبة بعناية فائقة فى ملفاتها، وقد راجعت مس لايندون سكرتيرة سير بارثلومير هذه الملفات مع كروسفيلد.

- ولم يكن بها شئ؟.

- لا شئ بتاتا له دلالة يا سير تشارلس..!

- ألم يفقد شئ من المنزل. فضيات مجوهرات. أى شئ من هذا القبيل؟

- لا شئ من هذا بتاتا..

- من بالضبط كان موجودا بالمنزل وقت وقوع الجريمة..؟

- لقد أحضرت قائمة بالأسماء.. أين هى.. آه.. أعتقد أننى أعطيتها لكروسفيلد.. لابد من مقابلة كروسفيلد.. فى الحقيقة أننى أتوقع حضوره بين لحظة وأخرى ليقدم لى تقريره.. آه الجرس.. هو على الأرجح..

كان المفتش كروسفيلد رجلا ضخما.. قوى البنية.. متئدا فى كلامه.. ولكن له عينين زرقاوين حادتين..!

وحيا رئيسه الذى قدمه للزائرين..!

وكان من الممكن -لو أن ساترثوايت كان وحده- ان يجد كروسفيلد عنيدا مشاكسا غير متجاوب..! فان كروسفيلد لا يتعامل مع اثنين من

السادة الهواة.. القادمين من لندن..

ولكنه عندما رأى سير تشارلس (البطل المسرحى الشهير).. بدا تعلقه بالنجوم.. وقال انه قد شاهد سير تشارلس مرتين...

- لقد رأيتك فى لندن يا سيدى.. ذهبت الى هناك مع زوجتى.. كانت مسرحية (ورطة اللورد أنترى) وكان المسرح مزدحما.. ولم تتراجع زوجتى.. لقد صممت على الدخول قائلة..! يجب أن أرى سير تشارلس فى مسرحية (ورطة اللورد أنترى) كان هذا فى مسرح البول مول..

فقال سير تشارلس: حسن.. لقد اعتزلت خشبة المسرح الآن..!

ولكنهم مازالوا يعرفون اسمى جيدا فى البول مول..!

وأخرج بطاقة من جيبه.. وكتب عليها بضع كلمات قائلا:

- فى المرة القادمة تعطى هذه البطاقة فى مكتب الحجز.. وسوف تتمتع أنت ومسز كروسفيلد بأفضل مكانين فى المسرح كله..

- اننى أعتبر هذا كرما منك يا سير تشارلس.. كرم عظيم فى الحقيقة، ان زوجتى سوف تبتهج عندما أخبرها بذلك..

بعد هذا أصبح المفتش كروسفيلد مثل قطعة الشمع فى يدى الممثل.. وقال: انها قصة غريبة.. لم تمر على فيما مضى مثلها مع طول خبرتى.. قضية سم النيكوتين.. والدكتور ديفيز نفسه لم تصادفه قضية مثلها..

- لقد فكرت دائما بأنه قد يكون نوعا من المرض الذى ينتج من كثرة التدخين هذا ما فكرت فيه يا سيدى أن أردت الحقيقة...

- اننى أيضا أعتقدت ذلك، ولكن الطبيب قال أن المادة القلوية سائل لا رائحة له، وأن بضع قطرات تكفى لقتل أى رجل فى الحال..

صفر سير تشارلس قائلا: مادة فعالة...؟

- كما تقول يا سيدى.. ومع ذلك موجود فى الاستعمالات العادية.. فان هذا المحلول يستعمل فى رش الأزهار. وبالطبع، فانه يمكن استخلاصه

من التبغ العادى!

قال سير تشارلس: الأزهار.. الآن.. أين سمعت..؟

وقطب وجهه.. ثم هز رأسه..

فقال الكولونيل جونسون يسأل المفتش كروسفيلد:

- هل من جديد..؟

- لا شئ نهائى يا سيدى لقد وصلتنا تقارير من أن صاحبنا (ايليس) قد شوهد فى دورتهام وايبسون وبالهالم. وعشرات الأماكن الأخرى.. وكل هذا سوف يغربل بدقة..!

ثم التفت الى الحاضرين قائلا: فى اللحظة التى توزع نشرة بأوصاف اى رجل مطلوب لابد أن يراه أحد فى مكان ما من لندن..؟

فقال سير تشارلس: وما هى أوصاف الرجل..؟

فأخرج جونسون ورقة وقرأ منها:

(جون ايليس متوسط الطول. حوالى خمسة أقدام. به انحناء قليل. شعر داكن. سوالف طويلة. عينان سوداوان. صوت أجش له سنة مفقودة بالفك الأعلى تظهر عندما يبتسم. بلا علامات خاصة أو مميزة!)

فقال سير تشارلس: وصف عام.. اذا أزال السوالف، وقفل عن الابتسام.. لم تبق هناك علامات مميزة!..

فقال كروسفيلد: المشكلة هى أنه لا يوجد أحد كان دقيقا فى ملاحظاته.. اننى لم أتمكن من الحصول الا على وصف مبهم من خادمات المنزل.. لقد حصلت على أوصاف عديدة لنفس الرجل..! لقد قلن أنه طويل.. رفيع.. قصير.. متوسط الطول.. سمين.. لا أحد فى الحقيقة يستعمل عينيه استعمالا سليما.!

- هل أنت مطمئن الى أن ايليس هو الرجل يا سيدى المفتش؟

- ولماذا يهرب؟ لا يمكن أن تتجاهل ذلك..

فقال سير تشارلس مفكرا: هذه هى نقطة الضعف فعلا..
والتفت كروسفيلد الى الكولونيل جونسون، وعرض عليه الخطوات التى اتخذت، فأومأ الكولونيل موافقا ثم سأل المفتش عن أسماء الضيوف فى ليلة الجريمة..
فأعطاه الأسماء.. كانت كما يلى: مارتا ليكى - طاهية.
- بياتريس تشيرش - مديرة المنزل.
- دوريس كوكر - مساعدة مدير المنزل.
- فيكتوريا بول - خادمة.
- أليس ويست - ساقية.
- فيوليت باسنجتون - خادمة مطبخ.
والمذكورات أعلاه أمضين وقتا طويلا فى الخدمة، وأخلاقهن طيبة.. ومسز ليكى أمضت ثلاثة عشر عاما فى الخدمة..
- جلاديس لايندون - سكرتيرة (٣٣ سنة) أمضت فى خدمة سير بارتلومير ثلاث سنوات، لا يمكنها اعطاء أية معلومات عن الدافع الى الجريمة.
الضيوف:
لورد وليدى ايدن، ١٨٧ ميدان كادوجان - سير جونسون وليدى تشامبل، ١٢٥ هارلى ستريت - مس انجيلا ساتكليف، ٢٨ كانتريل مانشونز - كابتن ومسز داكريس، ٣ جونز هاوس، ومسز داكريس من صاحبات الأعمال (محلات أمبروسين ليمتد - بروك ستريت).
ليدى مارى ومس هيرميون لايتون كور، شاليه روز، لوماوث.
مس موريل ويلز، ٥ طريق كاتكارت، توتنجز
مستر أوليفر ماندرز.. السادة سبير وروس، شارع برود ستريتز
فقال سير تشارلس: أرى أن ماندرز الشاب كان هناك أيضا..
فقال المفتش كروسفيلد: حدث هذا من قبيل الصدفة يا سيدى.

فلقد اصطدمت سيارة الشاب بجدار قرب المنزل.. فساله بارثلومير -الذى أظن أنه كان يعرفه- أن يمضى الليل عنده..

فقال سير تشارلس: كان من التهاون أن يفعل ذلك..

- فى الحقيقة أنا نفسى لا أكاد أتصور هذا.. فما الذى يدعوه الى أن يصدم الحائط بالسيارة اذا لم يكن سكرانا فى ذلك الوقت..؟

فقال سير تنشارلس: هو توثب شباب فيما أظن..

- بل هو بخار الشراب على ما أعتقد!.

- حسن جدا.. شكرا جزيلا يا سيدى المفتش.. هل من مانع اذا ذهبنا الى المنزل يا كولونيل جونسون؟

- بالطبع لا يا سيدى العزيز..لو أننى أخشى أنكما لن تعرفا شيئا أكثر مما قلناه لكما..

- هل يوجد أحد هناك..؟

فقال كروسفيلد: فقط مجموعة من الخدم. أما ضيوف المنزل فقد غادروه جميعا عقب الحادث. مس لايندون عادت الى هارفى ستريت.

وقال ساترثوايت: وهل يمكن أن نقابل دكتور ديفيز أيضا؟

- فكرة طيبة.

وبعد أن أخذا عنوان الطبيب وشكرا الكولونيل جونسون بحرارة على تلطفه، ثم انصرفا فى النهاية.

***



الفصل الثالث
من . . . منهم ؟

قال سير تشارلس وهما في الطريق: ألديك أى فكرة يا ساترثوايت..؟

ولكن سير تشارلس لم يكن كذلك.. فلقد قال مؤكدا:

- أما زلت عند رأيك في أن الحادثين متصلتان؟

- انهم مخطئون يا ساترثوايت.. كلهم مخطئون.. كلهم يظن أن الساقى هو القاتل.. لكنهم لا يحسبون تلك الوفاة الأخرى التى حدثت فى بيتى..

فسأله ساترثوايت بدوره ليرجئ حكمه الى آخر لحظة...

- وماذا عنك أنت..؟

وفى الوقت الذى ألقى فيه ساترثوايت سؤاله، كان عقله الباطن قد أجاب عليه بالايجاب.

قال سير تشارلى:

- يا رجل..! لابد وأن يكونا متصلتين. كل شئ يشير الى هذا. علينا أن نجد القاسم المشترك. شخص كان موجودا فى كلتا المناسبتين!

فقال ساترثوايت:

- نعم.. ولكن لن يكون هذا بالمسألة السهلة.. أمامنا قواسم مشتركة كبيرة.. هل تدرك يا كارترايت أن كل شخص كان موجودا فى حفلة منزلك؟ كان أيضا موجودا هنا؟

فأومأ سير تشارلس ايجابا قائلا:

- بالطبع.. لقد أدركت ذلك.. لكن هل ندرى ما هو الاستنتاج الذى يستخلصه الانسان من هذا؟

- اننى لا أتابعك تماما يا كارترايت..

- دعك من هذا يا رجل هل تعتقد أن كل هذا كان مصادفة؟ لا.. لابد أنه كان مقصودا.. لماذا كان كل الذين كانوا حاضرين فى الوفاة الأولى هم أيضا نفس الحاضرين فى الوفاة الثانية؟ مجرد صدفة؟ لا وحياتك.. انها كانت خطة.. تدبير.. خطة (توللى)!

فقال ساترثوايت: آه.. نعم.. هذا ممكن..

- انه قطعا كذلك.. انك لا تعرف توللى كما أعرفه أنا يا ساترثوايت.. انه رجل كتوم وصبور جدا.. فى كل السنوات التى عرفته فيها، لم أعرف أنه كان متهورا فى آرائه وأفعاله..

انظر يا ساترثوايت هذه النظرة.. بابنجتون يقتل.. نعم قتل اننى لن أحاول أن أخفى أو أموه.. لقد قتل ليلا فى منزلى.. ولقد سخر توللى من شكوكى فى هذه المسألة.. ولكنه كان طول الوقت يحتفظ بشكوكه الخاصة لنفسه.. لم يتكلم عنها.. فليست هذه طريقته.. ولكنه تصور القضية لنفسه، وبهدوء لا أعرف ماذا تصور.. لا يمكن أنه بنى قضيته ضد شخص معين.. كان يعتقد فقط أن شخصا ما من هؤلاء الناس هو المسئول عن الجريمة.. وقد وضع خطة.. وأعد اختبارا.. من لون ما.. ليعرف من منهم كان هو الفاعل..

- وماذا عن المدعوين الآخرين..؟ عائلة ايدن وكامبل..؟

- هذا فقط.. تغطية ليجعل الموقف أقل وضوحا.

- وماذا تظن كانت هذه الخطة..

هز سير تشارلس كتفيه.. وبدا من حركاته الآن انه تقمص شخصية (أريستيد دوفال) البوليس السرى الأشهر.. وراح يقول:

- وكيف يمكن أن نعرف..! اننى لست بساحر.. ولا استطيع أن أخمن..! ولكن.. هناك خطة.. وقد فشلت الخطة لأن القاتل كان أمهر منه.. فقد ابتدأ هو ضربته..

- هو..؟

- أو هى.. ان السم أقرب الى طبع المرأة..

ظل مستر ساترثوايت صامتا.. وقال سير تشارلس:

- تكلم الآن.. ألا توافقنى.. أم أنك فى جانب الرأى العام، من أن الساقى هو الفاعل؟

- وما هو تفسيرك من ناحية الساقى..؟ اننى لم أفكر فيه، فى رأيى أنه لا يهم. بامكانى ان أقدم تفسيرا لموقفه.

- مثل..؟

- حسنا.. لنقل أن البوليس على حق، وأن ايليس هو مجرم محترف، يعمل مع عصابة، ويحصل ايليس على وظيفته بشهادات مزورة.. ثم وقعت جريمة قتل توللى..؟ فما هو موقف ايليس؟.. هناك قتيل.. وفى المنزل رجل توجد بصماته فى سكوتلانديارد، وهو معروف لدى البوليس!.. فماذا يفعل؟ طبيعى انه يخاف أن يقبض عليه باعتباره الفاعل، فبادر الى الهرب!..

- من الممر السرى..؟

- حكاية الممر السرى كلام فارغ، لقد انسل من المنزل بينما كان أحد الشرطة السمان الذين يراقبون المنزل مستغرقا فى غفوته..؟

- هذا يبدو أكثر رجاحة بالتأكيد..

- حسن يا مستر ساترثوايت.. وما هى وجهة نظرك أنت..!

فقال مستر ساترثوايت: أنا..؟ انها مثل وجهة نظرك.. كنت أظن هذا طول الوقت.. والساقى ليس أكثر من مخلوق مغفل حشر نفسه فى

القضية.. فى اعتقادى أن سير بارثلومير والعجوز المسكين بابنجتون قد قتلا بيد شخص واحد.

- واحد من ضيوف الحفلة..

خيم الصمت برهة.. ثم قال ساترثوايت بلهجة عارضة:

- من منهم تظنه؟

- يا الهى، ياساترثوايت! كيف يمكننى أن أخبرك؟

فقال ساترثوايت متلطفا: أنت على حق.. اننى فكرت فى أنه ربما تكون لديك فكرة ما لا أريد بالطبع رأيا عمليا أو مسببا. فقط تخمين عادى.

- حسن.. لا شئ عندى..!

وفكر قليلا.. ثم تنهد قائلا:

أنت تعرف يا ساترثوايت. انه فى اللحظة التى نبدأ فيها التفكير، سيبدو لنا أنه من المستحيل أن يكون الفاعل واحد منهم..

قال ساترثوايت بتأمل:

اننى أعتقد أن نظريتك سليمة.. أعنى بالنسبة للجميع.. لكن هناك اشخاص يمكن استبعادهم من دائـرة الشك فعلا.. أنت وأنا ومسز بابنجتون مثلا.. ثم أن الشاب ماندرز بعيد ايضا..

- ماندرز..؟

- نعم.. ان حضوره الى الحفلة كان من قبيل الصدفة.. لم يكن مدعوا أو متوقعا حضوره. وهذا يبعده عن دائرة الشكوك..!

- والمرأة المؤلفة المسرحية أيضا.. (أنتونى أستور).

- لا.. لا.. انها كانت هناك.. مس موربل ويلز..

- اذن كانت هى أيضا هناك.. لقد نسيت أن اسمها ويلز..!

قطب سير تشارلس وجهه.. وما لبث ان قال:

- أنت على حق يا ساترثوايت.. لا أظن أن بارثلومير دعاها الى حفلته

المشكوك فيهم وحدهم.. فان ليدى مارى وايج كانتا أيضا هناك.. لا.. انه ربما اراد أن يعيد تمثيل الحادثة الأولى. ربما كان يشك فى شخص ما.. ولكنه أراد شهود عيان آخرين للتأكيد.. هو شئ من هذا القبيل..

ووافقه ساترثوايت: نعم، شئ من هذا القبيل.. لا يستطيع الإنسان الا أن يتكلم بصفة عامة فى هذه المرحلة..

وهز تشارلس رأسه ثم قال وقد تهلل وجهه:

- آه.. هناك المرأة ويلز.. لقد نسيتها مرة ثانية. ماذا فيها مما يجعلك تنساها دائما؟ انها مخلوقة لا وصف لها!..

فقال ساترثوايت باسما: ابرز ما فيها أنها تقضى كل وقتها فى تسجيل المذكرات.. هناك عينان حادتان خلف نظارتها.. فى ظنى بأنك ستجد أن أتفه شئ فى هذا البعض قد لاحظته مسز ويلز وسجلته!..

قال سير تشارلس متشككا: هل تظن هذا فعلا؟..

فأجاب ساترثوايت: الشئ الثانى الذى علينا أن نفعله هو أن نتناول غداءنا.. وبعد ذلك نذهب الى منزل بارمكوجيو.. لنرى ما يمكن أن نكشفه فى واقع الحادث..

قال سير تشارلس متفكها: يبدو أنك تأخذ هذه المسألة ببساطة يا ساترثوايت.

قال مستر ساترثوايت: ان تحقيق الجريمة ليس شيئا جديدا على. حدث ذات مرة عندما كسرت سيارتى وكنت نازلا فى فندق صغير منعزل.

ولم يكمل.. فلقد قال سير تشارلس بصوت الممثل:

- عندما كنت أقوم بساحة عام ١٩٢١... يا لها من ذكريات!..

***

الفصل الرابع
شهادة الخدم

لا شئ يمكن أن يكون أكثر سلاما وأمنا من أراضي ومبنى (ميلفورت آبى) التى رآها الرجلان سابحة فى أشعة الشمس ذلك اليوم من سبتمبر...

كان جزءاً من المبنى يرجع الى القرن الخامس عشر.. وقد جدد. وأضيف اليه جناح جديد وكانت المصحة بعيدة عن المنزل، ولها أراضيها الخاصة بها..

وقد استقبل سير تشارلس ومستر ساترثوايت الطاهية مسز ليكى، وهى سيدة بدينة تتسربل بالسواد طلقة اللسان.. وكانت تعرف سير تشارلس ووجهت معظم حديثها اليه.

- أنا متأكدة يا سيدى أنك تفهم ماذا يعنى هذا بالنسبة لى.. أعنى موت السيد، وكل هذا.. رجال البوليس فى كل المنزل، يدسون أنوفهم هنا وهناك. هل تصدق هذا..؟ حتى صندوق القمامة وضعوا أنوفهم فيه.. والأسئلة؟ ما كل هذه الأسئلة..؟؟ ليتنى ما حييت حتى أرى شيئا كهذا..! كان الدكتور سيدا بمعنى الكلمة... وعندما أنعم عليه بلقب بارثلومير كنا فخورين به.. كذلك كانت بياتريس، وان جاءت الى هنا بعدى بسنتين. ثم رئيس البوليس وكل أسئلته! اننى لن أدعوه (جنتلمانا) أبدا.. فانه لا يمت اليهم بصلة بطريقته الفظة فى هذه الأسئلة!..

وظهرت مسز ليكى، وأطرقت. ثم تغلبت على مشاعرها واسترسلت:

كانت الأسئلة عن كل الفتيات العاملات فى المنزل.. كلهن فتيات طيبات. ان دوريس تقوم متأخرة عن الوقت الذى يجب أن تقوم فيه فى الصباح وفيكى كانت تميل الى الوقاحة.. ومع ذلك فهن فتيات طيبات.. هن كذلك. ولا أى مفتش بوليس سيجعلنى أقول غير ذلك.. نعم: لقد قلت له (لا تظن بأنك تستطيع أن تجعلنى أقول أى شئ عن الفتيات.. ليس لهن أى ضلع فى الجريمة..! لا.. ان من البلاهة أن يسأل شيئا كهذا!

وتوقفت مسز ليكى برهة... ثم عادت تقول:

- أما عن مسز ايليس فهذا شئ مختلف.. اننى لا أعرف أى شئ عن مستر ايليس، ولا يمكننى أن أجيب عنه بأى طريقة.. لقد جاء من لندن عندما كان مستر ببكر فى أجازته...

فقال ساترثوايت: بيكر..؟

- كان مستر بيكر رئيسا للخدم أثناء السبع سنوات الأخيرة عند سير بارثومير، كان فى لندن معظم الوقت.. فى هارلى ستريت..

ثم وجهت حديثها لسير تشارلس قائلة: أنت تعرفه يا سيدى؟..

فأومأ سير تشارلس براسه موافقا فمضت تقول:

- لقد اعتاد سير بارثلومير أن يحضره هنا كلما كانت لديه مأدبة.. ولكن مستر بيكر لم يكن فى صحة جيدة.. فمنحه سير بارثلومير أجازة شهرين... وأخذه الى مكان قرب البحر (برمنجتون) ودفع أجر أقامته هناك... حقا، لقد كان الدكتور سيدأ طيبا... ثم استخدم مستر ايليس مؤقتا لهذه الفترة.. وهكذا وأن بدا من أقواله أنه كان يتعامل مع أحسن العائلات.. وقطعا كانت له طريقة مهذبة...

فسألها سير تشارلس بأمل:

ألم تجدى أو تلاحظى أى شئ غير عادى بالنسبة له...؟

- حسن.. أن قولك هذا محير جدا يا سيدى.. لأنك لو عرفت ما

أعنى... أقصد.. أننى وجدت.. ولم أجد..

فتطلع اليها سير تشارلس مشجعا. فقالت: لا يمكننى بالضبط أن أقول ماذا هناك. ولكن. كان هناك شئ ما!

وبعد فترة أخرى استطردت تقول: كان واثقا من نفسه.. متحفظا.. وربما كان مؤدبا أكثر من اللازم.. وكما قلت فانه عمل فى البيوت الكبيرة.. ولكنه كان منطويا على نفسه.. كان يمضى وقتا طويلا فى حجرته الخاصة.. ولقد كان.. حسن. اننى لا أعرف كيف أصف ذلك.. اننى متأكدة انه كان.. هناك شئ ما!

فقال ساترثوايت: الم تشكى فى أنه لم يكن ساقيا؟

- اوه. لقد مارس الخدمة فعلا.. وكان يعرف الكثير، خصوصا عن الناس البارزين فى المجتمع.

وقال سير تشارلس برقة:

- مثل...؟

ولكن مسز ليكى التزمت الصمت.. لم ترد أن تتمادى فى اغتياب الخدم.. شئ كهذا سيظهرها فى مظهر عدم الصلاحية لعملها..

فقال ساترثوايت لكى يعيد الى نفسها الراحة والطمانينة:

- ربما تستطيعين أن تصفى لنا مظهره..

وهنا أشرق وجه مسز ليكى.. وراحت تقول:

- نعم يا سيدى.. كان مظهره محترما جدا.. بسوالف على الجانبين.. وكان منحنيا قليلا، واقرب الى البدانة.. ولكن ليس من السبب الذى ربما تتخيله.. لقد كان رجلا معتدلا فى طعامه وشرابه.. ليس ككثيرين ممن عرفتهم.. وكانت عيناه ضعيفتين قليلا.. أعتقد يا سيدى أن الضوء كان يتعبها، وخاصة الضوء القوى الذى كان يجعلهما تدمعان.. كان يضع نظارات على عينيه، ولكن ليس فى وقت العمل..

- ألا من علامات مميزة...؟ ندبة أو اثر جرح.. أو أصابع مكسورة أو علامات طبيعية..؟

- لا.. لا يا سيدى.. لا شئ من هذا النوع..

فتنهد سير تشارلس وهو يقول:

- يا للقصص البوليسية البعيدة عن واقع الحياة!.. ان القصص البوليسية دائما توجد بعض الصفات المميزة..

فقال ساترثوايت: ألم تكن له سنة ناقصة فى فمه؟

- حقا يا سيدى لا أقدر أن أقول.. لقد كنت مشغولة جدا كما ترى فى مطبخى.. لم يكن لدى وقت لملاحظة أى شئ..! وعندما تسربت الأنباء أن السيد قد مات، صدمنا كلنا.. وصرخت أنا، ولم أتمكن من التوقف عن الصراخ.. كذلك فعلت بياتريس.. وكان هذا حال باقى الخدم.. وطبيعى لم يصدم مستر ايليس مثلنا.. لقد كان جديدا، ولكنه تصرف تصرفا معقولا.. واصر على أن أشرب أنا وبياتريس كاسا من (البورت) لمواجهة الصدمة. وتصور بعد ذلك أنه يكون هو. الشرير!

وخانت الكلمات مسز ليكى، ولمعت عيناها غضبا..

- واختفى فى تلك الليلة على ما أعتقد..؟

- نعم يا سيدى... ذهب الى حجرته كما فعلنا.. وفى الصباح لم يكن هناك، وهذا ما جعل البوليس يبحث عنه بالطبع..

- نعم.. نعم.. انها حماقة منه.. هل لديك أية فكرة عن كيفية مغادرته للمنزل...؟

- ليس عندى أقل فكرة.. فإنه يبدو أن البوليس كان يراقب المنزل طول الليل.. ولم يروه أبدا يذهب.. ولكن.. هذا هو البوليس.. بشر كأى فرد آخر.. بالرغم من مظهرهم المثير!.. يدخلون الى المنزل رجل محترم ويدسون أنوفهم فى كل شئ!..

قال سير تشارلس: لقد سمعت أن هناك بعض الكلام عن ممر سرى؟
تنحنحت مسز ليكى ثم قالت: هذا ما يقوله البوليس..

- هل هناك شئ كهذا..؟

فأجابت مسز ليكى بحرص:

- لقد سمعت شيئا من هذا القبيل..
- هل تعلمين من أين يبدأ..؟
- لا يا سيدى. لا أعلم. الممرات السرية جيدة.. ولكنها ليست كذلك بالنسبة للخدم! أنها تعطى الفتيات فكرة الانسلال خارجا..! ان فتياتى يذهبن من الباب الخلفى ويدخلن منه. وحينئذ تعرف أين نحن.
- رائعة يا مسز ليكى..! أعتقد أنك شديدة الحرص والحكمة..

طربت مسز ليكى بثناء سير تشارلس الذى مضى يقول:

- هل يمكننا أن نوجه بضعة أسئلة للخدم الآخرين..؟
- بالطبع يا سيدى.. ولكنهم لن يستطيعوا أن يخبروك شيئا أكثر مما أستطيع أنا.
- أننى أعرف هذا بالطبع.. أنا لا أقصد معرفة شئ كثير عن ايليس.. ولكن الأمر يتعلق بسير بارثلومير نفسه.. تصرفاته فى تلك الليلة.. وهكذا... أنت تعرفين أنه كان صديقا لى..
- نعم أعرف يا سيدى.. أننى أفهم تماما.. هناك بياتريس.. وأليس.. انها تخدم على المائدة بالطبع..
- نعم.. أننى أريد أن أرى أليس..

على أى حال فان مسز ليكى كانت تؤمن بمبدأ الاسبقية فى المركز بين الخدم.. ولذلك كانت بياتريس تشريش الأولى فى الظهور.. كانت امرأة طويلة رفيعة.. ذات فم ضيق مضموم.. وكانت تبدو محترمة وبعد بضعة أسئلة غير مهمة قاد سير تشارلس المحادثة الى جو العشاء فى ذلك المساء..

- هل صدم الضيوف..؟ ماذا قالوا.. وماذا فعلوا..؟

بدا على بياتريس شئ من الانتعاش، وكأنها تحب المواقف الدرامية.. فقالت:

- ان مس ساتكليف انهارت تماما.. انها سيدة طيبة القلب.. لقد مكثت هنا من قبل، واقترحت انا أن نعطيها شيئا من البراندى.. او فنجان شاى ولكنها أبدا لم تقبل.. بل تناولت قرص اسبرين.. قالت انها لن تقدر أن تنام.. ولكنها كانت نائمة كطفلة صغيرة عندما أحضرت اليها الشاى مبكرا فى صبيحة اليوم التالى..

- ومسز داكريس..؟

- أعتقد أنه لا شئ بتاتا يمكن أن يصدم هذه السيدة كثيرا..!

ومن لهجة بياتريس بدا انها لا تحب كينيثا داكريس فقط كانت قلقة، لتذهب الى أعمالها التى سوف تتأثر.. انها مصممة أزياء كبيرة فى لندن... هكذا قال لنا ايليس..

- وزوجها..؟

- ضبط أعصابه بالبراندى.. هكذا فعل..

- وماذا عن ليدى مارى لايتون كور؟

إنسابت نغمة ناعمة فى لهجة بياتريس وهى تقول:

- سيدة لطيفة جدا.. عمتى كانت فى خدمة والدها.. وقتئذ كانت هى فتاة صغيرة جميلة.. هكذا كنت أسمع دائما.. انها فقيرة، لكنها دائما مهذبة وكذلك ابنتها، سيدة صغيرة جميلة أيضا..! بالطبع هما لا تعرفان سير بارثلومير جيدا... ولكنهما كانتا فى غاية الانزعاج...!

- ومس ويلز...؟

عادت الى بياتريس صلابتها وقالت:

- أننى متأكدة من أننى لن أستطيع أن أقول كيف كان شعور مس ويلز ازاء الحادث...

فقال سير تشارلس: أريد رايك عنها.. تكلمى الآن يا بياتريس..
وانفرجت أسارير بياتريس الخشبية عن ابتسامة غير متوقعة... وقد تأثرت بجاذبية سير تشارلس... وقالت:
- حقيقة يا سيدى.. أنا لا أعرف ماذا تريدنى أن أقوله لك..
- فقط.. ما فكرت وشعرت به نحو مس ويلز..
- لا شئ يا سيدى.. لا شئ بتاتا.. لم تكن بالطبع..
وترددت بياتريس مرة أخرى..
- استمرى يا بياتريس.. استمرى..
- حسنا.. لم تكن مثل الآخرين يا سيدى.. انها لم تتمالك نفسها...
واستمرت بياتريس تقول برقة:
- ولكنها فعلت أشياء.. أية سيدة حقيقية لم تكن لتفعلها أبدا.. أبدا.. انها دست أنفها، وجعلت تتجسس..
وسألها ان تقدم مثالا خاصا لذلك.. ولكن بياتريس بدت غير مستعدة أن تفعل ذلك..، بل كررت القول بأن مس ويلز دست أنفها فى أشياء لم تكن من شأنها بتاتا...!
وأخيرا تركا هذه النقطة.. وقال لها ساترثوايت:
- مستر ماندرز شاب.. وصل على غير انتظار.. أليس كذلك..؟
- نعم يا سيدى.. لقد فعل حادثة بسيارته.. كانت بجوار البيت... وقال انه محظوظ اذ يحدث له الحادث هنا.. كان المنزل مليئا بالطبع.. ولكن مس لايتون جهزت له فراشا فى المكتب الصغير..!
- هل دهش الكل عند رؤياه..؟
- نعم يا سيدى.. بالطبع يا سيدى..
وسألها رأيها فى ايليس، ولكن بياتريس لم تستطع ان تجزم.. انها لم تر منه الا قليلا.. ولكنه لم يكن سيئا..! ولماذا يريد أن يؤذى السيد أنها

لا تتصور ذلك..

- وماذا كان حال الدكتور.. هل كان راضيا عن الحفلة؟.. هل كان يبدو وكأن هناك أى شئ يشغل ذهنه..!

- كان يبدو سعيدا تماما يا سيدى.. كان يبتسم لنفسه عندما كان يلقى بعض النكات.. حتى اننى سمعته وهو يمزح مع مستر ايليس.. الشئ الذى لم يكن يفعله أبدا مع مستر بيكر.. انه كان عادة جادا مع الخدم.. طيبا دائما.. ولكن لا يتكلم معهم كثيرا..!

فقال ساترثوايت:

- ماذا قال...؟

- حسن.. لقد نسيت الآن تماما يا سيدى.. لقد جاء مستر ايليس برسالة تليفونية وسأله سير بارثلومير ان كان متأكدا من أنه قد نقل الاسم جيدا.. فأجاب مستر ايليس بأنه متأكد كل التأكيد.. كان بالطبع يتحدث بكل احترام.. وضحك الدكتور وقال: (أنت شخص طيب يا ايليس.. رجل من الدرجة الأولى..).. ثم وجه حديثه الى قائلا: (أيه يا بياتريس.. وماذا تظنين أنت؟). اننى دهشت حقيقة من أن يتكلم السيد هكذا. ان هذا لم يكن فى طبيعته. حتى أننى لم أعرف ماذا أقول.

- وايليس..؟

- بدأ مستاء.. وكان أسلوب الحديث لم يعجبه..

فقال سير تشارلس:

- وماذا كانت الرسالة التليفونية...؟

- آه.. الرسالة يا سيدى، انها كانت من المصحة.. عن مريض وصل من رحلة.. وبحالة جيدة..

- هل تذكرين الاسم...؟

- لقد كان اسما غريبا يا سيدى..مسز دى روشبريدجر. شئ مثل هذا.

قال سير تشارلس ملاطفا:

- ليس اسما سهلا لنقله صحيحا عن طريق التليفون.. حسن جدا.. شكرا كثيرا لك يا بياتريس.. ربما يمكن ان نرى أليس الآن...

وعندما غادرت بياتريس الحجرة.. تبادل سير تشارلس وساترثوايت انطباعاتهما - بالنظر:

(مسز ويلز دست أنفها... كابتن داكريس استسلم للشراب.. مسز داكريس لم تبد أى انفعال.. نتائج غير هامة فعلا...

قال ساترثوايت: نعم..نتائج لا أهمية لها..! أنضع أملنا فى اليس.

كانت أليس امرأة صينية فى الثلاثين. وكانت سعيدة جدا بالكلام.

انها شخصيا لا تعتقد أى شئ فى ايليس.. كان محترما بمعنى الكلمة.. وقد ابدى البوليس انه مجرم عادى ولكن أليس تذكره انه ليس من هذا الطراز.

سألها سير تشارلس:

- هل أنت متأكدة تماما من أنه كان ساقى نبيذ من النوع المعتاد؟

- ليس من النوع المعتاد يا سيدى.. لم يكن مثل أى ساقى عملت معه من قبل... كان يدير العمل بطريقة مختلفة...

- لكنك لا تظنين انه وضع السم لسيدك؟

- اوه يا سيدى.. اننى لا أرى كيف يمكنه فعل ذلك.. اننى كنت أخدم على المائدة معه.. ولا يمكنه أن يضع أى شئ فى طعام سيدى دون أن أراه..

- والشراب...؟

- لقد دار بالشراب يا سيدى.. الشيرى اولا -مع الحساء- ثم النبيذ والبوردو ولكن..؟ لماذا يفعل هو ذلك يا سيدى؟.. اذا كان هناك أى شئ فى الخمر اذن لتسمم كل شخص.. أو كل هؤلاء الذين شربوه.. لا ان سيدى لم يتناول شيئا لم يتناوله الآخرون.. ونفس الشئ بالنسبة للبورت.. كل

السادة شربوه.. وبعض السيدات أيضا..!

- والكئوس..؟ هل كانت توزع على صينية..؟

- نعم يا سيدى.. لقد حملت أنا الصينية ومستر ايليس وضع الكؤوس عليها وكانت الكؤوس ما تزال على المائدة حين فحصها البوليس ولم يجد بها شيئا..

- هل أنت متأكدة تماما من أن الدكتور لم يتناول طعاما أو شرابا لم يتناول منه سائر المدعوين...؟ بقدر ما رأيت يا سيدى؟ ولكن فى الحقيقة أنا متأكدة أنه لم يفعل.

- ألم يتناول شيئا أعطاه له أحد الضيوف..؟

- لا.. يا سيدى..

- هل تعلمين شيئا يا أليس عن ممر سرى..؟

- والبستانى اخبرنى شيئا عنه.. انه يخرج الى الغابة حيث توجد بعض الجدران القديمة المتهدمة والأشياء الملقاة هناك.. ولكننى لم ار أى منفذ له فى المنزل..

- ألم يقل أيليس شيئا عنه..؟

- لا يا سيدى.. هو لا يعرف عنه أى شئ.. أننى متأكدة من ذلك..

- من تظنين حقيقة أنه قتل سيدك يا اليس..؟

- لا أعرف يا سيدى.. لا أعتقد أن أحد يفعل ذلك..! اننى أشعر انه حادث ما..!

- حسنا.. أشكرك يا اليس..

وقال سير تشارلس حالما غادرت الفتاة الحجرة..

- لولا موت بابنجتون لكانت هذه الفتاة هى المجرمة.. انها فتاة جميلة المنظر.. وكانت تخدم على المائدة.. لا، لن يكون هذا.. ان بابنجتون قتل أيضا.. وعلى أى حال، فان توللى لم يكن يلفت الى الفتيات

الجميلات.. لم تكن هذه طريقته.

قال ساترثوايت مفكرا: لكنه كان فى الخامسة والخمسين..

- لماذا تقول هذا..؟

- ان السن الذى يفقد فيها الرجل عقله.. من أجل فتاة..! حتى وان لم يكن قد فعلها من قبل..

- لا تقل هذا يا ساترثوايت.. اننى أقترب من الخامسة والخمسين..!

فقال ساترثوايت: اننى أعرف..؟

وتحت نظرة ساترثوايت الرقيقة المتألقة، أسبل سير تشارلس عينيه.. أجل.. لقد احمر وجهه خجلا، لا شك فى ذلك..

***



الفصل الخامس
فى غرفة الساقى

قال ساترثوايت بعد استمتاعه بمنظر سير تشارلس وهو غارق في الخجل: ما رأيك في فحص غرفة ايليس؟ بغت (الممثل) من هذا القول.. ولكنه أجاب قائلا:

- رائع.. رائع.. هذا ما كانت أفكر فيه..
- بالطبع.. لقد فتشها البوليس فعلا... وبعناية..
- البوليس..؟

وأشار ممثل دور (ارستيد دوفال) بيده إشارة تدل على استخفافه بالبوليس.. ورغبة منه فى نسيان ارتباكهم العارض فانه انهمك فى تمثيل شخصية البوليس السرى قائلا:

- البوليس! انهم عقول جامدة.. ماذا بحثوا عنه فى حجرة ايليس؟ أدلة تثبت إدانته.. أما نحن سوف نبحث عن اثباتات لبراءته.. شئ مختلف تماما..
- أنت مقتنع تمام الاقتناع ببراءة ايليس..! أليس كذلك..؟
- اذا كنا على صواب بابنجتون، فيجب أن يكون بريئا..
- صدقت..

من النظرة الأولى لم يكن فى حجرة ايليس ما يبشر بشئ يكتشف.. الملابس فى الأدراج ومعلقة فى الدولاب بترتيب.. كانت جيدة

التفصيل! وتحمل علامات خياطين أعطيت له فى مناسبات مختلفة وكذلك كانت الملابس الداخلية من نفس المستوى.. والأحذية نظيفة لامعة، ومرتبة فى أماكنها..

والتقط ساترثوايت حذاء وهو يغمغم:

- مقاس تسعة.. نعم تسعة.. ولكن مادامت لم توجد بصمات أقدام فى القضية، فان هذا لن يقودنا الى شئ.. أو الى أى مكان..

كان واضحا من عدم وجود بصمات أقدام رحيل ايليس كان بزى العمل.. وأبدى ساترثوايت رأيه الى سير تشارلس استفز به لهذه الحقيقة قائلا: أى رجل فى وعيه كان عليه أن يستبدل زيه ببدلة عادية..

- نعم.. ان هذا غريب.. ويبدو وكأنه لم يذهب أبدا.. هذا مخالف للواقع بالطبع..

واستأنف بحثهما.. لا خطابات.. لا أوراق.. اللهم الا قصاصة منزوعة من جريدة خاصة بعلاج (للكالو)..! ونبذة أخرى تتصل بقرب زواج ابنة أحد الدوقات..

وعلى منضدة جانبية وجد دفتر نشاف وزجاجة حبر بلا قلم.. ورفع سير تشارلس دفتر النشاف فى مواجهة المرآة.. ولكن بلا نتيجة.. وكانت صفحة منه كثيرة الاستعمال.. كانت خليطا بلا معنى... ولاح الحبر للرجلين قديما باهتا.. فقال ساترثوايت:

- اما أنه لم يكتب أية خطابات منذ وصوله الى هنا.. واما أنه لم يستعمل النشاف بتاتا.. هذه نشافة قديمة.. آه..! هذه بعض كلمات يمكن أن تقرأ من هذا الخليط.

(ل. بيكر)..

- فى رأيى أن ايليس لم يستعمل هذه إطلاقا.

فقال سير تشارلس ببطء: هذا يدعو الى الاستغراب..

- ماذا تعنى..؟
- أى انسان عادة يكتب خطابات..
- ليس اذا كان مجرما..
- ربما تكون على حق.. ربما كان هناك شئ مريب جعله يهرب هكذا..! كل ما يمكننا أن نقوله هو أنه لم يقتل توللى..

وجعلا يفتشان فى أرضية الغرفة.. ودفعا السجادة.. ونظر تحت الفراش، لم يكن هناك أى شئ، سوى بقعة من الحبر بجوار المدفأة..

وفى النهاية غادرا الغرفة وهما أقرب الى خيبة الأمل.. وهبطت حماستهما فى القيام بدور البوليس السرى.. وربما خطر لهما أن الأشياء تكون أفضل ترتيبا فى دنيا القصص..

وكانت لهما بضع كلمات مع الخدم الآخرين... لكنهما لم يظفرا بشئ جديد..

وفى النهاية غادرا المكان..

وقال سير تشارلس عندما وصلا الى سيارة ساترثوايت:

- ألم يلفت نظرك أي شئ.. أى شئ بالمرة؟..

فكر ساترثوايت برهة.. لكنه لم يكن فى عجلة للإجابة.. خاصة وقد شعر ان ثمة شيئا كان يجب أن يسترعى نظره فعلا.. اذا ما اعترف بأن رحلتهما كانت مضيعة للوقت، فهذه فكرة غير مستحبة..

واستعرض فى مخيلته شهادة الخدم. لكن المعلومات كانت قليلة تافهة. وراح يستعرض تلخيص سير تشارلس للموقف:

(مس ويلز) دست أنفها وتجسست.. مس ساتكليف كانت شديدة الانزعاج.. مسز داكريس لم تنزعج بتاتا.. وكابتن داكريس كان مخمورا.. ومع ذلك فهذه أشياء قليلة جدا.. اللهم الا حالة (فريدى داكريس) التى تشير الى أن افراطه فى الخمر ربما كان شعورا بالذنب.. ولكن ساتر ثوايت كان يعرف ان فريدى داكريس كان يسكر فى مناسبات كثيرة..

وردد سير تشارلس سؤاله نافد الصبر: حسنا؟
فقال ساترثوايت على مضض:
- لا شئ.. الا اذا استنتجنا من القصاصة التى وجدناها أن ايليس كان يشكو من (كاللو)..
فابتسم سير تشارلس ابتسامة مقتضبة قائلا:
- هذا يبدو استنتاجا معقولا.. هل سيقودنا الى أى شئ؟
فاعترف ساترثوايت.. بأنه لن يؤدى بهما الى شئ ما..
- الشئ الآخر الوحيد..
قال ذلك وتوقف..!
- نعم.. استمر يا رجل أى شئ ربما يساعدنا..
- لقد حيرتنى قليلا الطريقة التى داعب بها سير بارثلومير الساقى.. أنت تذكر أن الفتاة قالت لنا ذلك.. وهذا يبدو تصرفا غير معتاد منه..
فقال سير تشارلس بتأكيد:
- اننى أعرف توللى أكثر مما تعرفه أنت.. ويمكننى أن أقول لك أنه ليس من نوع الرجل الذى يحب المزاح أنه لا يفعل ذلك.. الا اذا كان فى غير حالته الطبيعية فى ذلك الوقت.. انك على حق يا ساترثوايت، هذه هى النقطة.. والآن.. الى اين تقودنا..!
واستطرد سير تشارلس يقول على الأثر:
- هل تذكر يا ساترثوايت متى حدثت هذه الحالة..؟ فقط بعد أن أبلغه ايليس الرسالة التليفونية. اننى أظن أنه استنتاج مقبول. لنفترض أن هذه الرسالة التليفونية كانت السبب المفاجئ لحالة توللى غير الطبيعية.. لعلك تذكر أننى قد سألت الفتاة عن مضمون تلك الرسالة؟
فأومأ ساترثوايت قائلا:
- انه يمكن القول بأن هناك امرأة تدعى مسز دى روشبريدجر

وصلت الى المصحة..

قال ذلك ليبين بأنه هو أيضا قد لاحظ هذه النقطة وأنها لا تبدو مثيرة فعلا..

- قطعا أنها لا توحى بذلك أبدا.. ولكن! اذا كان استدلالنا صحيحا، فلابد وأن يكون هناك معنى خاص فى هذه الرسالة..!

فقال ساترثوايت متشككا: نعم..

فقال سير تشارلس:

- يقينا.. سوف نجد هناك معنى على هذا الأساس.. يخيل الى وكأنها رسالة شفوية من نوع ما.. رسالة تبدو عادية.. ولكنها تعنى شيئا مختلفا تماما..

اذا كان توللى قد قام بتحريات فى وفاة بابنجتون، فربما يكون قد استخلص شيئا من هذه التحريات.. ولنفرض أنه قد كلف أحد رجال البوليس السرى الخصوصى ليكتشف حقيقة معينة، ولكن هذا الشخص قد اتصل تليفونيا لينهى اليه تحقيق شئ معين، بتلك الجملة التى لا يبدو منها لأى شخص أية لمحة من الحقيقة.. ان هذا يفسر لنا معنى هذا السرور المفاجئ.، ويفسر أيضا معنى سؤاله لايليس أن كان قد تأكد من الاسم انه يعلم جيدا بانه لا يوجد مثل هذا الشخص.. مثل هذا الاستنتاج يمكن أن يفسر لنا سروره المفاجئ بنجاح خطته..

- هل تظن أنه لا وجود لأحد يدعى مسز دى روشبريدجر..؟

- حسن.. أظن أنه يجب علينا أن نتأكد من هذا..

- وكيف؟..

- يمكن أن نذهب الى المصحة، ونسأل رئيسة الممرضات..

- ربما تستغرب شيئا كهذا..

فضحك سير تشارلس قائلا: دع هذا الأمر لى..

واستدارا وسارا فى اتجاه المستشفى.. وقال ساترثوايت:

- وما رأيك أنت يا كارترايت؟.. أفلم يقفز الى ذهنك خاطر نتيجة زيارتنا للمنزل؟

فأجاب سير تشارلس ببطء:

- نعم.. هناك شئ ما.. والمصيبة اننى لم أتذكر ما هو..

تطلع اليه ساترثوايت فى دهشة.. فقال سير تشارلس مقطبا:

- كيف يمكننى تفسير ذلك؟.. هناك شئ.. شئ ما استرعى نظرى.. ولكن لم يكن لدى وقت للتفكير فيه حينئذ.. فوضعته فى جانب من عقلى..

- والآن.. ألا يمكنك أن تتذكر ماذا كان..؟

- لا.. فقط فى لحظة ما قلت لنفسى.. (هذا أمر غريب)..

- هل كان هذا أثناء حديثنا مع الخدم.. مع أيهم؟..

- أقول لك أننى لا أتذكر..! سأترك هذه النقطة وشأنها.. فإنه يمكن أن تعود الى ذهنى مرة أخرى..

واقتربا من المستشفى.. -مبنى أبيض كبير عصرى.. واجتازا بوابة كبيرة وقرعا جرس الباب الأمامى.. وسألا عن رئيسة الممرضات..

وعندما حضرت الرئيسة.. وجداها امرأة طويلة فى منتصف العمر، تنم ملامحها عن ذكاء واقتدار.. وبدا أنها كانت تعرف سير تشارلس من اسمه كصديق للراحل سير بارثلومير سترينج..

وأوضح لها سير تشارلس كيف أنه عاد للتو من الخارج، فصعق بوفاة صديقه، وبهذه الشكوك المزعجة المحيطة بالوفاة، وكيف أنه ذهب الى المنزل ليعرف أكبر قدر من المعلومات..

وتكلمت الرئيسة عن الخسارة الفادحة بالنسبة لهم نتيجة لوفاة سير بارثلومير.. وأبدى سير تشارلس قلقه مما سيحدث للمستشفى.. فأوضحت الرئيسة أنه يوجد مساعدان لسيير بارثلومير لهما الكفاءة التامة كأطباء يعتمد عليهم.. وأحدهما هو الطبيب المقيم بالمستشفى..

فقال سير تشارلس: أعرف أن بارثلومير كان فخورا جدا بمستشفاه.

- نعم.. فعلاجه كان ناجحا تماما..

- وعلى الأخص الحالات العصبية..

- نعم..

- هذا يذكرنى بشاب قابلته فى الخارج فى مونت كارلو.. كانت له صلة قرابة بمريضة هنا.. لقد نسيت اسمها الآن.. اسم غريب.. روشبريدجر.. روشبريجر شئ من هذا القبيل..

- أتعنى مسز دى روشبريدجر..؟

- هو ذلك..؟ هل هى هنا الآن..؟

- نعم..؟ ولكننى أخشى بأنها لن تتمكن من مقابلتك لبعض الوقت.. انها فى راحة علاجية..

وابتسمت الرئيسة فى شئ من الخبث وهى تضيف قائلة:

- لا خطابات.. لا ازعاج من الزوار.

- هل حالتها خطيرة اذن؟

- آه.. صدمة عصبية.. فقدان الذاكرة.. وانهيار عصبى حاد... آه... سوف نتمكن من شفائها فى الوقت المناسب...

قالت رئيسة الممرضات هذا وهى تبتسم ابتسامة الواثق...

- دعينا نرى.. هل يا ترى لم أسمع توللى -سير بارثلومير- يتحدث عنها..؟ انها كانت صديقة له، كما كانت من المرضى فى المصحة.. أليس كذلك..؟

- لا أعتقد ذلك أمامى أبـدا.. لقد وصلت أخيرا من جزر الهند الغربية.. ووجود مريضة مثل هذه ومن هذا المكان هو فى الواقع مصادفة غريبة...

- حقيقة هذا شئ مسلى!. وزوجها هنا أيضا..؟

- انه مازال هناك...

- آه تماما.. تماما.. يبدو اننى قد خلطت بينها وبين شخص آخر.. هل كان الدكتور مهتما بحالتها بصفة خاصة؟..

- حالات فقدان الذاكرة شائعة... ولكنها دائما تهم الطبيب..

- كل هذا يبدو غريبا فى نظرى..

- على كل حال أشكرك، انا سعدت بالحديث معك.. أننى أعرف كم كان توللى يقدرك..

بهذا الإطراء الكاذب انهى سير تشارلس حديثه.

فاحمر وجه الرئيسة خجلا.. وهتفت منفعلة:

- أوه.. اننى سعيدة لأسمع ذلك.. رجل ممتاز مثل هذا هو خسارة فادحة بالنسبة لنا كلنا... لقد صدمنا تماما.. ثم انه.. قتل...؟ هذا شئ لا يصدق... ذلك الخادم المخيف.. كم أتمنى أن يقبض عليه البوليس... ثم لا يوجد هناك أى دافع بالمرة للقتل! هز سير تشارلس رأسه فى حزن. وانصرفا الى حين كانت السيارة تنتظر.

واستقلا السيارة.. وتحركت بهما..

كان مستر ساترثوايت مشغولا مع افكاره.. (مسز روشبريدجر...) نظرية كارترايت... لا يمكن أن تستقيم.. لم تكن رسالة شفوية... هناك امرأة بهذا الاسم فعلا... ولكن.. يمكن أن يكون هناك شئ عن المرأة نفسها؟.. هل هى ربما تكون شاهدة من أى نوع..؟ أو هى فقط كانت حالة مرضية معينة، حتى أن سير بارثلومير أبدى حيالها مثل هذا السرور غير العادى؟

هل ربما كانت امرأة جذابة..؟ أن وقوع الإنسان فى الحب فى سن الخامسة والخمسين (ولقد لاحظ ساترثوايت هذا مرات عديدة...) يغير أخلاق الرجل تغيرا تاما.. انها ربما تجعله ميالا الى الممازحة، بينما يكون قبل ذلك جادا..

وانقطع حبل أفكاره... فقد مال نحوه سير تشارلس قائلا:

- ساترثوايت.. هل يضيرك لوعدنا مرة ثانية...؟

وبلا انتظار للجواب أعطى أوامره... وببطء فدارت السيارة وسارت في الاتجاه المضاد...

قال ساترثوايت:

- ماذا هنالك...؟

فأجاب سير تشارلس:

- لقد تذكرت ما استرعى نظرى... وبدا شيئا غريبا..؟ لقد كانت بقعة الحبر.. على أرض غرفة الساقى...

***



الفصل السادس
ما يتعلق ببقعة الحبر

حدق مستر ساترثوايت في صديقة بدهشة قائلا: بقعة الحبر..؟ ماذا تعني يا كارترايت..؟

- هل تذكرها..؟

- نعم.. اننى أتذكر.. نعم.. لقد كانت هناك بقعة حبر..
- هل تتذكر موقعها..؟
- حسنا.. ليس بالدقة...
- انها كانت قريبة من الرف بجوار المدفأة...
- نعم.. انها كانت كذلك.. لقد تذكرت الآن..
- وكيف تظن السبب فى هذه البقعة يا ساترثوايت؟

وفكر ساترثوايت نحو دقيقة.. ثم قال:

- لم تكن بقعة كبيرة.. لا يمكن أن تكون انسكاب زجاجة حبر.. أكاد أقول أن من المحتمل جدا أن الرجل سقط قلمه الحبر هناك.. فلم تكن هناك (ريشة) بالحجرة كما تتذكر...

وفكر ساترثوايت لنفسه... يجب على أن أجعله يعرف أننى ألاحظ أشياء كثيرة كما يفعل هو... ثم استطرد يقول:

- وهكذا يبدو بوضوح أن الرجل كان عنده قلم حبر.. اذا كان قد كتب على الاطلاق وليس هناك أى دليل على أنه قد فعل ذلك...

- نعم.. هناك دليل على ذلك يا ساترثوايت.. هناك بقعة الحبر..

فقال ساترثوايت بحدة: يمكن ألا يكون قد كتب على الاطلاق.. لعل قلمه وقع على الأرض فقط...

- لكن. كان يجب ألا تكون هناك بقعة. ما لم يكن قد رفع غطاء القلم.

فقال مستر ساترثوايت: أكاد أقول بأنك على حق.. ولكننى لا أرى وجه الغرابة فى هذا..؟

فقال سير تشارلس: ربما لا يكون هناك شئ غريب.. ولكننى لا أقدر أن أؤكد قبل أن أعود ثانية وأتحقق بنفسى...

واستدارا الى بوابة المنزل.. وبعد دقائق وصلا الى المنزل. وتخلصا من الفضول الذى أثارته عودتهما فقد زعم سير تشارلس أنه ترك قلما فى غرفة الساقى...

قال سير تشارلس وهو يغلق وراءهما باب غرفة أيليس، بعد أن تخلص ببراعة من مساعدة مسز ليكس: دعنا نرى اذا ما كنت أتخبط، أو هناك شئ ما فى نظريتى هذه...

رأى ساترثوايت أن الاحتمال الأول كان هو الأرجح... ولكنه كان أكثر أدبا من أن يقول ذلك... وجلس على الفراش يراقب صاحبه...

قال سير تشارلس وهو يشير الى البقعة بقدمه:

- هذه هى بقعتنا. مواجهة تماما للجانب الآخر من منضدة الكتابة.. فى أى ظروف يسقط الرجل قلمه هكذا هناك...؟

فأجاب مستر ساترثوايت: يمكنك أن تقذف قلمك فى أى مكان..

فقال سير تشارلس موافقا:

- يمكنك أن تقذفه عبر الغرفة بالطبع.. ولكن الإنسان عادة لا يعامل قلمه هكذا.. ان أقلام الحبر تضايق الانسان أحيانا.. ولا ترفض الكتابة.. ربما كان هذا هو التفسير.. لقد فقد ايليس أعصابه قائلا: (لعنة الله على

القلم) وقذف القلم بعيدا عبر الحجرة...

فقال ساترثوايت: أعتقد أن هناك عديدا من التفسيرات.. ربما يكون قد وضع القلم ببساطة على حافة رف المدفأة... وتدحرج.

قام سير تشارلس بتجربة.. فوضع القلم على حافة رف المدفأة.. وسمح له أن يتدحرج من ركن الرف.. وسقط القلم على الأرض بحوالى قدم من البقعة وتدحرج الى ناحية المدفأة..

قال ساترثوايت: حسن.. وما هو تفسيرك...؟

- اننى أحاول أن أجد التفسير...

ومن مجلسه على الفراش شاهد ساترثوايت مشهدا طريفا...

كان سير تشارلس يحاول أن يلقى القلم من يده أثناء سيره فى اتجاه المدفاة... وجرب أن يجلس على حافة الفراش ويكتب ثم يسقط القلم... كان ضروريا أن يقف ويجلس فى كافة الأوضاع المتعبة لكى يجعل القلم يسقط فى المكان المطلوب...

قال سير تشارلس أخيرا بصوت عال: هذا مستحيل!.

ثم قال وهو يفكر: لو انه كان يحرق أوراقا.. ولكن لا أحد يحرق أوراقا فى موقد غاز...

وفجأة بدرت منه شهقة...

أدرك ساترثوايت أن سير تشارلس بدا يتقمص دوره... رآه يمثل دور ايليس الساقى.. فقد جلس يكتب على منضدة الكتابة.. بين لحظة وأخرى كان يرفع عينيه. يصوبهما خلسة من جانب الى جانب.. وفجأة.. بدا وكأنه سمع شيئا.. وخمن ساترثوايت ماذا كان هذا الشئ..؟ انه وقع أقدام فى الممشى...

وكان عند الرجل شعورا بالذنب.. انه فهم شيئا معينا فى هذه الاقدام.. وانتصب واقفا.. والورقة التى كان يكتب فيها فى يده... والقلم فى اليد الأخرى...

وعبر الغرفة الى المدفاة... رأسه نصف ملتفت.. يصغى خائفا.. وحاول أن يدفع بالأوراق تحت الموقد.. ولكى يتمكن من استعمال كلتا يديه، فقد قذف بالقلم نافد الصبر، وسقط قلم سير تشارلس (القلم التمثيلى) فوق بقعة الحبر تماما...

صاح ساترثوايت مهللا: مرحى!...

قال سير تشارلس وهو يستعيد شخصيته الحقيقية ويتكلم بابتهاج وتواضع: أنت ترى.. اذا كان الساقى قد سمع البوليس، أو ما ظن أنه البوليس آتيا.. وكان يريد أن يخفى ما كان يكتبه.. حسن.. أين كان يخفيه...؟ ليس فى الأدراج.. ولا تحت الحشية، لأنه اذا ما قام البوليس بتفتيش الغرفة فسوف يجدها على الفور... ولم يكن لديه وقت ليرفع أرضية الغرفة بالطبع.. الا خلف المدفأة.. فانها كانت الفرصة الوحيدة..؟

فقال ساترثوايت: الخطوة التالية اذن هى ان نبحث عما اذا كان هناك شئ مخبأ خلف المدفأة..

- تماما بالطبع. ربما كان خوفه فى غير محله. ولكن علينا أن نأمل.

ورقد سير تشارلس على الأرض، بعد أن خلع معطفه وشمر عن أكمامه، مركزا عينيه تحت مدفأة الغاز..

قال يبلغ صاحبه النتيجة: هناك شئ هنا.. شئ أبيض.. كيف يمكننا أن نخرجه؟. أريد شيئا مثل مشبك قبعة لسيدة..

قال ساترثوايت بحزن: لم تعد السيدات يستعملن مشابك القبعات.. ربما تصلح مطواة..

ولكن المطواة لم تحقق نتيجة..

وفى النهاية ذهب ساترثوايت واستعار ابرة تريكو من بياتريس، وبالرغم من تشوقها لمعرفة سبب استعارة هذه الإبرة، فان احتشامها منعها من السؤال...

وأدت الإبرة دورها.. وسحب سير تشارلس نصف دستة من الصفحات المكتوبة، المثنية، والملتوية بعضها على بعض.. وكانت مدفوعة تحت المدفأة..

قام الاثنان بتسوية الصفحات وقد زاد انفعالهما.. كانت هذه مسودات عديدة مختلفة لخطاب، كتب بخط أنيق صغير..

ابتدأت المسودة الأولى: كتبت هذا لأقول ان كاتب هذه الرسالة لا يريد أن يسبب أية منغصات.. وربما يكون مخطئا فيما يفكر فى أنه قد رآه هذه الليلة.. ولكن..

هنا وضح أن الكاتب لم يكن راضيا.. فتوقف ليبتدئ من جديد. جون ايليس، الساقى يقدم تحياته، وسيكون سعيدا لمقابلة -صغيرة تمس مأساة الليلة قبل أن يذهب الى البوليس بمعلومات خاصة فى حيازته.

ومازال غير راض.. فحاول مرة أخرى:

جون ايليس، الساقى، عنده حقائق معينة بشأن موت الدكتور انه لم يقدم هذه الحقائق بعد الى البوليس...

وفى الورقة التالية أهمل استعمال ضمير الغائب، وتكلم عن نفسه بصراحة قائلا:

اننى فى حاجة شديدة الى المال.. مبلغ ألف جنيه سيغير كل شئ بالنسبة لى... هناك أشياء معينة أستطيع أن أقولها للبوليس... ولكننى لا أريد أن أثير المتاعب...

وكانت الرسالة الأخيرة أقلها حيطة: اننى أعرف كيف مات الدكتور.. لم أقل شيئا للبوليس بعد...؟ اذا ما قابلتنى...

وتوقف هذا الخطاب بطريقة مختلفة بعد كلمة (قابلتنى).. فلقد امتد القلم فى منعرجات فى الخمس كلمات الأخيرة... وانطمست الكتابة...

كان واضحا تماما أن ايليس أثناء كتابتها قد سمع شيئا أفزعه.. فلقد كوم الأوراق.. وقام ليخفيها..

تنفس ساترثوايت ملء صدره... وقال:

- اننى أهنئك يا كرترايت.. كانت حاستك من ناحية بقعة الحبر

صادقة.. عمل طيب... والآن.. دعنا نرى أين نقف..

وصمت لحظة ثم راح يقول:

- ايليس كما اعتقدنا كان وغدا.. ولكنه لم يكن القاتل.. ولكنه أيضا كان يعرف القاتل.. وكان يستعد ليرسل اليه أو اليها خطاب تهديد لابتزاز المال...

فقاطعه سير تشارلس قائلا: مما يضايق أننا لا نعرف المقصود..

حائران نحن.. لماذا لم يبتدئ صاحبنا واحدا من خطاباته (بسيدى أو سيدتى) حتى كنا نعرف أين نحن...؟

ان ايليس كان شخصا حاذقا.. انه أجهد نفسه كثيرا فى صدد خطاب التهديد والابتزاز.. لو كان أعطانا دليلا واحدا فقط.. دليلا بسيطا صغيرا... لمن كان هذا الخطاب مرسلا..؟

فقال ساترثوايت:

- لا بأس. أننا نتقدم. أتذكر ما قلته من أنك تريد أن تجد فى هذه الغرفة براءة ايليس؟ حسن. لقد وجدناها.. هذه الخطابات تشير الى براءته.. أعنى من القتل. أنه كان وغدا من نواح أخرى. ولكنه لم يقتل سير بارثلومير سترينج. شخص غيره فعل ذلك.. الشخص الذى قتل بابنجتون أيضا؟ أعتقد أنه حتى البوليس سوف يأخذ بوجهة نظرنا.

- هل ستنوى أن تخبر البوليس عن هذا؟

قال سير تشارلس هذا بصوت ينم عن الاستياء...

- لا أرى أنه يمكن أن نفعل غير ذلك..

جلس سير تشارلس على الفراش مطرقا برأسه فى تفكير عميق.. ثم بدأ يقول:

- حسن.. كيف أعبر عن رأيى جيدا؟ اننا فى هذه اللحظة نعرف أشياء لا يعرفها أحد سوانا.. ان البوليس يبحث عن ايليس.. انهم يعتقدون أنه القاتل.. وعلى هذا فان المجرم الحقيقى يشعر بالأمان.. (هو أو هى)

يشعر بطمأنينة.. أليس من المحزن أن نعكس هذا الوضع للأشياء..؟ أليست هذه هى فرصتنا.. أعنى فرصتنا فى ان نجد الصلة بين بابنجتون وواحد من هؤلاء الناس؟ انهم لا يعرفون أن أحدا قد ربط بين هذه الوفاة ووفاة بابنجتون.. انهم لن يتشككوا فى شئ... انها فرصة وحيدة...

فقال ساترثوايت: اننى أفهم ما تعنيه.. وأنا موافق معك... انها فرصة.. ولكن لا أظن أنه يمكنا انتهازها.. أن واجبنا كمواطنين أن نبلغ هذا الاكتشاف الذى توصلنا اليه الى البوليس فى الحال.. لا حق لنا فى اخفائه عنهم...

نظر اليه سير تشارلس نظرة غامضة وقال:

- انك من طراز المواطن الصالح يا ساترثوايت.. لا شك عندى فى أن العمل السليم هو الذى يجب أن يتخذ... ولكننى لست مواطنا صالحا مثلك.. اننى لن أجد أى تردد فى الاحتفاظ بهذا الامر لنفسى يوما أو اثنين.. ايه.. لا؟ حسنا. اننى قد سلمت.. فلنكن من دعائم القانون والنظام.

فقال ساترثوايت يشرح غرضه:

- أنت ترى أن جونسون صديق لى.. وكان لطيفا معنا جدا من ناحية هذا الموضوع كله، لقد أعطانا كل المعلومات التى اكتشفها البوليس.. وكل هذا بفضله هو.

فتنهد سير تشارلس قائلا:

- انك على حق.. على حق تماما.. فقط لم يفكر أحد سواى فى أن ينظر تحت المدفأة.. ان الفكرة لم تخطر قط على رجال البوليس الغلاظ العقول.. ولكن ليكن ما تريد... اننى أقول يا ساترثوايت... أين تظن أيليس الآن...؟

- أظن أنه نال ما كان يريده... لقد دفع له ليختفى..؟ ولقد اختفى بطريقة فعالة جدا...

فقال سير تشارلس: أعتقد أن هذا هو التفسير...

وعرته هزة خفيفة وهو يقول:

- اننى لا أحب هذه الغرفة يا ساترثوايت... تعال نخرج منها...

الفصل السابع
خطة الحملة



عاد سير تشارلس ومستر ساترثوايت الى لندن فى مساء اليوم التالى.

وأدير الحديث مع كولونيل جونسون بلباقة.. وأما المفتش كروسفيلد فلم يكن راضيا لأن اثنين من السادة الهواة وجدا شيئا عجز عن ايجاده مساعدوه.. لقد وجد مشقة لإخفاء خجله.. على أنه قال:

- انه شئ عظيم للغاية يا سيدى.. اننى لم أفكر بتاتا فى النظر تحت المدفأة.. ترى ما الذى جعلكم تبحثون فى هذا المكان؟

لم يكن فى نية الرجلين أن يتوسعا فى شرح الاستدلال النظرى الذى جعلهما ينتقلان من بقعة الحبر. الى الاكتشاف الذى توصلا اليه.. ولكن سير تشارلس قال بايجاز:

- كان مجرد فضول من جانبنا..

واستمر المفتش قائلا: مع ذلك فقد بحثتم ووجدتم.. وليس معنى ذلك أن هذا قد أدهشنى.. فان المعقول أن ايليس اذا لم يكن القاتل، فلابد أنه اختفى لسبب أو لآخر.. وقد كان فى ذهنى طول الوقت أن التهديد والابتزاز هو اختصاصه ونوع النشاط الذى يمارسه..

شئ واحد ترتب على هذا الاكتشاف..؟ فان كولونيل جونسون عزم على الاتصال ببوليس لوماوث.. فمن المؤكد أن وفاة ستيفن بابنجتون

يجب أن تكون محل تحقيق..

وقال سير تشارلس أثناء اسراعهما الى لندن:

- واذا وجدوا أن وفاته كانت بسم النيكوتين، فانه حتى كروسفيلد سوف يعترف بأن هناك ارتباط بين حادثتى الوفاة.

وكان لا يزال مستاء من تقديم اكتشافه للبوليس..

وقد حاول ساترثوايت التخفيف عنه بقوله ان المعلومات لن تكون عامة أو تنشر فى الصحف.. وأضاف قائلا:

- ان المجرم لن يشعر بشئ.. والبحث عن ايليس سيظل مستمرا..

فاقر سير تشارلس هذا الكلام..

وعند وصولهما الى لندن أوضح لمستر ساترثوايت بأنه قد عزم على الاتصال بايج لايتون كور.. فان خطابها قد كتب من عنوان فى ميدان بلجريف، ويأمل أن تكون مازالت هناك..

فوافق ساترثوايت على هذا الاجراء برصانة.. هو نفسه كان متلهفا لرؤية ايج.. واتفقا على أن يتصل بها سير تشارلس تليفونيا حال وصولهما الى لندن..

وتبين أن ايج موجودة فى المدينة هى وأمها.. كانتا تقيمان مع بعض الأقارب، ولن تعودا الى لوماوث قبل أسبوع.. وقبلت ايج ببساطة أن تتناول العشاء مع الرجلين خارج البيت.

قال سير تشارلس وهو يدور بعينيه فى شقته الفخمة:

- أعتقد أنها لن تقبل الحضور الى هنا.. أمها قد لا تحب ذلك.. بالطبع يمكن أن تكون معنا مس ميلراى أيضا.. ولكننى لا أفضل هذا.. انها مقتدرة أكثر من اللازم..

واقترح ساترثوايت أن يذهبوا الى منزله.. ثم استقر الرأى أخيرا على العشاء فى مطعم (بيركلى) وبعد ذلك -اذا ما رغبت ايج- يمكنهم الذهاب الى أى مكان آخر.

ولاحظ مستر ساترثوايت على الفور نبول ايج وأنها أكثر نحافة.. وبدت عيناها محمومتين وأكثر اتساعا.. وكانت هناك دوائر تحت عينيها..؟ ولكنها بدت جذابة كما هى دائما.. وتوثبها الطفولى فى عنفوانه كالعهد بها..

قالت لسير تشارلس: كنت أعلم أنك ستأتى..

وكأنما كانت تريد أن تقول:

والآن وقد جئت فان كل شئ سيكون على ما يرام..

وفكر مستر ساترثوايت فى نفسه.. ولكنها لم تكن متأكدة من حضوره... لم تكن متأكدة بتاتا.. انها كانت فى حيرة وقلق شديدين.

ثم استمر فى خواطره ألا يفهم هذا الرجل؟ ان الممثلين عادة مغرورين بما فيه الكفاية، ألا يعرف أن الفتاة غارقة لأذنيها فى هواه...

ولقد فكر فى أنه موقف غريب.. وبأن سير تشارلس أيضا غارق فى حبها.. أنه لا يشك فى ذلك.. وكانت هى مثله تماما فى هذا الحب.. والرباط بينهما -ذلك الرباط الذى جعل كلا منهما يلتصق بالآخر بجنون- كانت جريمة... جريمة مزدوجة مروعة...

وأثناء العشاء كان الحديث قليلا.. فقد تكلم سير تشارلس عن تجاربة فى الخارج.. وتكلمت ايج عن لوماوت.. وكان ساترثوايت يستمع ويشجع كلا منهما عندما يشعر أن المحادثة على وشك أن تتوقف.. وعندما انتهى العشاء. ذهبوا الى منزل ساترثوايت..

كان منزل ساترثوايت كبيرا يحتوى على أعمال فنية كثيرة.. فهناك كانت الصور وقطع الخزف الصينى المنقوشة نقشا فنيا دقيقا والعاج... والتحف والأوانى المعدنية.. وقطع من الأثاث الأثرى الثمين، ذات قيمة تاريخية وفنية لا مثيل لها.. كان جو المنزل يوحى بالنضج والفهم...

لكن ايج لايتون كور لم تر شيئا مع هذا كله ولم تلتفت اليه.. انها ألقت بمعطف السهرة على المقعد قائلة: أخيرا؟ والآن قل لى كل شئ.

وأصغت باهتمام بالغ الى سير تشارلس عندما حدثها عن مغامرتهما في يوركشير. ولم تتمالك أن شهقت عندما وصف اكتشاف خطابات التهديد والابتزاز. وأنهى سير تشارلس حديثه قائلا:

وما حدث بعد ذلك يمكننا فقط أن نخمنه... المفروض أن ايليس قد دفع له جيدا ليمسك لسانه، وقد اتخذت اجراءات لتسهيل فراره بعد ذلك..

ولكن ايج هزت رأسها قائلة: لا.. لا. الا ترى؟ لقد مات ايليس..

بهت الرجلان..؟ ولكن ايج أعادت تأكيداتها قائلة:

- بالطبع لقد مات... لذلك نجح اختفاؤه هكذا، بحيث لم يجد له أحد أى أثر.. انه عرف كثيرا.. كثيرا جدا، لذا فقد قتل... ان ايليس هو القتيل الثالث...

وعلى الرغم من ان كلا الرجلين لم يرد إمكانية حدوث هذا الأمر من قبل، ولكنهما اضطرا للاعتراف بأنه لا يبدو خاطئا...

ولكن سير تشارلس عاد يجادلها قائلا:

- لكن.. انظرى يا فتاتى العزيزة...؟ كل هذا حسن عندما تقولين أن ايليس قد مات.. أين الجثة؟

فقالت ايج: لا أعرف أين الجثة. لابد وأن تكون. هناك أماكن عديدة.

وغمغم ساترثوايت:صعب.. صعب...

وعادت ايج تقول: أماكن عديدة.. عديدة...

وتوقفت برهة، ثم أضافت:

- دعنى أفكر.. غرفة السطح.. هناك عديد من هذه الغرفة لا يدخلها أحد.. ربما تكون جثته فى غرفة السطح...

فقال سير تشارلس:

- غير ممكن، ولكنه محتمل بالطبع.. ان اكتشاف الجثة قد يتأخر... ولكن الى فترة... فأصرت الفتاة على رأيها، وقالت وقد فطنت الى ما يدور

في ذهن سير تشارلس:

- الرائحة تصعد الى فوق، لا الى تحت... انك تكشف الجثة في البدروم، أقرب منها في السطح، وعلى أي حال فقد يظن الناس أنه فأر ميت...

- اذا كانت نظريتك سليمة فانها تعني أن القاتل رجل. فان أية امرأة لا يمكنها أن تجر جثة حول المنزل. انها عملية ممكنة لرجل فقط.

- حسن.. ان هناك احتمالات أخرى.. أنت تعرف أنه يوجد ممر سري.. لقد أخبرتني مس ساتكليف بذلك.. وقد أخبرني سير بارثلومير مرة بأنه سوف يريه لي... لقد أعطى القاتل النقود لايليس.. وأرشده الى طريق الخروج من المنزل.. ونزل معه الى الممر.. وسارا فيه سويا.. وهناك قتله..؟ ان امرأة يمكنها أن تفعل ذلك... يمكنها أن تطعنه بأي شئ من الخلف..؟ وبعدئذ، يمكنها أن نترك الجثة كما هي، وتعود ثانية.. ولن يعرف أحد شيئا...

هز سير تشارلس رأسه في شك. ولكنه لم يعد يعارضها في نظريتها.. ولقد شعر ساترثوايت بنفس هذا الشعور في اللحظة التي عثرا فيها على خطابات ايليس في غرفته. وتذكر رعشة سير تشارلس وقتها حينما خطرت له الفكرة من أن ايليس ربما يكون قد قتل...

وفكر مستر ساترثوايت لنفسه:

- اذا كان ايليس قد قتل، فاننا نتعامل مع شخص شديد الخطورة.. وشعر بقشعريرة خوف باردة تسري في ظهره.

ان الشخص الذي قتل ثلاث مرات.. لن يتردد في القتل مرة أخرى.

أنهم هم الثلاثة في خطر.. سير تشارلس.. وايج.. وهو نفسه...

اذا ما اكتشفوا كثيرا... فان...

وثاب الى نفسه على صوت سير تشارلس يقول له:

- هناك شئ واحد لم أفهمه في خطابك يا ايج.. لقد تكلمت عن أوليفر ماندرز.. وأنه في خطر لأن البوليس يشك فيه.. انني لم أر أي

بادرة شك فى أمره من ناحية البوليس..

قد بدا لمستر ساترثوايت أن ايج قد انزعجت قليلا.. بل خيل اليه أنها قد خجلت وقال ساترثوايت لنفسه:

- دعنا نرى كيف تتخلصين من هذا الموقف يا سيدتى الصغيرة...

قالت ايج: لقد كانت سخافة منى.. كنت مرتبكة.. ظننت أن أوليفر ماندورز بطريقة وصوله هذه ربما يكون قد أخذ عليه هذا العذر المختلق... لا بأس كنت أظن أن البوليس سوف يشتبه فيه حتما...

وقبل سير تشارلس هذا التفسير ببساطة تامة، قائلا:

- نعم.. فهمت...

وتكلم مستر ساترثوايت فقال: هذا كان عذرا مختلقا...؟

فاستدارت ايج له وقالت: ماذا تقصد؟..

- انها كانت حادثة غريبة. اعتقد أنها لو كانت مختلقة لعرفت أنت.

هزت ايج رأسها.. وقالت: لا أعرف.. اننى لم افكر فيها.. لكن لماذا يفتعل أوليفر حادثة اذا لم تحدث فعلا...

فقال سير تشارلس: ربما كانت لديه أسباب. أسباب طبيعية تماما.

وكان ينظر اليها مبتسما.. فكست وجه ايج حمرة قرمزية... وقالت: أوه.. لا.. لا..

تنهد سير تشارلس، وبدا لمستر ساترثوايت أن صديقه قد أخذ هذا الاحمرار على محمل خاطئ تماما.. وكان سير تشارلس أكثر حزنا وأكبر سنا عندما تكلم ثانية:

قال: حسن.. اذا كان صديقنا فى خطر.. فما فائدتى اذن؟

فتقدمت ايج نحوه مسرعة.. وأمسكته من كم معطفه قائلة:

- انك لتبتعد مرة أخرى.. تنفض يديك من القضية... انك ستجد الحقيقة.. الحقيقة لا أعتقد أن غيرك يمكن أن يتوصل اليها.. أنت

تقدر.. وأنت ستفعل..

كانت تتكلم بجد كبير. وبدت أمواج حيويتها فوارة فى جو الغرفة العتيق؟

فقال سير تشارلس متأثرا: أنت تؤمنين بى..؟

- نعم!.. نعم.. انك ستتوصل الى الحقيقة.. أنت وأنا معا...

- وساترثوايت...؟

قالت ايج بلا اهتمام: بالطبع.. بالطبع.. ومستر ساترثوايت...

ابتسم ساترثوايت خفية... وسواء أرادت ايج أن تضمه اليها أو لم ترد، فانه قد عقد العزم الا يستبعد...؟ انه مغرم بالقضايا الخفية، وهو يحب دراسة الطبيعة الإنسانية.. وعنده نقطة ضعف من ناحية المحبين.. ومن المحتمل أن هذه الهوايات الثلاث سوف تجد ما يشبعها فى هذه القضية..

وجلس سير تشارلس.. وتغير صوته.. لقد أصبح الزمام فى يده، يشرف على الإخراج...

وبدأ يقول:

- أول كل شئ.. علينا أن نوضح الموقف.. هل نؤمن أو لا نؤمن بأن نفس الشخص هو قاتل بابنجتون سترينج..؟

قالت ايج: نعم..

وقال ساترثوايت: نعم..

- هل نعتقد بأن جريمة القتل الثانية تفرعت رأسا من الجريمة الأولى؟ أقصد.. هل نعتقد بأن سير بارثلومير قد قتل لمنعه من اعلان الحقائق عن جريمة القتل الأولى.. أو شكوكه فيها؟ قالت ايج وساترثوايت للمرة الثانية ولكن فى نفس الوقت: نعم...

- اذن..فان الجريمة الأولى هى التى يجب أن نحققها. لا الثانية.

فأومأت ايج برأسها موافقة..

- من رأيى انه الى أن يتيسر اكتشاف الباعث على الجريمة الأولى.

فلا يكاد لهما من أمل فى اكتشاف القاتل.. ان الدافع أمر يبدو فى غاية الصعوبة.. كان بابنجتون مسالما.. ودودا لطيفا.. متقدما فى السن.. ويمكن القول انه بلا عدو واحد فى العالم كله.. ومع ذلك فقد قتل.. ولابد أن يكون هناك سبب ما لقتله... ولابد لنا من البحث عن هذا السبب...

وصمت قليلا، ثم عاد ليقول بصوته العادى:

- لنتعمق فى المسألة.. ما هى الأسباب التى تدعو الناس الى القتل...؟ أعتقد أنه، أولا، الكسب...

وقالت ايج: الانتقام..

فقال سير تنشارلس:

- لنفترض مثلا ان بابنجتون قد رأى شخصا معينا فى مكان معين فى وقت معين.. وبقدر ما يعلمه فلا يوجد أى سبب يمنع هذا الشخص من الوجود هنا... ولكن لنفترض أيضا ان هذا الشخص قد افتعل ببراعة وجودة بعيدا عن مسرح واقعة ما، لكى يثبت أنه فى هذا الوقت كان فى مكان ما يبعد مئات الأميال عن مسرح الواقعة.. حسن.. ان بابنجتون العجوز يمكن فى أى وقت وببساطة تامة أن يكشف الحقيقة ويفضح السر...

فقالت ايج: آه. فهمت قصدك! لنقل ان جريمة قتل ارتكبت فى لندن. وبابنجتون رأى الرجل الذى فعل ذلك فى محطة بابنجتون. ولكن الرجل أثبت غيابه عن مسرح الجريمة مشيرا الى انه كان فى ليدز فى ذلك الوقت اذن فان بابنجتون قد يكشف الحقيقة ويفضح السر..

- هذا ما أعنيه بالضبط.. بالطبع ما هو الا مثال.. ربما يكون شيئا آخر. شخص رآه فى ذلك المساء وكان يعرفه باسم آخر مختلف..

فقالت ايج: ربما يكون شيئا متصلا بالزواج.. فان القساوسة يعقدون زيجات كثيرة.. شخص ارتكب جريمة الزواج بأكثر من زوجة...

فأبدى ساترثوايت رأيه قائلا:

أو ربما هو شئ يتصل بالميلاد أو الوفاة.

فقال ايج مقطبة: انه مجال واسـع.. علينا أن نصل الى الحقيقة بالطريقة العكسية... نبدأ العمل على أساس الناس الذين كانوا هناك... لنعمل كشفا بهم.. من كان فى منزلك.. ومن كان فى منزل سير بارثلومير..

وأخذت ايج الورقة والقلم من سير تشارلس وبدأت تكتب:

- داكريس وزوجته كانا فى المنزلين.. هذه المرأة التى تشبه الكرنبة الذابلة.. ما اسمها؟ ويلز.. ثم مس ساتكليف.

فقال سير تشارلس:

- يمكن أن تتركى انجيلا.. اننى أعرفها منذ سنوات..

تجهمت ايج، وقالت معترضة: لا يمكن أن نفعل هذا.. نترك الناس لأننا نعرفهم لابد أن نكون عمليين.. وفضلا عن ذلك فاننى لا أعرف أى شئ عن انجيلا ساتكليف.. انها يمكن أن تكون هى الفاعلة مثل أى واحد آخر.. بل فى رأيى انها أكثر احتمالا... فان كل الممثلات لهن ماض. اننى أعتقد اجمالا أنها الشخص الذى يمكن أن يكون الفاعل.

وحدقت متحدية فى سير تشارلس.. فرد عليها بنظرة كالشرر لمعت فى عينيه: فى هذه الحالة... يجب علينا ألا نترك أوليفر ماندرز...

- كيف يمكن أن يكون هو أوليفر؟ لقد قابل مستر بابنجتون مرات عديدة قبل ذلك..

- لقد كان فى المكانين.. وطريقة وصوله عرضة للشك...

قالت ايج: حسن جدا..

ثم أضافت:

- فى هذه الحالة، من الأفضل أن أضع أمى، وأنا أيضا كذلك...

- هذا يجعل المشتبه فيهم ستة...

- لا أظن...

فبرقت عيناها قائلة: وأما أن تعمل بدقة.. أو.. لا كلية..

وتدخل مستر ساترثوايت لاستعادة السلام.. فقرع الجرس طالبا بعض المرطبات...

وانزوى سير تشارلس فى ركن بعيد متشاغلا بفحص تمثال.. وأتت ايج ناحية ساترثوايت وأمسكت بذراعه.. وغمغمت:

- كان حماقة منى أن أفقد أعصابى.. اننى حمقاء.. لكن لماذا تستثنى تلك المرأة؟

- لماذا أبدى مثل هذه الحماسة لاستثنائها... أوه يا عزيزتى!.. لماذا أنا غيورة من هذا بحق الشيطان؟

ابتسم ساترثوايت وربت على يدها قائلا: الغيرة لا تفيد يا عزيزتى... اذا شعرت بالغيرة، فلا تظهريها أبدا.. على فكرة، هل حقيقة تعتقدين أنه يمكن أن يشتبه فى ماندرز؟..

فابتسمت ايج، ابتسامة صبيانية ودودة، وأجابت:

- بالطبع لا.. اننى قلت ذلك حتى لا أزعج الرجل..

وادارت رأسها... كان سير تشارلس مازال متشاغلا بفحص التمثال باكتئاب.. فاستطردت تقول:

- أنت تعرف أننى لا أريده أن يشعر بأنه مطارد من ناحية الشاب... اننى لا أريده أن يعتقد بأننى حقيقة أميل الى أوليفر.. لأنه لا ميل عندى.. كم هو صعب كل شئ! لقد عاد الآن الى كآبته... اننى لا أريد ذلك أبد..

فقال ساترثوايت ينصحها: كونى صبورة. أنت تعرفين أن كل شئ يكون على ما يرام فى النهاية..

فقالت ايج:

لا صبر عندى.. اننى أريد الأشياء فى الحال.. أو حتى.. أسرع..

ضحك ساترثوايت.. وعاد سير تشارلس اليهما..

وعندما يرتشفون شرابهم، فانهم نظموا خطة لحملتهم.. كان على سير تشارلس أن يعود الى (كروزنست) التى لم يجد لها مشتريا حتى الآن... وتعود ايج وأمها الى (روزكوتيج) أسرع مما كان فى نيتهما... وكانت مسز بابنجتون مازالت تعيش فى لوماوث.. عليهم أن يأخذوا منها المعلومات على قدر المستطاع... وبعدئذ يبدأون العمل على أساسها...

قالت ايج: اننا سننجح.. أعرف اننا سننجح..

ومالت الى ناحية سير تشارلس وعيناها تبرقان... وحملت كأسها لتلامس كأسه...

قال: اشرب نخب نجاحنا...

وببطء... ببطء شديد.. ركز عينيه فى عينيها... ورفع كأسه الى شفتيه قائلا: نخب النجاح... والمستقبل...

***

المشهد الثالث الاكتشاف مسز بابنجتون



كانت مسز بابنجتون قد انتقلت الى كوخ لأحد الصيادين غير بعيد عن الميناء.. كانت تتوقع حضور شقيقة لها من اليابان في خلال ستة أشهر، وحين وصول شقيقتها هذه، كانت تعيش بلا تخطيط للمستقبل... وتصادف ان الكوخ كان خاليا.. فاستأجرته لستة أشهر...

لقد شعرت بالحيرة الشديدة لخسارتها المفاجئة ولم تستطع الانتقال بعيدا عن لوماوث.. لقد عاش معها ستيفان بابنجتون سبعة عشر عاما فى هناء وسكينة، بالرغم من أحزانها لوفاة ابنها (روبين). ومن أبنائها الباقين كان أدوارد فى سيلان، ولويد فى جنوب أفريقيا، وستيفان يعمل ضابطا فى السفينة انجوليا، وقد كتبوا كلهم يبثونها مشاعرهم الحارة.. ولكنهم لم يتمكنوا من أن يقدموا لها المسكن... ولا أن يكونوا برفقتها ليؤنسوها فى الوحشة..

كانت مرجريت بابنجوت شديدة الوحدة.. ولكى لا تدع لنفسها وقتا كبيرا للتفكير فى أحزانها، فإنها استمرت فى العمل والنشاط فى الأبرشية.. وكان الراعى الجديد غير متزوج.. كما إنها كانت تمضى وقتا كبيرا فى العمل فى قطعة الأرض الصغيرة الموجودة أمام الكوخ... كانت امرأة - الأزهار جزء من حياتها..

وفى مساء يوم بينما كانت تمارس عملها سمعت صفق البوابة..

ورفعت نظرها لتجد سير تشارلس كارتريت وايج لايتون كور..

لم تندهش مارجريت لرؤية ايج.. كانت تعرف ان الفتاة وأمها لابد أن تعودا يوما. ولكنها دهشت لرؤية سير تشارلس كارتريت.. فقد أكدت الاشاعات أن سير تشارلس قد هجر المكان نهائيا.. وكانت هناك أنباء الصحف تعلن عما يفعله فى جنوب فرنسا.. وهناك أيضا لافتة (للبيع) ألصقت بجدار حديقة (كروزنست).. ولم يتوقع أحد عودة سير تشارلس.. ولكنه عاد...

أزاحـت مسز بابنجتون شعرها غير المنسق من على جبينها.. وتطلعت باستياء الى يديها الموحلتين... قالت:

- لست فى حالة تسمح لى بالمصافحة... أعرف انه كان من الواجب ان استعمل القفاز فى تنسيق الحديقة.. اننى ابتدئ بالقفاز فى بعض الأحيان.. ولكننى سرعان ما أزيحه عاجلا أو آجلا.. ان الإنسان يستشعر الأشياء جيدا بأيد عارية...

وقادتهما الى حجرة الجلوس الصغيرة.. وكانت هناك صور.. وقفازات مرسومة وملونة بزهور الكريزانتين... وقالت:

- انها لمفاجأة كبرى أن أراك هنا يا سير تشارلس... لقد ظننت أنك قد غادرت (كروزنست) نهائيا..

قال الممثل بصراحة: لقد أعتقدت بأننى فعلت ذلك يا مسز بابنجتون.. ولكن... فى بعض الأحيان يكون قدرنا أقوى منا.

ولم تجب مسز بابنجتون... والتفتت ناحية ايج.. فقالت الفتاة:

- انظرى يا مسز بابنجتون. انها ليست مجرد زيارة من سير تشارلس ومنى. ولكن عندنا شئ خطير لنقوله لك. فقط. أكره ان نزعجك.

أدارت مسز بابنجتون نظراتها من الفتاة الى سير تشارلس وقد أكفهر وجهها...

فقال سير تشارلس: أول كل شئ... أود أن أسألك.. هل تلقيت أية

مكالمة أو اتصالات من وزارة الداخلية؟

أحنت مسز بابنجتون رأسها... فقال:

- حسن.. هذا يجعل ما نبحث عنه أكثر سهولة..

- هل هذا ما أتيت من أجله؟.. الأمر باستخراج الجثة لتشريحها؟

- نعم.. أنه هو.. أخشى أنه سيكون شديد الوطأة عليك..

فدنت لما آنسته من عطف فى صوته... وقالت:

- ربما لا يضيرنى هذا الأمر كما تظن.. ان فكرة استخراج الجثة وتشريحها تبدو لبعض الناس ولكنها ليست كذلك بالنسبة لى.. ليست العظام هى التى تهم فى مثل هذه المسائل. ان زوجى العزيز فى مكان آخر. فى سلام.. حيث لا يمكن لأى مخلوق أن يزعج راحته. لا. لا. انها ليست هذه الفكرة.. انها الصدمة المتسببة عن الفكرة ذاتها، من أن ستيفان لم يمت ميتة طبيعية. انها تبدو مستحيلة. مستحيلة تماما.

- أخشى أنها تبدو كذلك لك أنت. وقد بدت لنا هكذا. أول الأمر.

- ماذا تعنى بقولك (من أول الأمر) يا سير تشارلس..؟

- لأن الشك طاف بذهنى فى ليلة وفاة زوجك.. ولقد بدأ لى فى غاية الاستحالة، حتى اننى تركته جانبا...

وقالت ايج: وهذا ما خطر لى أنا أيضا..

نظرت اليها مسز بابنجتون فى تعب.. وقالت:

- أنت أيضا؟.. أعتقدت أن أحدا قتل ستيفان؟.

وكان الشك وعدم التصديق فى صوتها كبيرا جدا الى حد أن زائريها لم يعرفا كيف يتصرفان... وأخيرا.. راح سير تشارلس يقول:

- كما تعرفين يا مسز بابنجتون، اننى سافرت الى الخارج.. وعندما كنت فى جنوب فرنسا قرأت فى الجرائد خبر موت صديقى بارثلومير سترينج.. وكان مطابقا تماما لنفس الظروف... وتسلمت أيضا خطابا من مس لايتون كور...

فأومأت ايج برأسها وقالت: لقد كنت هناك كما تعلمين يا مسز

بابنجتون... كنت مقيمة عنده فى ذلك الوقت.. وحدث نفس الشئ تماما.. لقد احتسى كأسا من نبيذ البورت.. وتغير وجهه.. ثم.. ثم.. نفس الشئ.. لقد توفى بعد دقيقتين أو ثلاثة..

هزت مسز بابنجتون رأسها ببطء وقالت: لا أستطيع أن أفهم. ستيفان!. وسير بارثلومير!. طبيب ماهر طيب.. من يمكن أن يفكر فى ايذاء احدهما.. لابد وأن يكون هناك خطأ ما.

فقال سير تشارلس:

- تذكرى انه قد ثبت أن سير بارثلومير مات مسموما...

- اذن.. لن يكون هذا العمل الا من مجنون!..

واستمر سير تشارلس يقول:

- مسز بابنجتون.. اننى أريد أن أغوص فى أعماق هذا الأمر.. أريد أن أجد الحقيقة.. وأشعر بأنه لا وقت هناك لنضيعه.. وما أن ينتشر الخبر عن استخراج الجثة لتشريحها فان المجرم سيكون على حذر.. واننى أفترض سلفا، توفيرا للوقت ماذا ستكون نتيجة تشريح جثة زوجك.. فأننى أقول بأنه هو أيضا قد مات بسم النيكوتين..؟ ولنبتدئ بهذا، فهل تعرفين أنت.. أو كان يعرف هو أى شئ عن استعمال النيكوتين الخالص؟...

- أننى دائما استعمل محلول النيكوتين لرش الأزهار.. ولم أكن أدرى أنه سام..

- اننى أتصور (وكنت اقرأ عن هذا الموضوع ليلة البارحة) بأنه لابد وأن تكون المادة القلوية الخالصة قد استعملت فى كلتا الحالتين.. ان حالات التسمم بالنيكوتين هى حالات غير عادية.

هزت مسز بابنجتون رأسها وقالت:

- اننى فى الحقيقة لا أعرف أى شئ عن سم النيكوتين.. سوى أن المدخنين المدمنين يقاسون منه.

- وهل كان زوجك يدخن...؟

- نعم...
- والآن.. أخبرينى يا مسز بابنجتون.. لقد عبرت عن أقصى حالات الدهشة من أن يفكر أحدا فى القضاء على زوجك.. هل يعنى هذا أنه لم يكن له أعداء، بقدر ما تعلمين؟
- اننى متأكدة من أن ستيفان لم يكن له أعداء.. كل انسان يحبه جدا.. لا يمكنك ألا أن تحب ستيفان يا سير تشارلس..
وأخذت ايج دور المحقق، فقالت:
- مسز بابنجتون.. هل تظنين أن زوجك كان قد قابل أى فرد من ضيوف سير تشارلس فى تلك الليلة... قبل ذلك؟
بدت مسز بابنجتون متحيرة قليلا...
- حسنا. لقد كنت أنت. ووالدتك يا عزيزتى. وأوليفر ماندرز الشاب.
- نعم.. ولكن أى واحد من الآخرين..؟
لقد شاهدنا نحن الاثنين أنجيلا ساتكليف فى مسرحية فى لندن منذ خمس سنين.. وكنا فى شدة الاهتمام لأننا سوف نقابلها فعلا...
وهل لم تقابلاها فعلا من قبل..؟ لا لم نقابل أية ممثلة.. أو ممثل، حتى جاء سيز تشارلس وأقام هنا..
وأضافت مسز بابنجتون:
- وكان هذا قمة الاثارة. اننى لا أظن أن سير تشارلس يعرف روعة هذا الأمر بالنسبة لنا. كانت كنسمة من الرومانسية فى حياتنا..
- أو لم تقابلى كابتن ومسز داكريس؟
- هل هو ذلك الرجل القصير.. والمرأة ذات الملابس الرائعة؟..
- نعم..
- لا.. ولا المرأة الأخرى.. التى تكتب مسرحيات.. يا للمسكينة.. أعتقد أنها بعيدة كل البعد عن هذا الأمر...
- هل أنت متأكدة من أنك لم تقابلى واحدا منهم من قبل...؟

- أننى متأكدة تمام التأكد.. كذلك أنا واثقة بأن ستيفان كذلك.. الحقيقة أننا كنا نفعل كل شئ سويا.

فقالت ايج بإلحاح: ومستر بابنجتون.. ألم يقل لك أى شئ.. أى شئ مطلقا عن الناس الذين سوف تقابلينهم... أو عنهم عندما رآهم..؟

- لا شئ يعتد به.. سوى أنه كان ينتظر سهرة ممتعة.. وعندما ذهبنا الى هناك.. حسنا.. لم يفسح لنا فى الوقت....

واختلج وجهها فجأة...؟

وهنا تدخل سير تشارلس بسرعة: أرجو أن تغفرى لنا تطفلنا عليك هكذا.

ولكنك ترين أننا نشعر بأن هناك شيئا ما، لو تمكنا من التوصل اليه... لابد أن تكون هناك بعض الأسباب لهذه الجريمة الوحشية التى لا معنى لها..

فقالت مسز بابنجتون: أنمنى أرى ذلك.. اذا كانت هناك جريمة قتل، فلابد وأن يكون هناك سبب.. لكننى لا أعرف ولا أتصور ما يمكن أن يكون هذا السبب..

وكانت هناك لحظة صمت.. قال بعدها سير تشارلس:

- اننى لا أعرف فيما أفكر.. لقد رأى بارثلومير شيئا.. أو خمن شيئا.. وبارثلومير سترينج مات بنفس الكيفية... وخمسة أشخاص...

قاطعته ايج: بل سبعة...

- من هؤلاء الناس كانوا أيضا حاضرين... ولابد أن يكون واحد منهم هو الجانى...

فهتفت مسز بابنجتون:

- ولكن... لماذا.. لماذا..؟ ما هو الدافع الذى يدعو أى واحد منهم لقتل ستيفان..؟

فقال سير تشارلس:

- هذا هو ما ننوى أن نتوصل الى اكتشافه...

***

الفصل الثانى
ليدى مارى



كان مستر ساترثوايت قد جاء مع سير تشارلس الى (كروزنست)...؟وفى أثناء زيارة مضيفه مع ايج لايتون كور لمسز بابنجتون، كان ساترويات يتناول الشاى مع ليدى مارى...

ان ليدى مارى قد اختصت مستر ساترثوايت بمودتها. ورغم رقتها فقد كانت لها وجهة نظر قاطعة فى موضوع من تحبهم أو لا تحبهم...

وارتشف مستر ساترثوايت رشفة من الشاى الصينى مع قطعة من الشطائر وهما يتسامران...

ففى زيارته الأخيرة وجد الاثنان كثيرا من الأصدقاء والمعارف المشتركين.. وقد بدأ حديثهما اليوم بنفس الموضوع.. ولكن تشعب بالتدريج الى النواحى الشخصية.. كان مستر ساترثوايت رجلا عطوفا يستمع الى متاعب الناس بدون حشر شئونه الخاصة. وحتى فى الزيارة الأخيرة فان ليدى مارى حدثته عن قلقها بشأن مستقبل ابنتها.. وهكذا جعلت تحدثه اليوم كما تتحدث الى صديق عرفته من عدة سنين...

قالت: ان ايج عنيدة. انها تجازف بنفسها فى أى موضوع قلبا وروحا. اننى لا أحب طريقتها فى الزج بنفسها فى هذه المسألة المحزنة.؟ أنا أعرف أن ايج ستهزأ منى. ولكنها تبدو غير مستحبة لسيدة.

وتضرج وجهها احمرارا أثناء الحديث، وعيناها العسليتان تتطلعان بنظرة طفولية لطيفة الى مستر ساترثوايت...

قال:

- أنا أعرف ماذا تقدين.. أعترف بأننى أنا نفسى لا أستسيغ هذا... لكن لا يمكن أن نتوقع من الشابات أن يجلسن فى المنزل للحياكة ويتجنبن مسائل الجرائم فى مثل هذه الأيام المتقدمة..

قالت ليدى مارى: اننى لا أحب أن أفكر فى القتل... اننى لم أحلم ابدا بأن يكون لى شأن فى شئ من هذا اللون... أنه مخيف.. مخيف.

وارتجفت قائلة: مسكين سير بارتلومير...

فسألها مستر ساترثوايت مجازفة:

- ألم تكونى تعرفينه جيدا..؟

- أظن أننى قابلته مرتين.. المرة الأولى منذ عام مضى.. عندما جاء ليمضى عطلة نهاية الأسبوع مع سير تشارلس.. والمرة الثانية كانت فى تلك الليلة المرعبة.. عندما توفى مستر بابنجتون.. فى الحقيقة كنت فى أشد الدهشة عندما وصلتنى دعوته.. وقد قبلتها لأننى فكرت فى أن ايج ربما تسعد بها.. ان طفلتى المسكينة ليست لها صداقات كثيرة.. انها لا تستمتع بأى شئ.. وظننت أن حفلة منزلية كبيرة ربما تدخل البهجة والانشراح الى نفسها...

فأومأ ساترثوايت ايجابا، ثم قال: أخبرينى عن شئ يتعلق بأوليفر ماندرز.. ان هذا الشاب يروقنى...

وقالت ليدى مارى: أعتقد أنه شاب ماهر.. وبالطبع كانت الأمور صعبة بالنسبة له..

واصطبغ وجهها بحمرة الخجل.. وللرد على الاستفسار البسيط الذى بدا فى عينى ساترثوايت فانها استرسلت قائلة:

- المسألة هى ان والده لم يكن متزوجا من والدته.

- حقا.. لا فكرة لدى عن هذا...

كل انسان هنا يعرف ذلك... والا لما تفوهت بأى شئ عنه.. ان مسز ماندورز العجوز جدة أوليفر تعيش فى (دوبنوين) فى ذلك المنزل الكبير فى طريق (بليموث) وكان زوجها محاميا هنا.. وقد ذهب ابنها للعمل فى

احدى المؤسسات فى المدينة.. وحالفه الحظ أنه رجل موسر تماما.. وكانت الابنة فتاة جميلة، وقد غرقت تماما فى هوى رجل متزوج... فى الحقيقة اننى ألومه كثيرا.. على أى حال، وفى النهاية، وبعد فضائح كثيرة، نزحا سويا.. ولم تطلق زوجته... وتوفيت الفتاة بمدة ليست طويلة بعد ولادة أوليفر.. وتكفل به عمه الموجود فى لندن.. فلم يكن له ولزوجته أولاد.. وقسم الفتى وقته بينهما وبين جدته.. وكان يأتى الى هنا دائما فى أجازاته الصيفية...

وصمتت.. ثم استرسلت قائلة:

- لقد كنت دائما أشعر بالأسى من أجله.. ومازلت أشعر هكذا... وأعتقد أن تعاليه الشديد هو صورة مصطنعة...

وقال ساترثوايت:

- ان هذا لا يدهشنى.. انها ظاهرة عامة جدا.. اننى عندما أرى شخصا يفتخر كثيرا بنفسه ويتباهى دائما، أدرك على الفور بأنه لابد أن يكون هناك مركب نقص من مكان ما.. من نفسيته...

قالت ليدى مارى: اننى أخاف أن يكون هذا الكلام أكثر من فهمى..

- اننى أعتذر.. لقد كنت أتكلم بأسلوب الكتب!.

- هل تقصد أن شباب هذه الأيام ليس عندهم رادع أو وازع فى بعض الأحيان... ان هذا حقيقى.

- لا.. لا.. اننى لم أقصد ذلك بتاتا.. كلما قل الضغط كان هذا أفضل.. أعتقد أنك تفكرين فى مس.. ايج..؟

- ان ايج تقول أن مسز بابنجتون قد سم أيضا.. هل تظن أن هذا حقيقى...؟ أو أنه فقط واحد من اندفاعاتها؟

- أننا سنعلم ذلك علم اليقين بعد اخراج الجثة من القبر...

ارتجفت ليدى مارى وهى تقول:

- اذن.. سيكون هناك استخراج للجثة..؟ كم سيكون ذلك مزعجا

للمسكينة مسز بابنجتون؟ اننى لا أتصور أى شئ أقسى تعذيبا لأية امرأة من هذا الأمر البشع.

- اننى أعتقد يا ليدى مارى أنك تعرفين عائلة بابنجتون معرفة وثيقة.

- نعم.. فى الحقيقة كانوا من أعز الأصدقاء لنا.

- هل تعرفين أحدا يمكن أن يحمل أى ضغينة للقس...؟

- فى الحقيقة.. لا..

- أو لم يتكلم هو عن مثل هذا الشخص..؟ لا..

- وهل كان الاثنان فى حالة وفاق...؟

- كانا على تمام الوفاق... كانا سعيدين معا.. وسعيدين بأطفالهما.. بالطبع كانت حالتهما المادية سيئة للغاية.. وكان مستر بابنجتون يقاسى من النقرس.. كانت هذه هى كل متاعبهما فقط...

- وكيف كانت الصلة بين أوليفر ماندرز والقس؟

وترددت ليدى مارى ثم قالت:

- الحقيقة أنهما لم يتقبلاه تقبلا حسنا.. كانا يشعران بالأسف من أجله ولقد اعتاد أن يذهب الى الأبرشية مرات عديدة فى عطلاته ليلعب مع أولاد القس.. ومع ذلك.. فاننى أعتقد بأنه لم يكن فى حالة طيبة معهم.. فلم يكن أوليفر فتى محبوبا تماما.. كان شديد التفاخر بالمال الذى عنده.. وعن عودته للسكن فى المدرسة، وعن مباهج الحياة فى لندن.. ان الاولاد معروفون بالقسوة فى مثل هذه الأشياء..

- نعم.. نعم.. ولكن فيما بعد.. بعد أن تقدم فى السن...؟

- لا أعتقد أن أهل الأبرشية كانوا يرونه كثيرا.. والحقيقة أن أوليفر كان جافا فى يوم ما مع مستر بابنجتون، هنا فى بيتى.. كان ذلك منذ عامين..

- وماذا حدث..؟

- لقد تحرش أوليفر بالدين.. وكان مستر بابنجتون صبورا كريما معه، وهذا ما جعل أوليفر أشد سوءا..؟ قال: (كلكم يا رجال تنظرون

الى من تحت أنوفكم.. لأن أبى وأمى لم يتزوجا.. أظنكم تدعوننى (ابن الخطيئة)، حسن.. اننى أعجب بالناس الذين توجد عندهم الشجاعة بصدد معتقداتهم الخاصة ولا يبالون كثيرا بالمنافقين.. ولا بما يعتقده الناس فيهم...

ولم يجب مستر بابنجتون... ولكن أوليفر.. استمر:

(آه!.. انك لا تجيب.. أنها الخرافات هى التى أدت بالعالم الى ما هو عليه الآن...).

وابتسم مستر بابنجتون مرة أخرى.. لقد كانت له ابتسامة حلوة.. وقال: يا ولدى الحبيب لا أحب أن تكون بهذه الروح الهدامة... وليكن ايمانك أقوى...

- وماذا قال ماندرز بعد ذلك..؟

- لقد بدأ وكأنه تراجع.. ثم عاد الى طبيعته العادية الساخرة المتعبة...

- أنت لا تحبين ماندرز يا ليدى مارى.. هل تحبينه...؟

قال ليدى مارى بحذر:

- اننى آسفة من أجله..؟

- ولكنك لا تحبين أن يتزوج أيج...؟

- أوه.. لا..

- ترى لماذا بالضبط..؟

- لأنه.. لأنه ليس رقيقا.. ولأنه...

- نعم؟

- لأنه به شيئا ما لا أفهمه.. شئ بارد...

ونظر اليها ساترثوايت متأملا دقيقة أو اثنين ثم قال:

- وماذا كان تفكير سير بارثلومير من جهته..؟ هل ذكر اسمه فى أى وقت..؟

- لقد قال فيما اتذكر أنه وجد فى ماندرز دراسة ممتعة.. وقال أيضا

أنه يذكره بحالة مرضية كان يعالجها فى ذلك الوقت بعيادته.. وقلت له أننى أظن أن أوليفر يبدو قويا فى صحة جيدة... فقال: (نعم نعم ان صحته على ما يرام... ولكنه سوف ينتهى الى السقوط...)

وتنهدت.. ثم قالت:

- أظن أن سير بارثلومير كان أخصائى أعصاب ممتازا...؟

- أننى أؤمن بأنه كانت له مكانة عالية بين زملائه...

فقالت ليدى مارى:

- اننى كنت أوده كثيرا...

- هل سبق وقال لك أى شئ عن وفاة مستر بابنجتون..؟

- لا..

- ألم يذكره لك أبدا..؟

- لا أظن ذلك..

- هل تعتقدين -بالرغم من أنك لم تعرفينه جيدا- بأن هناك شيئا ما كان يشغل ذهنه...؟

- كان يبدو فى روح عالية.. بدا كأنما هو يتسلى بشئ ما، أو دعابة خاصة.. وبعض الدعابات تعنيه وحده... ولقد قال لى أثناء العشاء فى تلك الليلة بأنه سوف يفاجئنى بمفاجأة..!

- أوه.. قال هذا..؟ هل قال هذا؟

وفى عودة ساترثوايت الى المنزل ركز فكره على هذه العبارة... ما هى هذه المفاجأة التى عزم أن يفاجئ بها سير بارثلومير ضيوفه..؟ هل هى كانت -عندما يأتى أوانها- مسلية كما كان يتظاهر...

أم كانت هذه التصرفات المرحة منه قناعا يخفى غرضا هادئا ولكنه خطير لا يقهر...

هل يمكن أن يتوصل أى إنسان الى معرفة هذا؟

***

الفصل الثالث
هيركيول بوارو يظهر من جديد



قال سير تشارلس: بصراحة..! هل حققنا أي تقدم؟ لقد كان مجلس حرب. اعضاؤه سير تشارلس ومستر ساترثوايت وايج لايتون كور. كانوا يجلسون في الغرفة المسماة (غرفة السفينة). والنار تشتعل في المدفأة. وفي الخارج كانت العاصفة الدائرة. تصطخب.

وأجاب ساترثوايت وايج على السؤال فى وقت واحد:
قال ساترثوايت: لا..
وقالت ايج: نعم...
ونظر سير تشارلس اليهما واحدا بعد الآخر..!
ثم أشار ساترثوايت باحترام الى أن السيدة يجب أن تتكلم أولا...
وجلست ايج صامتة برهة تجمع أفكارها، ثم قالت أخيرا:
- اننا متقدمون.. نعم متقدمون لأنه كانت عندنا أفكار معينة مبهمة، وقد عرفنا الآن أن هذه الأفكار لا أساس لها... قد يبدو كلامى فارغا، ولكن هذا ما أعنيه..
قال سير تشارلس:
- يعنى (تقدم باستبعاد غير الصحيح)..
- هو كذلك..
وتنحنح ساترثوايت.. انه يجب الوضوح..

قال: ان فكرة دافع الكسب يمكننا أن نضعها جانبا.. لا يبدو أن هناك شخصا ما كان يمكنه أن يستفيد من موت استيفان بابنجتون (وهذا اذا طبقنا أسلوب القصص البوليسية)... والانتقام يبدو كذلك ولا محل له فى المناقشة.. وبصرف النظر عن طبيعته وأخلاقه المسالمه الهادئة فاننى أشك فى أنه كان من الأهمية بحيث يجعل له أعداء.. وهكذا نعود الى الفكرة الأخيرة... وهى -الخوف- بموت ستيفان بابنجتون سيربح شخص ما الأمان..

قالت ايج: هذا تصور جيد جداً...

بدا ساترثوايت سعيدا بنفسه فى تواضع... أما سير تشارلس فقد لاح عليه شئ من الاستياء.. أنه نجم الموقف، لا ساترثوايت...

قالت ايج: المسألة هى.. ماذا سنقوم بعمله بعد ذلك..؟ أقصد العمل الفعلى..

- هل سنراقب الناس.. أم ماذا؟.. هل سنتنكر ونتبعهم..؟

فقال سير تشارلس: يا طفلتى العزيزة.. لقد كنت دائما ضد فكرة تمثيل أدوار الرجال ذوى اللحى! ولن ابتدئ هذا الآن..

وابتدأت ايج: اذن ماذا..؟

ولكنها قوطعت.. فلقد فتح الباب، وأعلنت تمبل:

- مسيو هيركيول بوارو..!

ودخل مسيو بوارو بوجه متألق.. وحيا الثلاثة المذهولين تحية حارة... وقال وهو يغمز بعينيه:

- هل مسموح لى أن أساهم فى هذا المؤتمر..؟ هل أنا على حق... أليس هو مؤتمرا...؟

أفاق سير تشارلس من دهشته.. حيا ضيفه بحرارة.. وصافحه بشدة... وجذبه الى مقعد وثير.. وقال: صديقى العزيز. أننا سعداء برؤياك. من أين هبطت هكذا. فجأة؟

- اننى ذهبت لزيارة صديقى الطيب مستر ساترثوايت فى لندن.. فأخبرونى أنه فى كورنول.. حسنا.. واضح جدا أين ذهب.. فأخذت لتوى أول قطار الى لوماوث.. وهأنذا...

قالت ايج: نعم.. ولكن لماذا جئت..؟

وسارعت تقول وقد أحمرت وجنتاها عندما أدركت قلة الذوق فى كلماتها: أقصد.. هل أتيت لسبب معين..؟

قال هيركيول بوارو: لقد أتيت لأعترف بخطأ..

وبابتسامة جذابة استدار الى سير تشارلس مادا يديه فى حركة أجنبية: سيدى.. هنا، وفى هذه الحجرة، قد ابديت أنت عدم رضاك.. وقد فكرت أنا فى أنها كانت طبيعتك الدرامية.. قلت فى نفسى.. أنه ممثل كبير.. وكل شئ يجب أن يكون دراميا.. واقرر بأنه بدا لى أن الرجل المسالم العجوز لم يمت الا ميتة طبيعية... وحتى الآن فاننى لا أتصور كيف يوضع له أى سم.. أو يمكن أن أخمن الدافع.. كان يبدو شيئا خياليا.. وبعدئذ حدثت وفاة أخرى.. فى ظروف مماثلة... ولا يمكن أبدا أن نرجعها الى المصادفة.. لا.. لابد وأن تكون هناك حلقة ما بين الاثنين.. وهكذا يا سير تشارلس أتيت لاعتذر لك.. ولأقول اننى أنا: (هيركيول بوارو) كنت مخطئا.. ولأسألك قبولى فى مجلسكم..

تنحنح سير تشارلس بعصبية. وبدا عليه شئ من الارتباك. ثم قال:

- هذا جميل جدا منك يا مسيو بوارو.. أننى لا أعرف.. أننا سنأخذ كثيرا من وقتك.. أنا..

وتوقف.. وبدا أنه متحير لا يدرى كيف يتم كلامه... وتطلع الى ساترثوايت يستشيره..

فبدأ ساترثوايت يقول: هذا شئ جميل منك..

- لا.. لا انه ليس شيئا جميلا منى.. أنه الفضول.. ثم... ما أصابنى

من جرح لكرامتى.. يجب على أن أصلح غلطتى.. أما وقتى فانه لا شئ، ما فائدة الأسفار اذن؟ قد تختلف اللغات.. ولكن فى كل مكان فان الطبيعة الإنسانية هى.. هى.. لكن بالطبع اذا لم أكن محل ترحاب.. اذا كنت أقحم نفسى...

تكلم الرجلان فى وقت واحد: لا.. لا.. فى الحقيقة..

- لا.. لا..!

وأدار بوارو عينيه الى الفتاة: والآنسة؟

ظلت ايج صامتة دقيقة أو اثنين.. كان الانطباع واحدا فى نفوس الرجال الثلاثة.. ايج لا تريد مساعدة من مسيو بوارو...

بدا لساترثوايت أنه يعرف السبب..

أنها كانت لعبة سير تشارلس كارترايت وايج لايتون كور الخاصة... وقد قبل الطرفان تدخل ساترثوايت فى اللعبة على أساس أنه الطرف المهمل... ولكن هيركيول بوارو كان مختلفا.. فانه سوف يكون صاحب الدور الأول.. بل ربما ينتحى سير تشارلس من أجله.. وحينئذ سوف تنتهى خطط ايج الى لا شئ.

وراقب الفتاة بعطف فى ورطتها.. هذان الرجلان لا يفهمان.. ولكنه هو بمشاعره الحساسة من ناحية الجنس اللطيف، يدرك ورطتها.. أن ايج كانت تحارب من أجل سعادتها...

ماذا يا ترى سوف تقول: بعد كل هذا.. ما عساها تقول...؟ كيف يمكنها أن تعبر عما يدور فى ذهنها؟: (اذهب من هنا.. أبعد من هنا... ان حضورك سوف يفسد كل شئ.. اننى لا أريدك هنا...!).

وأخيرا قالت ايج لايتون كور الشئ الوحيد الذى كان يمكنها أن تقوله: قالت بابتسامة مقتضبة:

- بالطبع... اننا نحب أن تكون معنا...

الفصل الرابع
الرقيب



قال بوارو: بديع.. اننا زملاء.. حسن.. اذا سمحتم.. أرجو أن تطلعوني على الموقف...

وأصغى باهتمام تام الى مستر ساترثوايت وهو يوضح الخطوط العريضة للخطوات التي اتخذها منذ عودتهم من انجلترا. كان ساترثوايت محدثا طيبا.. كانت له القدرة على خلق الجو.. ورسم الصورة.. كان وصفه لمنزل الطبيب، وللخدم، ورئيس الشرطة جديرا بالاعجاب.. وكان بوارو شديد التقدير لاكتشاف سير تشارلس للخطابات التي لم تتم، والتي كانت تحت مدفأة الغاز...

قال مبتهجا: هذا رائع.. رائع: الاستنتاج!. واعادة البناء متكامل.. رائع.. كان ينبغى أن تكون بوليسا سريا عظيما يا سير تشارلس.. بدلا من ممثل عظيم...

وتقبل سير تشارلس هذا الثناء بتواضع، بطريقته الخاصة.. انه لم يتقبل المديح والإطراء على خشبة المسرح سنوات عديدة دون أن يكون له أسلوب خاص فى تقبله...

وقال بوارو وهو يلتفت الى مستر ساترثوايت:

- أيضا عن ملاحظتك.. انها كانت فى الصميم.. تلك النقطة التى أوضحتها من تبسطه المفاجئ مع الساقى...

سأل سير تشارلس: هل تعتقد أن هناك شيئا ما بخصوص حكاية مسز دى روشبريدجر..؟

- انها فكرة.. وهى توحى... توحى بأشياء كثيرة.. أليس كذلك؟

لم يكن واحد منهم متأكدا تماما من هذه الأشياء العديدة.. ولكن لم يرغب أحد فى أن يقول ذلك. وهكذا كانت هناك همهمة تعنى الموافقة.

والتقط سير تشارلس الرواية: ووصف زيارته هو وايج لمسز بابنجتون، ونتيجتها السلبية..

ثم قال: والآن.. أنت معنا حتى آخر تطور.. وتعرف ما نفعل.. أخبرنا.. ما هو وقع كل هذا فى نفسك..؟

ومال الى الأمام فى اهتمام كاهتمام الأطفال...

وظل بوارو صامتا بضع دقائق.. وكان الثلاثة يراقبونه.. وأخيرا قال: هل تذكرين يا آنسة.. أى نوع من أكواب (البورت) كان على مائدة سير بارثلومير؟

وانبرى سير تشارلس قائلا عندما هزت ايج رأسها باستياء:

- يمكننى أن أقول لك هذا...

وقام واقفا. وذهب الى دولاب حيث أخذ منه بضع كؤوس للشيرى وراح يقول: كانت مختلفة قليلا عن هذه.. أكثر دورانا.. أكواب البورت المضبوطة لقد اشتراها من مزاد العجوز بيرسفيلد..! مجموعة كاملة من أكواب المائدة.. ولقد أعجبت بها.. ولما كانت أكثر مما يحتاج اليه، فانه أعطانى مجموعة منها.. الأكواب جميلة.. أليس كذلك..؟

تناول بوارو الكوب.. وأداره بين يديه..

ثم قال: نعم.. انه نوع بديع.. كنت أظن أن شيئا من هذا النوع هو الذى استعمل فهتفت ايج: لماذا..؟

فابتسم لها بوارو..! واستطرد:

- نعم. ان موت سير بارثلومير سترينج يمكن أن يفسر بسهولة. ولكن

موت ستيفان بابنجتون أصعب بكثير! آه. لو كان ما حصل هو العكس!

فسأله ساترثوايت: ماذا تعنى بقولك هذا؟

فالتفت بوارو وأجاب قائلا:

- لاحظ يا صديقى أن سير بارثلومير طبيب مشهور.. وقد تكون هناك أسباب كثيرة لوفاة طبيب مشهور... ان الطبيب يا صديقى يعرف أسرارا كثيرة.. أسرار هامة.. والطبيب له قدرات خاصة... تخيل مريضا على الخط الفاصل بين العقل والجنون.. كلمة واحدة من الطبيب تجعل المريض يقصى عن العالم كله ويعزل نهائيا... يا له من اغراء لعقل مختل!.. والطبيب قد يشك فى موت أحد مرضاه المفاجئ... آه.. نعم.. يمكننا أن نجد أكثر من دافع لموت الطبيب..

والآن. كما قلت. لو كان ما حصل هو العكس. بمعنى انه: لو كان سير بارثلومير قد مات أولا. ثم بعد ذلك ستيفان بابنجتون. لأنه ربما يكون ستيفان بابنجتون قد رأى شيئا -أو ارتاب فى شئ عن الوفاة الأولى.

وتنهد، ثم استمر يقول: ولكن الانسان لا يمكن أن يجد القضية كما يشتهيها... لابد أن يأخذها كما هى. فقط هناك فكرة صغيرة أريد أن أبديها: أظن أنه لا يمكن أن يكون موت ستيفان بابنجتون مجلاد حادث بالصدفة... وان السم (اذا كان هناك سم) كان المقصود به هو سير بارثلومير سترينج، وانه نتيجة لخطأ فان الرجل الخطأ هو الذى قتل.

قال سير تشارلس الذى تهلل وجهه أولا ثم عاد الى الوجوم:

- هذه فكرة حاذقة ولكننى لا أعتقد أنها تجدى. لقد حضر بابنجتون الى هذه الحجرة قبل أربع دقائق من النوبة التى ألمت به. وأثناء هذا الوقت لم يمر أى شئ بشفتيه سوى نصف كأس من الكوكتيل.

فقاطعه بوارو قائلا:

- هذا فعلا ما كنت قد أخبرتنى به.. ولكن أفترض، لمجرد الجدل،

أنه كان هناك شئ بالكوكتيل.. هل يمكن أن المقصود به كان سير بارثلومير سترينج، وأن مستر بابنجتون احتساه على سبيل الخطأ؟.

هز سير تشارلس رأسه، وقال: لا أحد يعرف توللى معرفة تامة يمكن أن يحاول تسميمه بالكوكتيل..

- لماذا..؟ لأنه لم يشرب الكوكتيل بالمرة..

ابدى بوارو حركة استياء.. وقال:

- آه.. هذه القضية.. انها تسير سيرا خاطئا.. انها تجافى العقل..

واستطرد سير تشارلس: وبجانب هذا.. لست أرى كيف أن كأس شخص يمكن أن يأخذه غيره عن طريق الخطأ.. أو أى شئ من هذا القبيل.. أن تمبل كانت تحملها على صينية.. وكل شخص كان يمد يده ليتناول الكأس التى تحلو له..

فغمغم بوارو: صدقت... ان الانسان لا يمكنه أن يلزم أحدا بكأس الكوكتيل، كما يلزمه بورقة فى اللعب... آه.. ما رأيك فى تمبل التى تعمل عندك؟ أليست هى الفتاة التى استقبلتنى الليلة.

- تماما.. انها تعمل عندى منذ ثلاث أو أربع سنوات.. فتاة لطيفة مستقيمة.. تعرف عملها.. اننى لا أعرف من أين جاءت.. ان مس ميلراى تعرف كل شئ عن هذا..

- مس ميلراى..؟ أهى سكرتيرتك..؟ المرأة الطويلة التى تشبه جنود قذف القنابل؟

فوافقه سير تشارلس قائلا: نعم.. هى أشبه بهذا...

- لقد تناولت العشاء معك فى مناسبات عديدة.. ولكننى لا أعتقد أنى قابلتها حتى تلك الليلة..

- لا. أنها عادة لا تتناول عشاءها معنا. أنها مسألة رقم ١٣ كما ترى.

وأوضح سير تشارلس الظروف، وقد أصغى اليه بوارو بانتباه شديد.

ثم قال: فهمت. كان هذا اقتراحها الخاص بأن تحضر العشاء.

وغرق فى أفكاره دقيقة.. ثم قال:

- هل يمكننى أن أتحدث مع الوصيفة.. تمبل هذه؟

- بالتأكيد.. يا صديقى العزيز..

ودق سير تشارلس الجرس.. وأجيب على الفور..

- هل استدعيتنى يا سيدى..؟

كانت تمبل فتاة طويلة فى الثانية أو الثالثة والثلاثين.. كانت لها أناقة خاصة، اذ كان شعرها منسقا لامعا..! ولكنها لم تكن جميلة.. وكانت بادية الهدوء والكفاءة.

فقال سير تشارلس: ان مسيو بوارو يريد أن يسألك بعض الأسئلة..

وحولت تمبل نظراتها المتعالية الى بوارو..

فقال بوارو: أننا نتكلم عن الليلة التى مات فيها مستر بابنجتون هنا.. هل تتذكرين تلك الليلة؟..

- نعم يا سيدى.. أريد أن أعرف بالضبط كيف أعد الكوكتيل؟

- أرجو المعذرة يا سيدى..

- أننى أريد أن أعرف شيئا عن الكوكتيل. هل كنت تمزجينه أنت؟

- لا يا سيدى.. ان سير تشارلس يحب أن يفعلْ هذا بنفسه.. لقد أحضرت الزجاجات.. الفرموت.. والجن.. وكل هذا..

- وأين وضعتها كلها؟. على المائدة هناك يا سيدى..

وأشارت الى المائدة بجوار الحائط..

- كانت الصينية والكؤوس هنا يا سيدى.. وعندما انتهى سير تشارلس من المزج والتحريك صب الكوكتيل فى الكؤوس.. ثم أخذت أنا الصينية.. ومررت بها.. وقدمت للسيدات والسادة..

- هل كان كل الكوكتيل على الصينية التى تحملينها..

- لقد أعطى سير تشارلس كاسا لمس لايتون كور.. كان يتكلم معها فى ذلك الوقت، ثم أخذ كاسه.. (وتطلعت لحظة الى مستر ساترثوايت) وجاء مستر ساترثوايت وأخذ كأسا لسيدة.. أعتقد أنها مس ويلز..

فقال ساترثوايت: تماما.. تماما..

- والآخرون أيضا. أظن أن كل واحد أخذ كأسا. الا سير بارثلومير.

- هل تتكرمين يا تمبل بأن تعيدى هذا المشهد.. اننا سنضع هنا بعض المساند لكى تمثل بعض الصور.. أنا كنت أقف هنا فيما أتذكر.. ومس ساتكليف كانت هناك..

وبمساعد ساترثوايت أعد المشهد..! وكان ساترثوايت شديد الملاحظة.. لقد تذكر جيدا أين كان كل واحد فى الحجرة... ثم قامت تمبل بدورتها وتأكدوا أنها ابتدأت بمسز داكريس.. وذهبت الى مس ساتكليف.. وبوارو.. ثم بعد ذلك الى مستر بابنجتون، وليدى مارى ومستر ساترثوايت اللذين كانا يجلسان سويا...

فان هذا مطابقا لما تذكره ساترثوايت.

وفى النهاية سمح لتمبل بالانصراف...

وعندئذ هتف بوارو قائلا: هذا شئ لا معنى له!. لقد كانت تمبل آخر من تداول كؤوس الكوكتيل! ولكن.. كان من المستحيل عليها العبث بها بأى طريقة..! وكما قلت.. لا يمكن لأى شخص أن يجبر شخصا معينا على كأس من الكوكتيل..

فقال سير تشارلس: انه من الغريزى أن تأخذ أقرب كأس منك...

- من الممكن أن يحدث هذا اذا ما قدمت الصينية للشخص أولا.. ولكن حتى حينئذ يكون الأمر غير مؤكد.. فان الكؤوس كلها تكون بجوار بعضها.. أى كأس لا يبدو أقرب من الآخر.. لا.. لا مثل هذه الطريقة العشوائية لا يمكن أن تجوز... قل لى يا مستر ساترثوايت.. هل وضع

مستر بابنجتون كأسه على المائدة.. أو ابقاه فى يده..؟

- لقد وضعه هنا على هذه المائدة..

- هل اقترب أى احد من المائدة بعد أن فعل ذلك..؟

- لا.. لقد كنت أقرب شخص اليه.. وأننى أؤكد لك بأننى لم أعبث به بأى طريقة.. حتى لو كنت فعلت هذا بدون ملاحظة من أحد...

كانت لهجة مستر ساترثوايت يشوبها الجفاء.. فأسرع بوارو بالاعتذار..

لا.. لا.. اننى لا أتهم... يا لها من فكرة!.. ولكننى أود أن أكون شديد التأكد من حقائقى.. وطبقا للتحليل فانه لم يثبت وجود أى شئ غير عادى بالكوكتيل وبصرف النظر عن التحليل فقد ثبت الآن انه لم يكن من الممكن وضع أى شئ. نفس النتيجة من تحليل كأسين مختلفين. ولكن مستر بابنجتون لم يأكل أو يشرب أى شئ آخر..! واذا كان قد تسمم من النيكوتين الخالص فان الموت كان يداهمه فى الحال.. هل ترون أين يقودنا هذا؟

فقال سير تشارلس: لا يقودنا الى أى شئ...

- لن أقول ذلك.. لا.. لن أقول ذلك.. انه يوحى بفكرة مريعة.. وأتمنى واثقا ألا تكون حقيقية.. لا بالطبع انها ليست حقيقية... ان موت سير بارثلومير يثبت أن.. ومع ذلك...

وقطب وجهه.. وغرق فى أفكاره.. والآخرون يراقبونه فى فضول..

ثم رفع رأسه وقال: هل ترون وجهة نظرى؟. ان مسز بابنجتون لم تكن فى (ميلفورت آبى) وعلى هذا فهى بعيدة عن الشك..

- مسز بابنجتون...؟ ولكن أحد لم يحلم حتى بالشك فيها..!

فابتسم بوارو متفضلا وراح يقول:

- لا؟ هذا شئ عجيب.. ان الفكرة خطرت لى فى الحال.. فى التو واللحظة! اذا لم يكن الرجل المسكين قد تسمم بواسطة الكوكتيل، اذن فلابد أنه سمم قبل دخوله الى المنزل بدقائق.. أى طريقة يمكن

أن يتم بها هذا؟ كبسولة... شئ قد يمنع عسر الهضم.. ولكن من حينئذ يمكن أن يبعث بالكبسولة؟... الزوجة فقط.. من يكون عنده الدافع للقتل بحيث لا يرتاب أحد فى الخارج وللمرة الثانية... الزوجة..

فصاحت ايج بسخط:

- ولكنهما كانا مثال الإخلاص والتفانى!.. انك لا تفهم شيئا..!

وابتسم بوارو برقة وقال: اننى أرى الحقائق مجردة يا آنسة..! وفى خبرتى الطويلة. عرفت خمس حالات لزوجات قتلن بيد أزواج متفانين، واثنين وعشرين زوجا قتلوا بواسطة زوجات متفانيات!.

فقالت ايج: أعتقد أنك فى منتهى البشاعة.. اننى أعرف أن عائلة بابنجتون لم تكن كذلك.. ان هذا فظيع.. فظيع..

فقال بوارو: القتل هو الفظيع يا آنسة...

وكانت هناك صرامة مفاجئة فى صوته..

ثم استطرد فى نغمة أخف:

- ولكننى أنا الذى لا يرى سوى الحقائق، أوافق على أن مسز بابنجتون لم تفعل هذا.. أنت ترين أنها لم تكن هناك فى (ميلفورت آبى).. لا.. كما قال فعلا سير تشارلس، فان الجرم يجب أن يقع وزره على الشخص الذى كان حاضرا فى كلتا المناسبتين... وأحد من السبعة فى قائمتك...

وكان هناك صمت مطبق..

ثم سأل مستر ساترثوايت: وبماذا تنصحنا أن نتصرف..؟

فقال بوارو: لا شك أن خطتكم موجودة فعلا..؟

فتنحنح سير تشارلس وقال:

- الشئ الوحيد الممكن اجراؤه يبدو أنه عملية استبعاد.. كانت فكرتى هى أن نعتبر كل شخص فى هذه القائمة مذنبا حتى تثبت براءته.. أقصد أننا لابد أن نقتنع بأن هناك صلة بين ذلك الشخص وبين

ستيفان بابنجتون، وان نستخدم كل قدرتنا لمعرفة ما هى هذه الصلة.. فاذا لم نجد أى صلة عندئذ ننتقل الى الشخص الذى يليه..

فوافق بوارو قائلا: انها سيكولوجية جيدة.. وطريقتكم...؟

- هذا ما لم نجد بعد الوقت الكافى للمناقشة.. واننا نرحب بنصيحتك فى هذه النقطة يا مسيو بوارو.. وربما أنت نفسك..

رفع بوارو يده.. قائلا:

- يا صديقى..! لا تسألنى أن أفعل شيئا ايجابيا... اننى اقتنعت طول حياتى.. ان أفضل حل لأى مشكلة هو التفكير.. دعنى أقوم بدور الرقيب أكملوا أنتم تحرياتكم، التى يتولاها سير تشارلس باقتدار.

وقال ساترثوايت:

- وماذا عنى أنا.. هؤلاء الممثلون.. دائما تحت الأضواء.. يمثلون الجزء اللامع.

- انك ستقدم من وقت الى آخر ما يمكن أن يسمى بالرأى الاستشارى... وأنا المستشار..

وابتسم للايج قائلا: هل هذا يبدو لك منطقيا يا آنسة؟..

فقالت ايج:

- رائع.. اننى واثقة من أن خبرتك ستكون ذات فائدة كبيرة لنا..

وبدا على وجهها الارتياح، وألقت نظرة على ساعتها، وهتفت:

- يجب أن أذهب الى المنزل.. ان أمى ستصاب بنوبة لغيابى..

وقال سير تشارلس: سأوصلك الى المنزل...

وخرجا سويا...

***



الفصل الخامس
تقسيم العمل

قال هير كول بوارو: ان السمكة ابتلعت الطعم!..
كان ساترثوايت يتطلع الى الباب الذى أغلق خلف الاثنين الآخرين ولم يتمالك أن انتفض حينما التفت الى بوارو، فاذا الأخير يبتسم ابتسامة تنم عن السخرية..

قال: نعم.. نعم..! أنت لا تنكر هذا.. لقد أظهرت لى الطعم عمدا فى ذلك اليوم فى مونت كارلو.. أليس كذلك..؟ لقد أريتنى النبذة المنشورة فى الجريدة وقد تمنيت أنت أن تثير اهتمامى.. وان تحملنى على الانشغال بهذه القضية!..

فقال ساترثوايت معترفا:

- نعم.. هذا حق..! ولكننى ظننت بأننى قد فشلت..

- لا.. لا.. انك لم تفشل.. انك.. خبير مقتدر بالطبيعة الإنسانية يا صديقى.. كنت لا أزال أتذكر الكلمات التى سمعناها من الطفل الذى كان يلعب بجوارنا لا شئ أفعله.. انك جئت فى اللحظة السيكولوجية.. (واذا تكلمنا عن هذا. فكم تعتمد الجريمة على اللحظة السيكولوجية. الجريمة.. انهما تسيران جنبا الى جنب..! ولكن دعنا نعود الى موضوعنا.. هذه جريمة محيرة.. انها تحيرنى تماما.

- أية جريمة...؟ الأولى.. أم الثانية..؟

- هناك جريمة واحدة فقط..! ما تسميه الجريمة الأولى والثانية. ما هى الا نصفان لنفس الجريمة.. النصف الثانى بسيط.. الدافع -الوسائل

التى استخدمت...

فقاطعه ساترثوايت قائلا:

- من المؤكد.. ان الوسائل المستخدمة تقدم لنا صعوبة مماثلة.. فلم يكن هناك أي سم فى أى من الخمور.. والطعام أكل منه الجميع...

- لا.. لا... انها مختلفة تماما... فى القضية الأولى.. لا يبدو وكأن أى شخص تمكن من تسميم ستيفان بابنجتون.. ولو أراد سير تشارلس أن يفعل ذلك لاستطاع أن يسمم أى واحد من ضيوفه.. ولكن ليس ضيفا معينا.. ويجوز أن تمبل كان يمكنها أن تسقط شيئا فى الكوب الأخير على الصينية. ولكن كوب مستر بابنجتون لم يكن الكوب الأخير فى الصينية.. لا.. لا.. ان قتل مستر بابنجتون يبدو شديد الاستحالة، حتى اننى ما زلت أشعر أنه ربما يكون قد مات ميتة طبيعية.. ولكن هذا ما سوف نعرفه قريبا... والقضية الثانية مختلفة.. كل واحد من الضيوف الحاضرين، أو الساقى، أو الوصيفة، كان بإمكانه أن يسمم سير بارثلومير سترينج... هذا لا يقدم أية صعوبة أبدا..

فبدأ ساترثوايت يقول: اننى لا أرى..

ولكن بوارو اندفع فى كلامه قائلا:

- اننى سوف أبرهن لك على هذا فى وقت ما بتجربة صغيرة.. دعنا الآن ننتقل الى مسألة أخرى أكثر أهمية...! انها مسألة حيوية..! سوف ترى (ولسوف ترى فعلا، اننى متأكد ان لك قلبا حانيا وفهما رقيقا..) اننى يجب ألا ألعب الدور الذى تدعوه أنت.. (مفسد المتعة).

هم ساترثوايت أن يقول وهو يشرع فى ابتسامة:

- هل تعنى... أن سير تشارلس يجب أن يأخذ دور النجم.. وهو الدور الذى اعتاده.. وفضلا عن ذلك فهذا ما يتوقف منه شخص آخر.. ألست محقا فى هذا..؟ انه لم يسعد الآنسة بتاتا حضورى الى هنا لكى أشغل

نفسى بهذه المسألة..

- انك سريع الفهم يا مسيو بوارو.. طبقا للتعبير المألوف...

- آه. هذا واضح لأول وهلة.. ان لى طبيعة شديدة الحساسية.. اننى أحب المساعدة فى مسألة غرامية.. لا أن أعرقلها..! أنت وأنا يا صديقى يجب علينا أن نعمل سويا لأجل شرف ومجد سير تشارلس كاترايت.. أليس كذلك..؟ وعندما يتم حل القضية.

قال ساترثوايت بلطف: اذا...

فقال بوارو: قلت (عندما).. اننى لا أسمح لنفسى بالفشل..؟ فقال ساترثوايت متسائلا: لم تفشل أبدا؟

فقال بوارو بوقار واعتزاز: كانت هناك أوقات.. يحدث لى فيها ما يمكن أن تسميه (بطء فى جمع الحصيلة) وفى هذه الحالات لم أكن أدرك الحقيقة بالسرعة التى كانت واجبة..

- ولكن.. ألم تفشل أبدا بلا استثناء..؟

وكان اصرار ساترثوايت وليد حب الاستطلاع.. خالصا.. وبسيطا.. كان يتساءل...

قال بوارو: حسن. مرة. منذ مدة طويلة فى بلجيكا. أننا لن نتكلم عنها.

وبعد أن أشبع ساترثوايت فضوله أسرع بتغيير الموضوع هو كذلك.. لقد كنت تقول.. عندما يتم حل القضية...

- سيكون سير تشارلس هو الذى حلها.. هذا جوهرى.. اننى سأكون مجرد ترس صغير فى العجلة..

ومد يديه وأردف يقول:

- وبين وقت وآخر... هنا وهناك.. فاننى سوف أقول كلمة صغيرة.. مجرد كلمة صغيرة.. أشارة لا أكثر.. اننى لا أرغب فى أى شرف أو شهرة... أن لى من الشهرة ما يكفينى..

وكان ساترثوايت يدرسه باهتمام.. كان يستمتع بما يبديه الرجل القصير من عجب ساذج وحب للذات لا حد له.. ولكنه يقع فى الغلطة السطحية التى تجعله يعد هذا من قبيل التفاخر الأجوف..!

قال مستر ساترثوايت: اننى أود أن أعرف.. انه سوف يمتعنى كثيرا.. ماذا تجنيه من هذا العمل..؟ هل هى لذة المطاردة..؟

هز مسيو بوارو رأسه وقال: لا.. لا. ليس هذا...! اننى أتبع الرائحة مثل كلب الصيد.. فيثور اهتمامى... ومتى تعقبت الرائحة، فما كان لشئ أن يبعدنى عنها... كل هذا حقيقى.. ولكن هناك، أكثر من ذلك.. انه -كيف أصوغ كلامى؟- انه شغف البحث عن الحقيقة.. فى الدنيا كلها، لا شئ بتاتا أعجب وأمتع وأجمل من الحقيقة...!

وكانت هناك لحظة صمت قصيرة بعد كلمات بوارو.. ثم بعد ذلك أخذ الورقة التى نقل منها ساترثوايت الأسماء السبعة.. وقرأها بصوت عال: مسز داكريس، كابتن داكريس، مس ويلز، مس ساتكليف، ليدى مارى لايتون كور، أوليفر ماندرز...

وقال: نعم..! أنها توحى باستياء.. أليس كذلك..؟

- بماذا يوحى؟..

- الترتيب الذى سجلت به الأسماء...

- لا أعتقد أن هناك شيئا يمكن أن توحى به.. اننا فقط كتبنا الأسماء بدون أى ترتيب خاص...

- بالضبط.. لقد تصورت القائمة (مسز داكريس)..! اننى أستنتج من هذا انها تعتبر أكثر الأشخاص احتمالا لارتكاب الجريمة..!

قال مستر ساترثوايت:

- لا ليست الاكثر احتمالا.. لو قلنا احتمالا لكان تعبيرنا أفضل...

وهناك تعبير ثالث هو الأفضل.. ربما تكون الشخص الذى قد

تفضلون جميعكم لو أنه ارتكب الجريمة...

ففتح ساترثوايت شفتيه رغم ارادته.. ثم رأى النظرة الرقية ذات الألغاز فى عينيه اللامعتين الخضراوين وغير رأيه فى ما كان ينوى أن يقوله.. قال: عجبا..! ربما يكون ما تقوله صحيحا.. يمكن أن يكون هذا حقيقيا بغير وعى منا..

- اننى أود أن أسألك شيئا يا مستر ساترثوايت..

فأجاب مستر ساترثوايت بهدوء: نعم بالتأكيد... بالتأكيد...

- أفهم مما أخبرتنى به أن سير تشارلس ومس لايتون كور ذهبا سويا لمقابلة مسز بابنجتون.. نعم..

- ألم ترافقهما..؟

- لا.. ثلاثة يكونون جمعا كبيرا...

فابتسم بوارو..

- وأيضا.. ربما تكون ميولك قد قادتك الى مكان آخر.. كان عندك، كما يقولون، (أسماك مختلفة للقلى..)! الى أين ذهبت يا مستر ساترثوايت..؟

قال ساترثوايت بجفاء: لقد تناولت الشاى مع ليدى مارى لايتون كور.

- وما الذى تكلمتا فيه؟..

- انها كانت شديدة الطيبة الى حد أنها أفضت الى ببعض متاعبها فى حياتها الزوجية المبكرة..

وكرر أمامه مضمون قصة ليدى مارى..

وهز بوارو رأسه متعاطفا.. وقال:

هذا حقيقى فى الحياة... الفتاة الصغيرة الخيالية.. التى تتزوج الرجل السيىء.. ولا تستمع لأى مخلوق.. ولكن هل تحدثتما فى أى شئ آخر؟ هل..؟ -مثلا- لم تتحدثا عن مستر أوليفر ماندرز..؟

- فى الحقيقة نعم..! لقد تحدثنا.. وماذا عرفت عنه..؟

أعاد مستر ساترثوايت ما قالته ليدى مارى.. ثم قال:

- ما الذى جعلك تفكر فى اننا قد تحدثنا عنه..؟

- لأنك ذهبت هناك لهذا السبب.. آه.. نعم.. لا تعترض.. ربما تتمنى أن تكون مسز داكريس أو زوجها قد ارتكب الجريمة..! ولكنك تعتقد أن ماندرز الشاب قد ارتكبها..

وقضى على اعتراضات ساترثوايت، واستطرد يقول:

- نعم. نعم. ان لك الطبيعة المتخفية.. ان لك أفكارك. ولكنك تحب أن تحتفظ بها لنفسك... اننى متعاطف معك. اننى أفعل نفس الشئ..

- اننى لا أشك فيه. هذا سخف! ولكننى أردت معرفة الكثير عنه!

- هذا ما أقوله.. أنه اختيارك الغريزى... أنا أيضا مهتم بذلك الشاب.. لقد اهتممت به فى ليلة العشاء هنا.. لأننى رأيت..

سأل مستر ساترثوايت بتشوق..! ماذا رأيت..؟

- لقد رأيت أن هناك اثنين من الناس على الأقل.. (ربما أكثر) يمثلون دورا... أحدهم كان سير تشارلس (وابتسم) وكان يمثل دور ضابط البحرية... ألست على حق؟ ان هذا طبيعى تماما.. ان ممثلا عظيما لا يتوقف عن التمثيل، لأنه لم يعد على خشبة المسرح.

ولكن.. ماندرز الشاب كان أيضا يمثل...! انه كان يمثل دور الرجل المتضايق وغير المبالى..! انه كان فى منتهى التوقد والحيوية...! ولهذا يا صديقى فاننى لاحظته..

- وكيف علمت بأننى كنت أفكر فى أمره؟

- بطرق كثيرة بسيطة..! انك كنت مهتما بتلك الحادثة التى جاءت به الى (ميلفورت آبى) فى تلك الليلة.. انك لم تذهب مع سير تشارلس ومس لايتون كور لترى مسز بابنجتون.. لماذا..؟ لأنك أردت أن تتبع خطا من تأملاتك دون أن يفطن اليك أحد.. أنك ذهبت الى ليدى مارى لتبحث

فى أمر شخص ما... من هو؟ انه يمكن أن يكون فقط شخصا من المنطقة.. (أوليفر ماندرز) وبعدئذ، وهى الأعجب، انك وضعت اسمه فى آخر القائمة.. من هم حقا آخر من يحتمل أن تشك فيهم بعقلك؟ الليدى مارى والآنسة ايج... ولكنك وضعت اسمه بعدهما.. لأنه كان حصانك الرابح.. وتريد الاحتفاظ به لنفسك...

قال ساترثوايت: يا ويحى!...! هل أنا حقيقة ذلك الرجل..؟

- بالضبط.. أنت حاذق فى حكمك وملاحظاتك.. ويجب أن تحتفظ بالنتائج لنفسك.. ان آرائك عن الناس هى حصيلة تجمعها لنفسك... أنت لا تظهرها ليراها العالم كله..! أعتقد أن...

ولكنه قوطع بعودة سير تشارلس..

ودخل الممثل بخطوات نشطة.. وثابة.. وقال:

- أف... يا لها من ليلة شديدة البرد عاصفة!..

وصب لنفسه كأسا من الويسكى والصودا..!

ولكن ساترثوايت وبوارو رفضا الشرب...

قال سير تشارلس: حسنا. لنضع خطة الحملة التى سنقوم بها... أين تلك القائمة يا ساترثوايت؟ آه..! شكرا..! والآن يا مسيو بوارو.. علينا برأيك اذا سمحت..! كيف سنقسم العمل فى مهمتنا الشاقة؟..

- وماذا تقترح أنت نفسك يا سير تشارلس..؟

- آه. ينبغى أن نقسم هؤلاء الناس. (تقسيم العمل).. أليس كذلك؟.. أولا: هناك مسز داكريس.. ان ايج تبدو شغوفة بأن تضعها أمام النظر.. ثم هناك داكريس.. اننى أعرف واحدا من رفاقه فى السباق.. وبوسعى أن أقول أنه يمكننى أن التقط شيئا من هذا الطريق... ثم... هناك أنجيلا ساتكليف...

فقال ساترثوايت: هذا يبدو أيضا من ضمن عملك يا كارترايت! أنك تعرفها جيدا. أليس كذلك؟ نعم. ولهذا أريد شخصا غيرى يتصل بها.

وابتسم بأسف قائلا: أولا لانني سوف أتهم بعدم الحماس فى هذه المهمة.. وثانيا.. صديقتى هل تفهم..؟

- تماما... تماما.. انك تشعر بالرقة الطبيعية.. هذا مفهوم.. هذا حسن.. انك ستأخذ مكانه فى هذه المهمة يا مستر ساترثوايت..

- وعن ليدى مارى وايج.. فاننا لا نحتسبهم بالطبع.. وماذا عن ماندرز الشاب؟... ان حضوره فى ليلة وفاة توللى كان مصادفة..! ومع ذلك أعتقد أننا يجب أن ندمجه...

وقال بوارو: ان مستر ساترثوايت سيهتم بالشاب ماندرز.. ولكننى أعتقد يا سير بأنك قد تركت اسما فى قائمتك.. لقد تجاوزت عن مس موريل ويلز..

- نعم.. لقد فعلت.. حسنا.. اذا كان ساترثوايت سيهتم بماندرز...! فأننى أنا سوف آخذ على عاتقى مس ويلز..؟ هل اتفقنا؟.. أية اقتراحات يا مسيو بوارو..؟

- لا.. لا اننى لا أظن ذلك.. اننى سأكون مشوقا لسماع نتائجك..!

- بالطبع. هذا معروف هناك فكرة أخرى! اذا حصلنا على صور فوتوغرافية لهؤلاء الناس، فقد نستعملها فى القيام بالتحريات فى جيلنج.

فوافق بوارو قائلا:

- رائع..! آه. هناك شئ.. آه.. نعم.. صديقك سير بارثلومير... انه لم يشرب الكوكتيل..! ولكنه شرب البورت؟..

- نعم..! لقد كان عنده ميل يجعله ضعيفا أمام البورت..

- يبدو من المستغرب انه لم يشعر بشئ غير عادى فى تذوقه للشراب... فان النيكوتين الصافى له طعم لاذع جدا.. وغير سائغ..

فقال سير تشارلس: عليك أن تتذكر بأنه على الأرجح لم يكن هناك أى نيكوتين فى البورت... تذكر ان محتويات الكأس قد حللت..

- آه.. نعم.. هذا بله منى.. ولكن على أى حال فقد دسست المادة فعلا.. ان النيكوتين له طعم كريه جدا..

فقال سير تشارلس ببطء: لا أعلم بأن هذا يهم.. لقد كان توللى يقاسى من حالة أنفلونزا شديدة فى الربيع الماضى.. وتركته فى حالة فقدان كبير جدا للتذوق والشم...

فقال مسيو بوارو وهو يفكر: آه.. نعم.. هذا قد يكون فيه التفسير.. ان هذا يبسط الأمور تبسيطا عظيما..

وذهب سير تشارلس الى النافذة.. ونظر الى الخارج ثم قال:

- مازالت العاصفة على أشدها..! اننى سأنزل لإحضار حاجياتك يا مسيو بوارو... ان فندق (الوردة والتاج) بديع لفنان متحمس.. ولكننى أعتقد أنك تفضل مكانا صحيا.. وفراشا مريحا...

- أنك شديد اللطف يا سير تشارلس..

- العفو.. سوف أرتب هذه المسألة الآن... وغادر الغرفة...

ونظر بوارو الى ساترثوايت قائلا:

- هل يمكننى أن أتقدم باقتراح..؟ نعم..

مال بوارو الى الأمام.. وقال فى صوت خفيض...!

- اسأل الشاب ماندرز... لماذا اختلق حادثة؟ قل له ان البوليس يشك فيه...! ثم انظر ماذا يقول...

***

الفصل السادس
سنيثيا دا كريس



كانت صالة العرض بمحلات (أمبروسين ليمتد) أنيقة المظهر. الجدران ناصعة البياض. والأبسطة السميكة متجاوبة مع اللون. بألوان معدن الكروم الواقعة تلمع هنا وهناك.! وفوق أحد الجدران تصميم هندسى رائع ضخم. بلون أزرق براق مع أصفر ليمونى...

لقد قام بتصميم هذه الحجرة (مستر سيدنى سانفورد) أحدث وأصغر مصمم فى هذا الأوان.

وجلست ايج لايتون كور فى مقعد مريح من الطراز الحديث شبيه بمقعد طبيب الأسنان.. وراحت تراقب العارضات الرشيقات وهن يمرقن كالثعابين من أمامها بوجوهن الجميلة..

وكانت ايج تحاول التظاهر بأن خمسين أو ستين جنيها هو مبلغ زهيد جدا لفستان.. وفى هذه اللحظة جاءت عميلة أمريكية ثرية.. وبينما كانت تقدم اليها احتياجاتها انتهزت ايج الفرصة وقالت للعاملة التى جاءت اليها أنها سوف تفكر قبل أن تستقر على اختيارها النهائى ثم تسللت الى الخارج.

وعندما خرجت الى شارع برتون نظرت الى ساعتها، فوجدتها الواحدة الا عشرين دقيقة.. وقبل وقت طويل لابد لها من وضع خطتها الثانية موضع التنفيذ...

وسارت حتى نهاية (ميدان بيركلى) ثم عادت ثانيا وببطء... وفى الساعة الواحدة كانت تنظر فى واجهة تعرض تحفا فنية صينية...

وظهرت مس دوريس سميز خارجة من المحل الى شارع برتون فى اتجاه ميدان بركلى، وقبل دخولها الى الميدان سمعت صوتا عن كثب..

قالت ايج: أرجو المعذرة. لكن. هل يمكننى أن أتحدث معك دقيقة؟

التفتت اليها الفتاة بدهشة.. فقالت ايج: أنك واحدة من العارضات بمحل امبروسين.. ألست كذلك..؟ لقد لاحظتك ذلك هذا الصباح.. أرجو ألا تنزعجى اذا ما قلت لك بأن لك قواما رائعا لم أر له أبدا مثيلا..

لم تغضب دوريس سيميز.. ولكنها ارتبكت قليلا وقالت:

- اننى متأكدة من أن هذا كرم كبير منك يا سيدتى..

وقالت ايج: أنك طيبة جدا لهذا سأطلب منك معروفا.. هل لك أن تأخذى معى طعام الغداء فى مطعم بركلى أوريتز.. حتى أتمكن من أن أخبرك بالموضوع؟ وبعد تردد وافقت دوريس سيميز.. شعرت بفضول.. كما أنها كانت تحب الطعام الجيد..

وحالما جلستا الى المائدة أمرت ايج بطعام الغداء.. ثم تولت التفسير قائلة: أرجو أن تحتفظى بهذا الأمر لنفسك.. الحقيقة أننى أعمل فى وظيفة يتحتم على فيها أن أكتب مقالات لنماذج متعددة للمهن النسائية.. وأريدك أن تخبرينى بكل شئ عن الأزياء..

بدت على دوريس خيبة أمل خفيفة..! ولكنها استجابت بمودة وراحت تزودها بالبيانات المختصرة عن العمل وفئات الأجور والتيسيرات والمتاعب فى العمل..!

وكانت ايج تكتب كل هذا فى مفكرة صغيرة...

ثم قالت: ان هذا كرم كبير منك.. اننى سخيفة جدا فى طلبى هذا.. ولكننى حديثة الخبرة بمثل هذا العمل الجديد بالنسبة لى.. آه.. اننى شديدة العوز..

وهذا العمل الصحفى الصغير سوف يكون له تأثير كبير بالنسبة لى..

واستمرت تكاشفها قائلة: انها كانت جراة من ناحيتى وأنا أدخل محل امبروسين لكى أتظاهر بشراء مجموعة من الفساتين.. الحقيقة أنه ليس معى سوى جنيهات قليلة لنفقات الملابس تكفينى حتى عيد الميلاد... وأعتقد أن مسز داكريس سوف تثور اذا ما عرفت ذلك..

فضحكت دوريس قائلة: أنها ستكون هكذا فعلا..

فقالت ايج: هل مثلت دورى جيدا؟ هل يلوح على مظهرى أن لدى مالا..؟ أنك كنت رائعة يا مس لايتون كور، حتى أن المدام تظن أنك سوف تأخذين أشياء كثيرة..

فقالت ايج: اننى أخاف أن تصاب بخيبة أمل..

ضحكت دوريس أكثر.. كانت تستمتع بغدائها.. وشعرت بجاذبية نحو ايج.. وفكرت فى نفسها: (قد تكون فتاة من بنات المجتمع الراقى...! ولكنها لا تريد أن تظهر ذلك.. أنها طبيعية بقدر ما يمكن)..

وبعد أن توطدت علاقات المودة ولم تجد ايج أية صعوبة فى استدراج رفيقتها الى الحديث بصراحة فى موضوع رئيستها..

قالت ايج: أننى أظن دائما أن مسز داكريس تبدو قطة مخيفة...

- لا أحد منا يحبها يا مس لايتون كور.. وهذه حقيقة.. ولكنها ماهرة بالطبع! وعندها مقدرة نادرة فى العمل... أنها ليست مثل سيدات المجتمع اللاتى يشتغلن بعمل الأزياء ثم يفلسن لأن صديقاتهن يأخذن الملابس ولا يدفعن.. أنها جادة وصارمة.. ومع ذلك فأننى أقول أنها مقتدرة كما أن لها ذوقا رفيعا.. انها تعرف كيف تجلب الناس وكيف تعطيهم الزى الذى يناسبهم.. أعتقد أنها كونت ثروة..؟

وبدت نظرة غريبة فى عينى دوريس تدل على الفهم، ولكنها قالت:

- ليس لى أن أقول شيئا أو حتى أثرثر به..

فقالت أيج: بالطبع.. استمرى.. استمرى..!

- ولكن اذا سألتنى، فان المشغل ليس بعيدا عن شارع (لكرير ستريت).. لقد جاء رجل من المرابين اليهود لمقابلتها. ودارت بينهما مفاوضات والحقيقة أنها كانت تقترض لضمان استمرار العمل، على أمل أن تنشط العمليات التجارية، وهى غارقة فى الديون.. فى الحقيقة يا مس لايتون كور أنها تبدو مخيفة فى بعض الأحيان.. اننى لا أدرى كيف كانت ستبدو من غير الماكياج! اننى لا أعتقد أنها تنام الليل!

- وما هو حال زوجها..؟

- أنه شخصية غريبة... فيها فساد كثير...

- أننا لم نر شيئا كثيرا منه أن زميلاتى من الفتيات الأخريات لا يوافقنى على رأيى.. ولكننى أعتقد أنها تعامله بقسوة.. بالطبع كثير من الأقوال القذرة قيلت...

فسألت ايج: مثل ماذا..؟

- حسنا.. اننى لا أحب أن أعيد الأقوال.. أننى لم أكن كذلك أبدا..

- بالطبع.. لا.. استمرى.. كنت تقولين..

- آه.. حسنا.. كانت هناك تقولات كثيرة بين الفتيات.. عن سخف شاب.. غنى جدا.. وناعم جدا..

وكانت المدام تستغله وتمتصه.. ولكن فجأة صدر اليه الأمر بالقيام برحلة بحرية... من الذى أمره..؟ طبيب..؟

- نعم.. أحد الأشخاص فى (هارلى ستريت) وأعتقد الآن بأنه نفس الطبيب الذى قتل فى يوركشير بالسم كما يقولون..

- سير بارثلومير سترينج...؟

- هذا هو الاسم! كانت المدام فى الحفل المنزلى. أننا نحن الفتيات رحنا نتضاحك ونقول فيما بيننا، للمزاح فقط كما تعرفين.. قلنا:

(لنفرض أن المدام قد قتلته للانتقام)... كان هذا مجرد مزاح بالطبع...

فقالت ايج: طبيعى.. مزاح الفتيات.. أنى أفهم تماما.. الحقيقة أن مسز داكريس هى فى نظرى تصلح تماما لدور القاتلة...! انها قاسية.. عنيفة.. ولا ضمير لها!..

- أنها دائما شديدة القسوة.. ولها طبع شرير! وعندما تستسلم للغضب.. فلا واحدة منا تجرؤ أن تقترب منها.. أنهم يقولون أن زوجها يرتعب منها.. ولا عجب فى ذلك..

- هل سمعتها قط تتكلم عن واحد يدعى بابنجتون. أو مكان فى (كنت) يسمى (جيللنج)؟ فى الحقيقة. لا أعتقد أننى قد سمعت بهذا.

ونظرت دوريس الى ساعتها وهتفت:

- أوه يا عزيزتى.. يجب أن أسرع.. سوف أتأخر...!

- الى اللقاء.. وأشكرك على حضورك..

- كانت متعة لى.. الى اللقاء يا مس لايتون كور.. وأتمنى أن يكون المقال ناجحا تماما.. اننى سوف أنتظره بشوق...

فقالت ايج لنفسها وهى تطلب فاتورة الحساب:

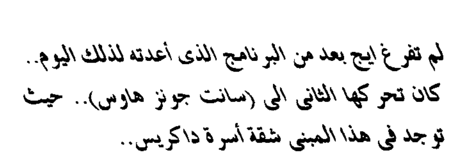
- أنك ستنتظرين عبثا يا فتاتى...

ثم كتبت فى مفكرتها الصغيرة: (سينثيا داكريس).. المعتقد أنها تعانى مصاعب مالية... (توصف بأنها ذات طبع شرير).. شاب غنى كان معروفا بأن لها علاقة غرامية معه.. صدرت اليه الأوامر للقيام برحلة بحرية بواسطة سير بارثلومير سترينج...! لم يظهر عليها أى (رد فعل) عندما ذكر أمامها اسم (جيلنج) أو أن بابنجتون كان يعرفها..

قالت ايج لنفسها: لا يبدو أن هناك شيئا كثيرا فى هذا... دافع ممكن لقتل سير بارثلومير.. ولكنه دافع ضئيل.. أعتقد أن مسيو بوارو سيكون قادرا على أن يستخلص منه شيئا.. أما أنا.. فلا..



الفصل السابع
كابتن داكريس


لم تفرغ ايج بعد من البرنامج الذى أعدته لذلك اليوم.. كان تحركها الثانى الى (سانت جونز هاوس).. حيث توجد فى هذا المبنى شقة أسرة داكريس..

وسانت جونز هاوس مبنى به عديد من الشقق المرتفعة الايجارات..

ولم تدخل ايج المبنى.. ولكنها راحت تتمشى فى الجانب الآخر للشارع.. وبعد ساعة تقريبا أدركت أنها لابد وأن تكون قد سارت أميالا عديدة.. اذ كانت الخامسة والنصف...

ثم توقفت سيارة أجرة أمام المنزل.. وهبط منها كابتن داكريس... وانتظرت ثلاث دقائق.. ثم عبرت الشارع، ودخلت الى المبنى...

وقرعت ايج جرس باب الشقة رقم ٣ وفتح الباب داكريس نفسه..

كان ما يزال مشغولا بخلع معطفه...

قالت ايج: أوه.. كيف حالك.. هل تتذكرنى..؟ لقد تقابلنا فى كورنول.. وثانيا فى يوركشير..

- بالطبع.. بالطبع.. فى حادث موت فى كل مرة.. أليس كذلك..؟ تفضلى يا مس لايتون كور.

- لقد أردت أن أرى زوجتك.. هل هى هنا..؟

- أنها هناك فى (برتون ستريت) فى محل الأزياء.

- أنا أعرف ذلك.. لقد كنت هناك.. اليوم.. لقد ظننت أنها ربما قد عادت الآن... وأنها ربما لا تمانع فى حضورى الى هنا.. اظن اننى مصدر مضايقة شديدة... وتوقفت كالمستعطف...

وقال فريدى داكريس فى نفسه: أنها بنية جميلة، فتاة جميلة حقا..

وبصوت عال قال: سينيثيا لن تعود الا بعد السادسة بوقت طويل.. اننى قادم الآن من نيويورك فى ميدان السباق.. كان يوما عفنا.. وعدت مبكرا... تعالى نشرب الكوكتيل فى نادينا الخصوصى... وافقت ايج.. وان ساورها الشك فى أنه تناول من الكحول ما فيه الكفاية.

وجلسا فى الدور الأرضى الخافت الضوء فى (النادى الخصوصى) يحتسيان المارتينى.. وقالت ايج:

هذا مكان ظريف..! أننى لم أحضر الى هنا أبدا من قبل..

وابتسم فريدى داكريس متلطفا.. أنه يميل الى مثل هذه الفتاة الصغيرة الجميلة..

قال: شيء يحير.. أليس كذلك..؟ أعنى ما حدث فى يوركشير.. شئ طريف عن دكتور يموت بالسم.. أنت ترين ما أعنيه.. شئ معكوس.. أن الطبيب هو الذى يقوم بتسميم الآخرين..

وضحك بصخب على ملاحظته.. وأمر بكأس آخر من الجين.. فقالت ايج: هذا ذكاء منك.. اننى لم أفكر هكذا من قبل..

قال فريدى داكريس: انها فقط نكتة.. بالطبع..

فقالت ايج: انه شئ غريب.. أليس كذلك..؟ اننا حين نتقابل.. يكون دائما فى مناسبات الموت..؟

فوافق كابتن داكريس قائلا: غريب الى حد ما.. أنت تقصدين هذا القس العجوز.. فى منزل الفتى الممثل..؟

- نعم.. لقد كانت الوفاة المفاجئة شديدة الغرابة.

فقال داكريس: ازعاج فظيع!. انه يجعلك تشعرين بالفزع. أناس يموتون حولك فى كل مكان. ربما كان هذا هو (دورى). وهذا ما يثير فزعك!

- هل عرفت مستر بابنجتون من قبل.. فى جيللنج؟

- لا أعرف هذا المكان أبدا.. لم تقع عينى على هذا القس من قبل... شئ غريب أن يموت كما مات العجوز سترينج!..

- حسنا.. وما رأيك أنت..؟

وهز داكريس رأسه..؟ وقال بلهجة حاسمة:

- لا يوجد أحد يقتل القسس.. لكن الأطباء مختلفون..

فقال ايج: نعم.. أعتقد أن الأطباء مختلفون..

- طبعا هم كذلك.. هذا منطقى.. ان بعض الأطباء شياطين يتدخلون فى كل شئ..

وضغط على كلماته قليلا.. ومال الى الأمام قائلا:

- أنهم لا يتركون شيئا على حاله.. مفهوم؟..

فقالت ايج: لا...؟

- أنهم يدسون انوفهم فى حياة الناس.. ان لهم سلطة كبيرة.. يجب ألا يسمح لهم بذلك...

- أننى لا أفهم تماما ما تعنيه..

- يا فتاتى العزيزة.. أننى أقول لك أنهم يجعلون الفتى يصمت.. هذا ما أعنيه... يضعونه فى الجحيم.. أنهم قساة.. يسجنونه ويبعدون عنه ما يريد. ومهما توسلت اليهم فلا يعطونه لك أبدا.. لا يأبهون بما يكون فيه الإنسان من عذاب.. هؤلاء هم بعض الأطباء... أننى أخبرك أنت.. وأنا (أعرف)..

واختلج وجهه فى ألم.. وسرح بعينيه بعيدا عنها...

- أنه الجحيم.. الجحيم.. وهم يدعون أنه العناية بك لشفائك..

يدعون أنهم يؤدون عملا طيبا!

وابتدأت ايج تتكلم بحرص: هل سير بارثلومير سترينج..؟

فانتزع الكلمات من فمها قائلا: سير بارثلومير سترينج.. سير بارثلومير الدجال.. اننى أريد أن أعرف ماذا يدور فى مصحته العظيمة.. أمراض عصبية.. هذا ما يقولونه..؟ يدخل الإنسان ثم لا يمكنه الخروج أبدا..

- يقولون بأنك قد ذهبت برغبتك وحريتك الخاصة..!

وكان الآن يرتجف..؟ وتدلى فمه فجأة.. ثم قال معتذرا:

- اننى ممزق.. كل تمزق..؟

ونادى الساقى.. وسأل ايج أن تأخذ كأسا.. آخر.. وعندما رفضت طلب واحدا لنفسه..

قال بعد أن احتسى الكأس:

- اننى أفضل الآن. لقد هدأت أعصابى. الأعمال القذرة تفقد الأعصاب. لا أريد أن أجعل سينثيا تغضب منى! لقد قالت لى ألا أتكلم.

وهز رأسه مرة أو مرتين.. وقال:

- لا فائدة من ابلاغ البوليس بكل هذا.. والا ظنوا اننى قد ازحت سير بارثلومير.. هل تدركين أن بعضهم قد فعلها؟.. واحد منا لابد وأن يكون قد قتله.. هذا تفكير مضحك فمن منا؟.. هذا هو السؤال..

قالت ايج: ربما تعرف من منا...؟

- و ما هو قصدك من هذا القول..؟ ولماذا أعرف أنا..؟

ونظر اليها بغضب وشك.. وقال: أنا لا أعرف شيئا عن هذا.. اننى لم أكن أنوى قبول علاجه اللعين.. رغم كل ما قالته سينثيا، فلم أكن أنوى أخذ هذا العلاج... انه كان يدبر شيئا... كان الاثنان يدبران شيئا... ولكن ما كان يمكن أن يستغفلونى...

وهب واقفا وقال بلهجة المخمور: اننى رجل قوى يا مس لايتون كور.

- أننى متأكدة من ذلك.. أخبرنى.. هل تعرف أى شئ عن واحدة اسمها دى روشبريدجر.. الموجودة بالمصحة..؟

- روشبريدجر؟ روشبريدجر؟ لقد قال سترينج العجوز شيئا عنها.. الآن ماذا قال؟... لا أستطيع أن أتذكر أى شئ..

وتنهد.. ثم هز رأسه: لقد فقدت ذاكرتى.. هذا ما كان.. وأصبح لى أعداء... كثير من الأعداء.. لابد وأنهم يتجسسون على الآن.

وتلفت حوله فى قلق.. ثم مال عبر المائدة ناحية ايج قائلا:

- ماذا كانت تفعله تلك المرأة فى غرفتى فى ذلك اليوم..؟

- أى امرأة..؟

- المرأة التى لها وجه الأرنب.. تلك التى تكتب المسرحيات.. كان ذلك فى صباح اليوم التالى للوفاة.. وكانت للتو قد قمت من على مائدة الإفطار.. انها خرجت من غرفتى واجتازت الباب القماش فى نهاية الممشى..؟ ثم ذهبت الى جناح الخدم.. شئ غريب؟.. لماذا ذهبت الى غرفتى.. وماذا كانت تظن أنها سوف تجده هناك؟.. ولماذا ذهبت تدس أنفها؟ وما علاقتها بهذا؟..

ومال نحوها كمن يختصها بسره، وأضاف قائلا:

- أو هل تظنين أن سينثيا صادقة فيما قالته؟

- وما هذا الذى قالته مسز داكريس..؟

فضحك مترددا، وأجاب: تقول أننى أتخيل أشياء.. تقول أننى أرى شيئا.. أننى أرى أشياء فعلا بين وقت وآخر... فيران وردية.. ثعابين.. كل هذه الأشياء.. لكن رؤية امرأة شئ مختلف... اننى فعلا رأيتها.. ان تلك المرأة مخلوق غريب... لها عين كريهة... تنفذ من خلالك!..

واضطجع على الأريكة الناعمة.. وبدا وكأنه يوشك أن ينام...

نهضت ايج قائلة: يجب أن أذهب.. شكرا جزيلا يا كابتن داكريس..

- لا تشكرينى.. أنا مسرور... مسرور للغاية!.

وفكرت ايج فى نفسها: من الأفضل أن أذهب قبل أن يغمى عليه تماما.

وأسرعت بالخروج من الجو المشبع بالتبغ فى (النادى).. الى هواء المساء البارد..

لقد قالت بياتريس الخادمة... ان مس ويلز دست انفها وتحسست..؟ والآن جاءت هذه القصة من (فريدى داكريس)، الذى كانت تبحث عنه مس ويلز...؟ وماذا وجدت..؟ هل من الممكن أن تكون مس ويلز قد عرفت شيئا..؟

هل هناك شئ فى هذه القصة المبهمة عن سير بارثلومير سترينج..؟ هل كان فريدى داكريس يخافه ويكرهه فى الخفاء..؟

ان هذا يبدو ممكنا.. ولكن.. فى كل هذا.. لا توجد أى إشارة تدل على وقوع جريمة فى حالة بابنجتون..؟

وقالت ايج فى نفسها:

(كم كان يكون غريباً اذا كان بابنجتون لم يقتل بعد كل هذا...؟).

وأمسكت أنفاسها بحدة، عندما وقع بصرها على عنوان جريدة معلقة على بضع خطوات منها. (نتيجة تشريح الجثة فى حادث اقليم كورنوول).

خطفت جريدة.. وبينما هى تفعل ذلك اصطدمت بامرأة أخرى تفعل نفس الشئ... وعندما اعتذرت لها ايج عرفت فيها سكرتيرة سير تشارلس الماهرة (مس ميلراى)...

وأمسكت كل منهما بجريدتها... نعم وهما واقفتان جنبا لجنب: هذا هو الخبر: (نتيجة تشريح الجثة) تحليل الأعضاء... نيكوتين...

قالت ايج: اذن... لقد قتل؟

قالت مس ميلراى: آه يا عزيزتى.. ان هذا مريع... مريع!..

وكانت بادية الانفعال..

ونظرت اليها ايج بدهشة.،، كانت دائما تنظر الى مس ميلراى على أنها أبعد عن المشاعر الانسانية.

وقالت مس ميلراى مفسرة ذلك:

- أنت ترين اننى قد صدمت.. اننى كنت أعرفه طول حياتى...

- مستر بابنجتون...؟ نعم.. ان أمى كانت تعيش فى (جيللنج) حينما كان يعمل قسيسا...؟ طبيعى أن تكون صدمة..

- أوه.. بالطبع.. بالطبع..

قالت مس ميلراى...: فى الحقيقة.. أنا لا أعرف ماذا أفعل..

واحمر وجهها قليلا أزاء نظرة الدهشة التى بدت على ايج..

وقالت بسرعة: أننى أريد أن أكتب الى مسز بابنجتون..؟ ولكن هذا لا يبدو. لا يبدو.. لا أدرى ما الذى يجب على عمله فى هذا الموقف..

وبصورة ما لم يكن هذا التفسير لينال رضا ايج.

***

الفصل الثامن
أوليفر ماندرز



في مكتب السادة/ سبير وروس سأل مستر ساترثوايت عن مستر أوليفر ماندرز، وأرسل له بطاقته..
وفي الحال.. اقتيد الى حجرة صغيرة.. حيث كان يجلس بها أوليفر ماندرز إلى مائدة للكتابة..

ووقف شاب، وصافحه.
قال: هذا لطف كبير منك أن تسأل عنى يا سيدى..
وكانت لهجته تعنى انه يريد أن يقول:
- يجب على أن أقول ذلك.. ولكن فى الحقيقة هذا ازعاج لعين..
على أى حال فلم يكن من السهل التخلص من ساترثوايت.. انه جلس، وجعل يتمخط ساهما، ثم نظر اليه من فوق حافة منديله قائلا:
- هل قرأت أخبار الصباح..؟
- أتعنى أخبار الموقف المالى الجديد..؟ حسنا أن الدولار..
فقال ساترثوايت: ليس الـدولار..؟ ولكن الوفاة... نتيجة تشريح لوماوث.. لقد مات مستر بابنجتون بسم النيكوتين..
- أوه..! ذلك.. اننى قرأت هذا..! لسوف يسعد ذلك صديقتنا النشيطة ايج...! لقد أصرت دائما على انها جريمة قتل..
- ولكن ألا يهمك هذا..؟
- ان ميولى ليست سقيمة الى هذا الحد.. وعلى أى حال، فان القتل. وهز كتفيه واستطرد:.. انه من أعمال العنف، وليس فيه أى فن.
فقال مستر ساترثوايت: انه ليس دائما بلا فن..
- لا؟ حسن.. ربما..
- ان هذا يتوقف على من يرتكب القتل.. أنت مثلا متأكد من أنك

يمكن أن ترتكب القتل بطريقة فنية جدا..

فقال أوليفر ساخرا: لطيف منك أن تقول ذلك..

- ولكن بصراحة يا ولدى العزيز.. اننى لا أعول كثيرا على الحادثة التى أفتعلتها.. ولا البوليس أيضا، فيما أفهم..

ومرت فترة سكون.. ثم سقط قلم على الأرض..

قال أوليفر: أرجو المعذرة.. اننى لا أفهمك تماما.

- هذا المشهد غير الفنى..! الذى كان منك فى (دير ميلفورت آبى).. يهمنى أن أعرف لماذا فعلته..

وكانت هناك فترة سكون أخرى. ثم قال أوليفر:

أنت تقول أن البوليس يشك..؟

فأومأ ساتر ثوايت وسأله بعفويه:

- انه يبدو مشوبا بالشك.. ألا تظن ذلك..؟

ولكن.. ربما يكون لديك تفسير سليم جدا...

قال أوليفر ببطء: لدى هذا التفسير.. أما أن يكون سليما أم لا، فهذا ما لا أعرفه..

- هل لك فى ان تدعنى أحكم..؟

ساد سكون لحظة ثم قال أوليفر: لقد ذهبت الى هناك، بالكيفية التى ذهبت بها، باقتراح سير بارثلومير نفسه..

وذهل مستر ساترثوايت وقال: ماذا..؟

هذا غريب.. أليس كذلك؟ ولكنه حقيقى... لقد وصلنى خطاب منه يقترح فيه أن أفتعل حادثة وأطلب الضيافة.. لقد قال بأنه لا يستطيع أن يبين الأسباب كتابة.. ولكنه سوف يوضحها لى فى أول فرصة..

وهل أوضحها..؟

لا لم يفعل.. لقد وصلت الى هناك قبيل العشاء.. ولم أقابله بمفرده وفى نهاية العشاء.. لقد.. لقد.. مات..

وزال الأعياء من هيئة أوليفر.. وتركزت عيناه السوداوان على مستر ساترثوايت.. وبدا أنه يدرس بانتباه رد الفعل الذى أثارته كلماته هذه.

- هل عندك هذا الخطاب..؟ لا لقد مزقته..

فقال ساترثوايت بجفاء: يا للأسف..! وهل لم تقل شيئا للبوليس..؟

- لا. لقد بدا كل شئ؟ وكأنه أقرب الى الخيال..- انه كذلك فعلا..

هز مستر ساترثوايت رأسه. (هل كتب بارثلومير سترينج مثل هذا الخطاب) بدا أن هذا شئ غير معهود منه بتاتا. ان القصه كان بها لمسة (ميلودراما) وبعيدة كل البعد عن طباعى الطيبية السمحة الواعية.

ورفع بصره الى الشاب.. كان أوليفر ما يزال يراقبه..

وفكر مستر ساترثوايت: (انه ينظر الى ليرى اذا ما كنت قد ابتلعت قصته..).

وقال: ألم يقدم سير بارثلومير أبدا أى سبب لطلبه الغريب هذا..؟

- لا سبب بالمرة... أنها قصة غير عادية..

لم يتكلم أوليفر.. ومع ذلك فانك لبيت طلبه؟.

فعاد اليه شعوره بالاعياء والملل... وقال: بدأ أنه طلب خارج عن المألوف حتى ليشبع النفس.. اعترف لك اننى شعرت بفضول.

وسأل ساترثوايت: هل هناك شئ آخر..؟

- ماذا تقصد يا سيدى بشئ آخر..؟ ولم يعرف ساترثوايت حقا ما كان يقصده. انه كان منقادا بشعور غامض.

قال: أقصد أن أقول..! هل هناك شئ آخر يمكن أن يقدم. ضدك؟

توقف الحديث مرة أخرى.. ثم هز الشاب كتفيه قائلا:

- أعتقد أنه يجب أن أقول الحقيقة عن حادث معين... فان المرأة لن تمسك لسانها عنه...

نظر ساترثوايت متسائلا فقال:

- كان ذلك صباح اليوم التالى للجريمة.. وكنت أتكلم مع المرأة (انتونى ارمسترونج)، وأخرجت مفكرتى من جيبى.. وسقط منها شئ..

فالتقطته هى. وأعادته الى وما هو هذا الشئ..؟
- لسوء الحظ. انها القيت عليه نظرة قبل أن تعيده الى.. كانت قصاصة من جريدة عن (النيكوتين) وكم هو مميت ووو.. الى آخره..
- وكيف تأتى لك الاهتمام بهذا الموضوع..؟
- لم أكن مهتما به.. أعتقد أنى وضعت هذه القصاصة فى وقت ما.. لكننى لا أتذكر أننى فعلت ذلك بالمرة..! شئ مخيف مضحك.. أليس كذلك؟
وفكر ساترثوايت لنفسه: (قصة هزيلة...!)
واستطرد أوليفر: أعتقد أنها ذهبت الى البوليس بهذه القصة...
هز ساترثوايت رأسه.
- لا أظن ذلك.. أتصور انها امرأة تحب جيدا أن تحتفظ بالأشياء لنفسها.. انها جامعة معلومات..
ومال أوليفر ماندرز الى الأمام فجأة وقال: اننى برئ يا سيدى.. برئ تماما..
قال ساترثوايت بلطف: أنا لم أشر الى أنك مذنب..
- ولكن أحدهم فعل هذا..! أحدهم لابد قد فعل هذا.. أحدهم قد أطلق البوليس فى أثرى.. وهز ساترثوايت رأسه قائلا: لا.. لا...
- اذن لماذا أتيت هنا اليوم..؟
فقال ساترثوايت بشئ من التباهى: جزئيا كنتيجة لتحرياتى فى الموضوع.. وجزئيا بناء على اقتراح صديقى... أى صديق..؟
- هيركيول بوارو...
- تفجر الكلام من أوليفر رغما عنه: ذلك الرجل..؟ هل عاد ثانيا الى انجلترا..؟ نعم...
- ولماذا عاد؟
فنهض ساترثوايت قائلا: ولماذا يذهب الكلب للصيد...؟
وغادر الحجرة سعيدا بإجابته...



الفصل التاسع
بوارو يدعو الى حفلة شيري

جلس هير كيول بوارو في مقعد وثير ذى ذراعين في جناحه الأنيق بفندق رتز، وأخذ ينصت..

كانت ايج تتكئ على مسند أحد المقاعد.. وقف تشارلس أمام المدفاة وجلس ساترثوايت أبعد قليلا يراقب المجموعة...

قالت ايج: انه فشل على طول الخط..

هز بوارو رأسه فى لطف.. وقال:

- لا.. لا انك تبالغين.. فيما يختص بالحلقة الموصلة الى مستر بابنجتون، فانك سددت الثغرة..

- لكنك جمعت معلومات أخرى توحى بأشياء..

فقال سير تشارلس:

- ان المرأة ويلز تعرف شيئا.. أقسم أنها تعرف شيئا..

- وكابتن داكريس.. انه أيضا غير مستريح الضمير.. ومسز داكريس كانت فى حاجة ماسة الى المال.. وسير بارثلومير أفسد فرصتها فى الحصول على شئ منه.

وسأل مستر ساترثوايت: وماذا تظن فى قصة الشاب ماندرز..

- أنها لفتت نظرى بغرابتها واعتبارها لا تمت بشئ الى طباع الراحل سير بارثلومير سترينج فسأل سير تشارلس:

- أتعنى أنها كذب..؟
فأجاب هيركيول بوارو: هناك أنواع كثيرة من الكذب...
وسكت دقيقة أو اثنين ثم قال:
- هذه المس ويلز.. لقد كتبت مسرحية لمس ساتكليف..؟
- نعم.. والحفلة الأولى يوم الأربعاء القادم.. آه..
وسكت ثانيا..
فقالت ايج: أخبرنا ماذا سنفعل الآن..؟
وابتسم الرجل القصير لها وقال:
- هناك شئ واحد يمكن عمله... فكرى...
صرخت ايج باشمئزاز: أفكر..؟
وأشرق وجه بوارو:
- نعم.. بالضبط هو هذا.. فكرى.. فانه بالتفكير تحل كل المشاكل.
- الا يمكننا فعل شئ..؟
- لك أنت الفعل يا آنسة؟.. ولكن قطعا، مازالت هناك بعض أشياء يمكنك أن تفعليها.. هناك -مثلا- هذا المكان.. جيللنج.. حيث عاش مستر بابنجتون سنين عديدة.. يمكنك أن تقومى بتحريات هناك.. أنت تقولين أن ميلراى هذه. لها أم تعيش فى (جيللنج) وهى مريضة عاجزة.. والعاجز يعرف كل شئ.. انها تسمع كل شئ.. ولا تنسى شيئا.. قومى بتحرياتك عندها.. انها ربما تقودك لشئ.. من يدرى..؟

فقالت ايج باصرار: وأنت.. ألن تقوم بفعل أى شئ..؟

وغمز بوارو بعينيه.. قائلا: أنت تصرين على أننى يجب أيضا أن أكون فعالا؟. حسن... سيكون لك ما ترغبين.. أنا فقط أبرح هذا المكان.. أننى مرتاح هنا جدا.. ولكننى أخبرك بما سوف أفعله.. أننى سأقيم الحفل -حفلا شيرى- هذا من (المودة).. أليس كذلك..؟

- حفلا للشيرى...؟

- بالضبط.. وأننى سأدعو مسز داكريس، وكابتن داكريس، ومس ساتكليف، ومس ويلز، ومستر ماندرز وأمك الفاتنة يا آنسة... وأنا...؟

- طبيعى.. وأنت.. والموجودون هنا مدعوون أيضا...

هتفت ايج: مرحى! لن تستطيعِ أن تخدعنى يا مسيو بوارو..! شئ ما سيحدث فى هذا الحفل.. نعم سيحدث.. أليس كذلك..؟

قال بوارو: سنرى.. ولكن لا تتوقعى الكثير، يا آنسة! والآن اتركينى مع سير تشارلس لأن هناك بعض أشياء أريد أن استشيره فيها.

قالت ايج هى مبتهجة أثناء وقوفها مع مستر ساترثوايت فى انتظار المصعد: هذا ممتع جدا تماما.. مثل القصص البوليسية... سوف يكون الجميع هناك.. وعندئذ سيقول لنا من منهم فعلها...

قال مستر ساترثوايت: اننى أتعجب..

أقيم حفل الشيرى مساء يوم الاثنين، وقبل الجميع الدعوة. وراحت مس ساتكليف الفاتنة المتهورة تضحك بخبث وهى تدير النظر حولها، قائلة: تماما مثل بيت العنكبوت يا مسيو بوارو! ونحن الحشرات الصغيرة المسكينة قد دخلنا اليه! اننى متأكدة من انك سوف تقدم لنا أروع تلخيص للقضية. ثم فجأة سوف تشير الى وتقول: (أنت هى المرأة). فيقول الجميع (هى فعلتها) ثم انفجر باكية واعترف، لأننى سوف أعجز عن كل كلام.. أوه يا مسيو بوارو. اننى خائفة منك كل الخوف!

هتف بوارو: يا لها من حكاية!..

كان مشغولا بالزجاجة والكؤوس.. ومد يده اليها وكأس من الشيرى وهو ينحنى لها قائلا: هذه حفلة ودية صغيرة.. لا تجعلينا نتكلم عن القتل وسفك الدماء والسم ان هذه الأشياء تفسد الشهية.

وناول كأسا لمس ميلراى العابسة التى رافقت سير تشارلس.. وكانت

واقفة يبدو على سحنتها تجهم شديد...

وقال بوارو: بعد أن انتهى من اجراءات الضيافة:

هكذا.. دعنا نعيش أول مناسبة تقابلنا فيها.. دعونا نعيش بروح الحفل.. نأكل.. ونشرب.. ونمرح.. لأننا غدا سوف نموت...

- وا أسفاه!.. لقد ذكرت الموت مرة أخرى...

ثم أحنى رأسه لمسز داكريس قائلا: هل تسمحين لى بأن أتمنى لك حظا سعيدا وأهنئك على الرداء الساحر؟

وقال سير تشارلس: هذا نخبك يا ايج..

وقال فريدى داكريس: نخبكم!..

وغمغم كل فرد كلاما.. كان هناك جو متكلف للمرح..! كل واحد كان يحاول أن يظهر مرحا وغير مشغول البال... الا بوارو فقط الذى بدأ طبيعيا.. ومضى يتكلم بسعادة قائلا:

- اننى أفضل الشيرى على الكوكتيل.. وأفضله آلاف المرات على الويسكى.. آه.. ما أفظع الويسكى!.. من يشرب الويسكى يفسد شهيته تماما.. ان خمور فرنسا الرقيقة... لكى نقدرها تماما، يجب أن... آه!. ما هذا..؟

فقد قاطعه صوت غريب.. شبه صيحة مختنقة.. واتجهت كل عين الى سير تشارلس الذى وقف يترنح وقد تقلص وجهه.. وسقطت الكأسى من يده على السجادة.. وخطا بضع خطوات عمياء ثم هوى على الأرض...

وكانت هناك لحظة سكون مذهل.. ثم صرخت انجيلا ساتكليف:

واندفعت ايج على الفور وهى تصرخ: تشارلس! تشارلس...!

وشقت طريقها الى الأمام بلا وعى. فاستوقفها مستر ساترثوايت برقة.

وصاحت ليدى مارى: آه يا ربى... ليست جريمة أخرى!..

وهتفت أنجيلا ساتكليف: لقد سمم هو أيضا.. هذا مخيف!. آه يا ربى.. هذا مرعب!. مرعب جدا!..

وفجأة ارتمت على أريكة.. تبكى وتضحك فى صوت مخيف.

وتكفل مسيو بوارو بالموقف.. كان يركع بجوار الرجل الممدد.. وتراجع الآخرون الى الخلف.. وهو يقوم بالفحص...

ثم توقف على قدميه وهو ينفض ركبة البطلون بحركة آلية... ونظر حوله الى الجميع.. كان هناك سكون تام.. اللهم الا صوت نحيب انجيلا ساتكليف المختنق...

ابتدأ بوارو يقول: أصدقائى...

ولم يتفوه بكلمة بعد ذلك.. فلقد بصقت ايج الى ناحيته... وراحت تقول: أنت أيها الأحمق!.. أيها الأحمق المحتال السخيف!.. تتظاهر بالعظمة والروعة... وتدعى أنك تعرف كل شئ!. والآن تسمح لهذا أن يحدث.. جريمة قتل أخرى.. تحت أنفك.. لو تركت كل شئ على حاله لما حدث هذا.. انك أنت الذى قتلت تشارلس.. أنت.. أنت...!

وتوقفت.. عاجزة عن ايجاد الكلمات...

أومأ بوارو برأسه فى رصانة، وحزن قائلا:

هذا حقيقى يا آنسة.. أنا أعترف بهذا.. أننى أنا الذى قتل سير تشارلس... ولكننى قاتل من نوع خاص جدا...! اننى أستطيع أن أقتل وأستطيع أيضا أن أعيد المقتول الى الحياة...!

واستدار، وقال بنغمة مختلفة فى صوته فيها اعتذار:

- تمثيل رائع.. رائع.. أننى أهنئك يا سير تشارلس.. ربما تريد الآن أن تواجه النظارة...

وقفز سير تشارلس على قدميه محنيا رأسه فى تهكم... فشهقت ايج بشدة قائلة: مسيو بوارو!. أنت.. أنت وحش...

وصاحت انجيلا ساتكليف: تشارلس.. أنت شيطان تماما..!

- لكن.. لماذا..؟ وكيف..؟

- بحق الشيطان...؟

استطاع بوارو اسكاتهم بيده التى رفعها عاليا، وقال:

- سادتى وسيداتى. أرجو عفوكم جميعا.. هذه التمثيلية الهزيلة الصغيرة كانت ضرورية جدا لتبرهن لكم جميعا، وتبرهن لى خاصة. على حقيقة دلنى عقلى فعلا من قبل أنها صحيحة...

اصغوا الى: (على هذه الصينية التى بها كؤوس، وضعت أنا فى كأس منها ملء ملعقة صغيرة ماء عادى.. هذا الماء يمثل النيكوتين الصافى. وهذه الكؤوس هى من نفس النوع الذى كان عند سير تشارلس كارترايت وسير بارثلومير سترينج.. بالنسبة الى ثقل الكؤوس. فان كمية صغيرة من سائل غير ملون لا تكون ملحوظة تماما.. تخيلوا اذن كأس البورت الخاص بسير بارثلومير سترينج...، بعد وضع الكأس على المائدة قام شخص ما بوضع كمية كافية من النيكوتين الصافى به.. يمكن أن يكون هذا قد نفذ بواسطة أى شخص.. الساقى.. الوصيفة.. أو أى واحد من الضيوف تسلل أحدهم الى غرفة الطعام فى طريقه الى الدور الأرضى.. ثم قدمت الحلوى وصبت الكؤوس.. وأدير البورت.. وشرب سير بارثلومير.. وسقط ميتا..

(والليلة.. لقد مثلنا مأساة ثالثة.. مأساة زائفة.. لقد سألت سير تشارلس أن يمثل دور الضحية.. وكان رائعا فى تمثيله... والآن.. افترضوا بأن هذا لم يكن تمثيلا.. بل حقيقة... وأن سير تشارلس قد مات، فما هى الاجراءات التى سيتخذها البوليس...؟

صاحت مس ساتكليف: اذن... الكأس بالطبع...!

وأومأت الى الكأس الملقى على الأرض، والذى سقط من يد سير تشارلس وأردفت: أنك قد وضعت ماء فقط. ولكن لو كان هذا نيكوتين.

لمس بوارو الكأس بأصبع قدميه بلطف وقال:

- دعونا نفترض أنه نيكوتين.. هل من رأيكم أن البوليس سيقوم

بتحليل الكأس.. وبأنه سوف يجد بقايا النيكوتين...؟ بالتأكيد..!

وهز بوارو رأسه بلطف أيضا قائلا:

- أنتم مخطئون.. لن يوجد أى نيكوتين..

وحملق الجميع فى وجهه..

وابتسم هو وقال:

ـالحقيقة أن هذه ليست الكأس التى شرب منها سير تشارلس...

وبابتسامة معتذرة مد يده بكأس أخرجها من جيب معطفه المذيل قائلا: هذه هى الكأس التى استعملها..

واسترسل: انها كما ترون.. نظرية بسيطة للغاية، نظرية الخدعة السحرية.. الانتباه لا يكون فى مكانين فى وقت واحـد.. لكى أقوم بخدعتين، فاننى أحتاج الى أن أحول الانتباه الى مكان آخر حسن.. هناك لحظة سيكولوجية.. عندما يسقط سير تشارلس ميتا، فان كل عين فى الحجرة ستكون مركزة على جسده الميت.. كل فرد يتزاحم ليكون بجواره، ولا ينظر أحد إطلاقا الى هركيول بوارو...

وفى هذه اللحظة..! أبدل أنا الكأسين..! ولا أحد يرى..

(وهكذا، ترون أننى قد برهنت على نظريتى. كانت هناك مثل هذه اللحظة فى (كروزلف) وكانت هناك مثل هذه اللحظة فى (ميللفورت آبى).

وهكذا.. لم يكن هناك نيكوتين فى كأس الكوكتيل... ولم يكن هناك نيكوتين فى كأس البورت..!

صاحت ايج: ومن استبدلهما...؟

فأجاب بوارو وهو ينظر اليها:

- هذا هو الذى ما زلنا نبحث عنه..

ألا تعرف...؟

هز بوارو كتفيه:

وابدى الضيوف اشارة للرحيل وهم فى شك وتردد.. كانت تصرفاتهم يشوبها شئ من البرود.. لقد شعروا بأنهم استغفلوا...

فأوقفهم بوارو باشارة من يديه، قائلا:

- أرجوكم لحظة واحدة.. ان هناك شيئا واحدا فقط أريد أن أقوله.. هذه الليلة نعرف بأننا قد مثلنا كوميديا.. ولكن الكوميديا ربما تمثل بجدية.. وربما تنقلب الى تراجيديا.. تحت ظروف معينة ربما يضرب القاتل ضربته الثالثة.. أننى أقول لكم الآن، فى حضوركم جميعا: اذا كان أحد منكم يعرف شيئا.. أى شئ ربما تكون له صلة بهذه الجريمة، فاننى أتوسل الى هذا الشخص أن يتكلم الآن.. أن احتفاظ أى شخص لنفسه بهذه المعلومات فى هذا الظرف الدقيق قد يكون خطرا... بل سيبلغ الخطر حدا قد يؤدى الى موت يمنيه السكوت.. لهذا.. فاننى أرجو ثانية.. اذا ما كان أى شخص يعرف أى شئ.. فليتكلم هذا الشخص الآن...!

وقد بدا لسير تشارلس أن نداء بوارو كان موجها لمس ويلز خاصة.. اذا كان كذلك.. فلم تكن هناك أى نتيجة..!

لم يتكلم أحد ولم يجب أحد..

تنهد بوارو.. وسقطت يده الى جانبه.. وقال:

- ليكن ما يكون اذن.. اننى حذرت.. لا يمكن أن أفعل أكثر من ذلك.. تذكروا.. الصمت معناه: الخطر..!

ومع ذلك لم يتكلم أحد...

ثم رحل الضيوف فى ارتباك ظاهر...

ولم يبق الا ايج.. وسير تشارلس.. ومستر ساترثوايت..

أما ايج.. فانها لم تكن قد صفحت بعد عن بوارو.. لقد جلست ساكنة موردة الخدين.. والغضب يطل من عينيها.. ولم تنظر قط الى سير تشارلس..

قال سير تشارلس بتقدير: لقد كان هذا عملا ماهرا يا بوارو..!

قال ساترثوايت ضاحكا: مذهل..أننى كدت لا أصدق أبدا أننى رأيتك وأنت تعمل هذا التبديل.

وقال بوارو:

- هذا هو السبب فى اننى لم أطلع أحدا على سر مقدما... لكى يمكن التأكد من أن التجربة، يمكن أن تتم دون أن يلاحظها أحد..

- هل كان السبب الوحيد فقط لهذه التجربة أن ترى إمكانية حدوثها بلا ملاحظة...؟

- حسن. ربما ليس تماما.. ربما كان لدى غرض آخر...

- نعم..؟

- لقد أردت أن أرى التعبير الذى يرتسم على وجه شخص معين عندما يسقط سير تشارلس ميتا..!

قالت ايج بحدة: أى شخص تعنى..!

- آه.. هذا سرى الخاص..!

فقال ساترثوايت: وهلا لاحظت وجه هذا الشخص..؟

- نعم..

- حسن..؟

لم يجب بوارو.. لقد هز رأسه فقط...

- ألا تقول لنا ما الذى رأيته..؟

- لقد رأيت تعبيرا عن أشد الدهشة...؟

فشهقت ايج قائلة:

- هل تعنى أنك تعرف من هو القاتل..؟

- يمكنك أن تقولى هذا يا آنسة اذا أحببت...

- ولكن اذن.. لكن اذن.. أنت تعرف كل شئ..؟

هز بوارو رأسه.. وقال:

- لا.. لا على العكس.. أننى لا أعرف شيئا على الإطلاق.. فاننى لا أعرف لماذا قتل ستيفان بابنجتون. الى أن أعرف ذلك، فلا يمكننى أن أبرهن على شئ ولا يمكننى أن أعرف أى شئ.. ان البعض قالها كلها منها على ذلك... الدافع الذى أدى الى موت ستيفن بابنجتون..

وسمع طرق على الباب.. ودخـل ساع يحمل برقية موضوعة على صينية... ففتحها بوارو.. وتغير وجهه.. وناول البرقية الى سير تشارلس... ومالت ايج على كتف سير تشارلس وقرأتها بصوت عال:

(أرجو الحضور لرؤيتى فورا.. يمكننى أن أعطيك معلومات قيمة عن وفاة سير بارثلومير سترينج).

صاح سير تشارلس:

(مارجريت روشبريدجر)

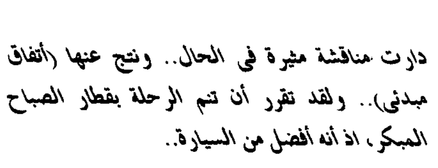
- مسز دى روشبريدجر.. أننا على حق بعد كل هذا...!

- ان لها علاقة بالقضية!...

***



الفصل العاشر
يوم فى جيللنج


دارت مناقشة مثيرة في الحال.. ونتج عنها (أتفاق مبدئي).. ولقد تقرر أن تتم الرحلة بقطار الصباح المبكر، اذ أنه أفضل من السيارة..

قال سير تشارلس:

أخيرا.. سنذهب للتأكد من ذلك السر ونجلو غموضه...

فقالت ايج: وماذا تظن أن يكون هذا السر؟

- لا يمكننى أن أتخيله..! ولكنه لن يفشل فى القاء بعض الضوء على موضوع بابنجتون..! اذا كان توللى قد جمع هؤلاء الناس، عن عمد، كما أشعر تماما بأنه قصد هذا فعلا، اذن فان المفاجأة التى قال بأنه سوف يقدمها لهم، لها صلة بهذه المرأة روشبريد جر! أعتقد بأننا يمكن أن نفترض ذلك.. ألا ترى هذا أيضا يا مسيو بوارو..؟

وهز بوارو رأسه فى حيرة وغمغم:

- هذه البرقية زادت من تعقيد الأمر... ولكننا يجب أن نسرع.. وبأسرع ما يمكن..

ولم ير ساترثوايت أية ضرورة للسرعة الشديدة.. ولكنه وافق تأدبا منه: بالتأكيد.. سنذهب بأول قطار فى الصباح.. وأريد أن أقول: هل من الضرورى لنا كلنا أن نذهب؟

وقالت ايج: لقد اتفقنا. سير تشارلس وأنا. على الذهاب الى جيللنج.

وقال سير تشارلس: يمكن تأجيل ذلك..!

وقالت ايج: لا أعتقد بأنه يجب علينا أن نؤجل أى شئ.. لا حاجة بنا نحن الأربعة للذهاب الى يوركشير.. ان هذا سخف.. بجمع كبير.. مسيو بوارو ومستر ساترثوايت يذهبان الى يوركشير.. وسير تشارلس وأنا نذهب الى (جيللنج).

قال سير تشارلس بشئ من الكآبة: أنا شخصيا.. أحب أن أبحث موضوع لروشبريدجر هذه..! وذلك. لاننى قد تكلمت مع الرئيسة من قبل.. وهكذا أصبح لى ضلع فى الموضوع...

فقالت ايج: وهذا هو ما يجعل من الأفضل لك أن تكون بعيدا.. لقد ورطت نفسك فى أكاذيب كثيرة.. والآن وقد عادت هذه المرأة روشبريدجر الى وعيها فسوف -يعرف أنك كذاب كبير...! الأهم من هذا كثيرا ذهابك الى جيللنج.. اذا ما أردنا مقابلة أم مس ميلراى، فانها ستفتح لك قلبها أكثر من أى شخص آخر.. لأنك مخدوم ابنتها.. وهى ستضع ثقتها فيك.

ونظر سير تشارلس الى وجه ايج المشرق الوضئ..! وقال:

- سأذهب الى جيللنج..! أعتقد بأنك محقة فى ذلك تماما..

قالت ايج: أعرف بأننى على حق..

قال بوارو بنشاط:

فى رأيى هذا ترتيب ممتاز.. كما تقول الآنسة. سير تشارلس هو الشخص المناسب تماما لمقابلة مسز ميلراى هذه. من يدرى، ربما تعرفون منها حقائق أكثر أهمية من تلك التى سنعرفها نحن فى يوركشير!

ورتبت الأمور على هذا الأساس.. وفى العاشرة الا ربع من صباح اليوم التالى، أقل سير تشارلس ايج فى سيارته، فى حين كان بوارو ومستر ساترثوايت قد غادرا فعلا لندن بالقطار..

كان صباحا بديعا.. ينذر هواءه بالصقيع وشعرت ايج بروحها المعنوية ترتفع وهما يجتازان الطرق المختصرة المتعددة التى اكتشفها سير تشارلس بتجاربه فى جنوب نهر التايمز..

وكانت الساعة تقترب من الثانية عشره الا ربعا، حين وصلا أخيرا الى وجهتهما...

كانت جيللنج قربة شبه منسية من العالم.. لها كنيسة قديمة.. وأبرشية.. واثنان أو ثلاثة حوانيت.. وصف من الأكواخ.. وبعض الدور الأدارية جديدة.. تتوسطها ساحة خضراء جميلة.

وكانت تعيش أم مس ميلراى فى منزل منفرد على الجانب الآخر من الساحة الخضراء، بجوار الكنيسة...

وحالما وقفت سيارة سألت ايج:

- هل تعلم مس ميلراى بأنك ذاهب لرؤية أمها..؟

-.. نعم.. لقد كتبت للعجوز لكى تعدها لذلك..

- هل تظن أن هذا كان عملا سليما؟

- يا طفلتى العزيزة.. ولم لا..؟

- لا أدرى.. ولكنك لم تحضرها معك رغم ذلك...

- الحقيقة. اننى فكرت فى انها ربما تتفوق على... انها أكثر اقتدارا منى.. وربما غلبتنى...!

فضحكت ايج...

وتبين ان مسز ميلراى كانت على نقيض ابنتها تماما.. فى حين أن مس ميلراى صلبة، كانت هذه رقيقة.. كانت مس ميلراى بارزة الأضلاع... ولكن هذه كانت مستديرة...! كانت مسز ميلراى امرأة قصيرة بدينة، قعيدة فى مقعد وثير، تتطلع من النافذة وترصد كل ما يجرى فى العالم الخارجى...

وقد بدت منفعلة مسرورة بوصول ضيفيها... وقالت:

- ان هذا كرم كبير منك يا سير تشارلس.. لقد سمعت كثيرا عنك من ابنتى -فيوليت (اسم ميس ميلراى) انك لا تعلم كم هى معجبة بك.. لقد كانت أعوامها التى عملت فيها عندك ممتعة لها.. هلا جلست يا مس لايتون كور؟ أرجو المعذرة لعدم وقوفى.. فاننى فقدت القدرة على استعمال قدمى منذ سنين.. انها مشيئة الله.. واننى لا أشكو وما أقوله هو ان الانسان يمكنه أن يعتاد على أى شئ.. ربما ترغبان فى قليل من المرطبات بعد هذا الجهد.

أعتذر كل من تشارلس وايج عن رغبتهما فى أى مشروب. ولكن مسز ملراى، لم تهتم، وصفقت بيديها وبعد قليل جئ بالشاى والبسكويت.

وطرق سير تشارلس الغرض من الزيارة قائلا:

- أتوقع أن تكونى قد سمعت يا مسز ميلراى عن مأساة موت مسز بابنجتون.. الذى كان قسا هنا..

وأحنت المرأة القصيرة البدينة رأسها مؤكدة بشدة، قائلة:

- نعم. فى الحقيقة لقد قرأت كل شئ عن تشريح الجثة فى الجرائد. واننى لا أكاد أتصور من ذا الذى سببه!.. كان رجلا شديد اللطف. أحبه كل فرد هنا. وهى أيضا. وأطفالهم الصغار، كلهم. كلهم.

فقال سير تشارلس: انه فى الحقيقة لغز كبير اننا كلنا فى يأس من جهته..! فى الحقيقة.. اننا نأمل فى انك قد تستطيعين القاء أى ضوء على هذه المسألة..

- أنا..؟ ولكننى لم أر عائلة بابنجتون.. دعنى أتذكر.. لابد أنه مضى أكثر من خمسة عشر عاما..

- أنا أعرف ذلك.. ولكن بعضنا عنده فكرة من أنه ربما يكون هناك شئ فى الماضى له صلة بموته..

- اننى متأكدة من اننى لا أعرف ماذا يمكن أن يكون.. كانوا يعيشون عيشة هادئة كانوا معوزين... بكل هؤلاء الأطفال!..

كانت مسز ميلراى راغبة فى استعادة ذكريات ماضية، ولكن ذكرياتها

لم تلق سوى ضوء يسير على المشكلة التى جاء الاثنان لحلها..

وأراها سير تشارلس صورة كبيرة تضم أسرة داكريس، وكذلك صورة قديمة لانجيلا ساتكليف، وصورة مطموسة نزعت من جريدة لمس ويلز... وقد تطلعت ميسز ميلراى إليهم جميعا باهتمام كبير.. ولكن بلا اشارة لمعرفتهم..

قالت: أستطيع أن أقول اننى أعرف واحدا منهم.. بالطبع مضى وقت طويل.. ولكن هذا مكان صغير.. ليس به كثير من الرائحين والغادين.. وهناك بنات انجو... بنات الطبيب.. وكلهن متزوجات وتفرقن فى العالم..! وطبيبنا الحالى أعزب.. وقد حضر شريكا جديدا.. ثم هناك العجوز مس كيلايز.. كانت تجلس فى صفوف المرتلين فى الكنيسة.. كلهم ماتوا من سنين عديدة.. واسرة ريتشاردسون.. لقد مات وذهبت هى الى ويلز.. وهناك أهل القرية بالطبع..! لم يحدث بهم تغيير كثير..!

وفيوليت.. اننى أتوقع أنها قد تفيدك أكثر مما أستطيع أنا.. لقد كانت فتاة صغيرة وقتها، وكانت تتردد دائما على الأبرشية.

وحاول سير تشارلس أن يتخيل مس ميلراى فتاة صغيرة. ولكنه فشل.

وسأل مسز ميلراى ان كانت تتذكر أى شخص باسم (روشبريدجر). ولكن الاسم لم يحرك فيها أية استجابة..

وفى النهاية استأذن، وغادر المكان..

وكانت خطوتهما التالية هى تناول طعام يسير فى محل الخباز، وثاق سير تشارلس الى طبق من اللحم فى أى مكان.. ولكن ايج أشارت الى أنه ربما بوسعها العثور على شخص يتطوع بالكلام والمعلومات..

وقالت متشددة: ان الرجال يبالغون فى أمر طعامهم.. يكفى البيض المسلوق والفطائر...

قال سير تشارلس بوداعة: اننى دائما أجد البيض يثير الاشمئزاز.

كانت المرأة التى قامت على خدمتهم تحب الكلام فانها أيضا قد قرأت عن تشريح الجثة فى الجرائد.. وقد اثار اهتمامها انه كأن (القس العجوز)، وأوضحت ذلك قائلة: ولكن على أى حال.. لقد كنت طفلة فى ذلك الوقت.. ولكننى أتذكره..

ولكنها على أى حال لم تتمكن من أن تخبرهم شيئا كثيرا عنه..

وبعد الغداء ذهبا الى الكنيسة.. وبحثا فى سجلات المواليد والزواج والوفيات.. وهنا أيضا. لم تبد أى بادرة أمل.. لشئ.. أو لفكرة وخرجا الى حوش الكنيسة.. وقرأت ايج الأسماء على أعمدة القبور..

قالت: يا لها من أسماء غريبة..! اصغ.. هنا عائلة بأكملها باسم ستيفبيني.. وهنا مارى آن ستيكلبات..!

فغمغم سير تشارلس: لا أظن أن هناك اسما أغرب من اسمى..

- كارترايت؟ اننى لا أظن انه اسم غريب على الإطلاق..

- اننى لا أقصد كارترايت.. ان كارترايت هو اسم التمثيل.. وأخيرا سجلته قانونيا!

- وما هو اسمك الحقيقى..؟

- قد لا يمكننى أن أخبرك به انه سر أخفيه كذئب...

- هل هو مزعج الى هذا الحد؟

- أنه ليس مزعجا بقدر ما هو نكتة...

- أوه.. أخبرنى..

قال سير تشارلس بثبات: بالتأكيد.. لا..

- أرجوك.. لا..

- ولم لا.. أنك ستضحكين..!

- لن أفعل..!

- انك لن تتمكنى من أن تمنعى نفسك من الضحك..

- أرجوك أن تخبرنى.. أرجوك.. أرجوك..!
- أية مخلوقة مصرة أنت يا ايج! لماذا تريدين أن تعرفيه..؟
- لأنك لا تريد أن تقوله لى..!
قال سير تشارلس بتزعزع: يا أيتها الطفلة المعبودة..
- اننى لست طفلة..
- ألست كذلك.. أننى أتعجب.
همست ايج بنعومة: أخبرنى...!
فزم سير تشارلس فمه بابتسامة متفكهة مستاءة... وقال:
- حسن جدا.. كان اسم أبى هو مج...!
- لا أظن أن هذا حقيقى..! بل حقيقى وصادق..
فقالت ايج: هذا اسم منحوس قليلا. لو تقدمت فى حياتك بهذا الاسم.
- نعم... انه ما كان يهيئ أى تقدم فى حياتى الفنية...
استرسل سير تشارلس بلهجة الحالم:
- اننى أتذكر أننى مثلت وأنا أفكر فى تسمية نفسى لرد وفيك كاستجليون.. ولكننى اخترت بعد ذلك اسم.. (تشارلس كارترايت)..!
- وهل أنت تشارلس حقيقة؟
- نعم.. ان المرابين الذين تولوا تعميدى تأكدوا من هذا.
وتردد قليلا ثم قال: لماذا لا تقولين شارلس.. وتسقطين (سير)..؟
- ربما أفعل ذلك.
- لقد فعلت ذلك أمس... عندما.. عندما ظننت بأننى قد مت..
فقالت ايج محاولة أن تجعل صوتها عاديا.
- أوه.. ذلك!....

وقال سير تشارلس فجأة: على هذا الوجه أو غيره فان موضوع جريمة القتل هذا لا يبدو حقيقيا الآن.. واليوم خاصة أنه يبدو خياليا..

كان فى نيتى أن أوضح هذه القضية قبل أى شئ آخر.. اننى كنت متشائما من ناحيتها... اننى كنت أقرن النجاح بحل المشاكل.. آه... سحقا... لماذا ألف وأدور. اننى مثلت الحب على خشبة المسرح كثيرا حتى أصبحت أتردد أن أمثله فى الحياة الحقيقية!. ايج.. هل هو أنا أو ماندرز الشاب؟ أمس ظننت أنه أنا..!

- لقد كان ظنك فى محله..

وصاح سير تشارلس: أنت أيتها الملاك الرائع...

- تشارلس.. تشارلس.. لا يمكنك أن تقبلنى فى حوش الكنيسة!.

- اننى سأقبلك فى أى مكان أشاء!..

قالت ايج بعد ذلك وهما يسرعان بالعودة الى لندن..

- لم نجد شيئا.. كلام فارغ... لقد وجدنا الشئ الوحيد الذى يستأهل أن يوجد..! ماذا يعنينى أنا من موت قسيس أو موت طبيب.؟ انك أنت فقط هو ما يهمنى من كل هذه المسائل.. أتعرفين يا عزيزتى. بأننى أكبر منك بثلاثين عاما؟. هل أنت متأكدة أن هذا لا يهم!

وضغطت ايج على ذراعه بلطف قائلة: لا تكن أبله.. ترى هل وجد الآخرون أى شئ..؟

فقال سير تشارلس بكرم: اننى أرحب بذلك..

- تشارلس.. لقد تعودت أن تكون طموحا...

ولكن سير تشارلس لم يعد يمثل دور البوليس السرى الكبير...

- حسن.. كان هذا تمثيلا من جانبى.. والآن..! أننى أسلمه الى صاحبنا ذى الشاربين.. انه عمله..

- هل تعتقد حقيقة أن بوارو يعرف من الذى ارتكب هذه الجرائم؟.

- لقد قال يعرف.

- ربما لم تكن عنده أقل فكرة...! ولكن لابد له من أن يحافظ على

شهرته المهنية...

وظلت ايج صامتة. فقال سير تشارلس: فى ماذا تفكرين يا حبيبتى؟

- لقد كنت أفكر فى مس ميلراى.. لقد كانت تصرفاتها غريبة فى ذلك المساء الذى أخبرتك عنه.. لقد كانت للتو قداشترت الجريدة التى بها خبر التشريح.. وقالت أنها لا تدرى ماذا تفعل..؟

قال سير تشارلس بمرح:

- كلام فارغ.. ان تلك المرأة تعرف دائما ماذا يجب أن تفعل...

- لتكن جادا يا تشارلس.. أنها بدت.. مشغولة قلقة...

- ايج.. يا حبيبتى.. كيف اهتم بمس ميلراى؟.. كيف أهتم بأى شئ، الا أنت.. وأنا..

فقالت ايج: من الأفضل أن تبدى قليلا من الالتفات للترام.. اننى لا أريد أن أصبح أرملة قبل أن أصير زوجة..!

وعاد الى شقة سير تشارلس لتناول الشاى.. وخرجت مس ميلراى لتستقبلهما.. وقالت: هناك برقية لك يا سير تشارلس..

- أشكرك جدا يا مس ميلراى..

وضحك ضحكة صبيانية عصبية.. ثم قال: اسمعى.. لابد أن أخبرك بأنبائنا..! ان مس لايتون كور وأنا سوف نتزوج...

وكانت هناك لحظة صمت.. ثم قالت مس ميلراى:

- أوه. اننى متأكدة. متأكدة من انكما ستكونان فى غاية السعادة!.

وكانت هناك رنة غريبة فى صوتها.. لاحظتها ايج.. ولكن قبل أن تكيف انطباعها، التفت تشارلس كارترايت اليها وهتف على الفور:

- يا الهى!.. ايج.. انظرى!.. إنها من ساترثوايت..!

ودفع البرقية بين يديها.. وقرأتها ايج... فاتسعت حدقتاها....!

الفصل الحادى عشر
مسز دى شبريدجر



قبل أن يستقل هر كيول بوارو ومستر ساترثوايت قطارهما كانت لهما مقابلة قصيرة مع مس لايندون -سكرتيرة الراحل سير بارثلومير سترينج- وأبدت مس لايندون استعدادها الطيب للمساعدة.. ولكن.. لم يكن لديها شئ ذو أهمية لتخبرهما به.. ان مسز دى شبريدجر لم تسجل فى دفتر مرضى سير بارثلومير -الا كحالة عادية لم يتكلم سير بارثلومير عنها الا بالأسلوب الطبى..

ووصل الرجلان الى المصحة حوالى الساعة الثانية عشرة، وبدت الخادمة التى فتحت الباب شديدة الانفعال..

وسأل مستر ساترثوايت أولا عن الرئيسة..

فقالت الفتاة بشك: أننى لا أدرى اذا ما كانت تستطيع مقابلتكم هذا الصباح..!

أعطاها مستر ساترثوايت بطاقة، بعد أن كتب عليها بضع كلمات.!

- من فضلك.. اعطيها هذه...

قادتهما الفتاة الى غرفة انتظار صغيرة.. وبعد حوالى خمس دقائق.. فتح الباب.. ودخلت الرئيسة..

كانت تبدو على غير حالتها المعهودة..

نهض مستر ساترثوايت قائلا: أرجو أن تتذكرينى..! اننى جئت الى

هنا مع سير تشارلس كارترايت، بعد وفاة سير بارثلومير سترينج...!

- نعم.. فعلا.. أنا أتذكر يا مستر ساترثوايت.. يومها سأل سير تشارلس عن المسكينة مسز دى روشبريدجر..

- دعينى أقدم لك يا مسيو هيركيول بوارو..

وانحنى بوارو محييا.. ومضت الرئيسة تقول وهى ذاهلة:

- اننى لا أقدر أن أفهم كيف انك قد استلمت برقية كما تقول.. ان الأمر كله يبدو شديد الغموض.. بالتأكيد لا يمكن أن يكون لها صلة بوفاة الدكتور المسكين بأى طريقة؟.. لابد أن يكون هناك مجنون حوالينا... هذا هو التعليل الوحيد... يجئ البوليس الى هنا ويحدث كل هذا.. هذا شئ مريع فى الحقيقة!. البوليس..؟

قال ساترثوايت هذا بدهشة..

- نعم.. من العاشرة وهم هنا..

فقال هيركيول بوارو: البوليس...؟

فقال ساترثوايت: ربما نستطيع أن نرى مسز دى روشبريدجر الآن..! حيث أنها قد طلبت منى الحضور..

فقاطعته الرئيسة قائلة:

- أوه..! مستر ساترثوايت..! اذن أنت لا تعلم..!

فقال بوارو بحدة: يعلم.. يعلم ماذا..؟

- مسكينة مسز دى روشبريدجر.. لقد ماتت.!

هتف بوارو: ماتت.. ماتت.. ألف صاعقة.. هذا يفسره... نعم هذا يفسره! كان يجب أن أتوقع.. وكيف ماتت..!

- هذا أشد غموضا.. لقد وصلت علبة من الشيكولاتة لها بالبريد.. شيكولاتة مسكرة.. فأكلت قطعة منها.. ولابد أنها كانت فظيعة المذاق.. ولكننى أعتقد أنها كانت تحت تأثير الدهشة.. فقد ابتلعتها، فان

الانسان لا يجب أن يلفظ شيئا من معدته..!

فقال بوارو: نعم.. نعم.. فان السائل متى جرى فجأة فى حلقك... يصعب رده..

أجابت الرئيسة: لذلك ابتلعته. ونادت. فحضرت الممرضة مندفعة، ولكننا لم نتمكن من فعل أى شئ.. وماتت فى أقل من دقيقتين..

ثم أرسل الطبيب للبوليس.. فجاءوا.. وفحصوا الشيكولاتة.. كانت الطبقة العلوية فى العلبة قد عبث بها.. أما السفلى فكانت سليمة..

- والسم المستخدم؟..

- أنهم يظنون أنه النيكوتين..!

قال بوارو: نعم.. النيكوتين مرة أخرى.. ويا لها من ضربة.. يا لها من ضربة جريئة..!

قال مستر ساترثوايت: لقد تأخرنا جدا.. اننا لن نعرف أبدا ماذا كانت تريد أن تخبرنا به! اللهم اذا كانت قد أفضت بشئ الى أحد ما.

ونظر متسائلا الى ناحية الرئيسة..

وهز بوارو رأسه قائلا: لن يكون هناك أى إفضاء بشئ ما..

فقال ساترثوايت: يمكننا أن نسأل احدى الممرضات ربما..!

قال بوارو بصوت يدل على انعدام الأمل: اسأل ما شئت..

والتفت ساترثوايت الى الرئيسة التى أرسلت على الفور استدعاء ممرضتين.. وكانتا مكلفتين بخدمة مسز دي روشبريدجر، أحداهما نهارا والثانية ليلا ولكنهما لم تضيفا أية معلومات أكثر من التى أعطيت فعلا.. ان مسز دى روشبريدجر لم تتفوه أبدا بأى شئ عن وفاة سير بارثلومير.. بل لم تعرفا شيئا حتى عن هذه البرقية..!

وأخذ الرجلان الى حجرة المرأة الميتة بناء على طلب بوارو.. وهناك وجدا المفتش كروسفيلد يتولى التحقيق.. وقدمه ساترثوايت لبوارو..

وبعد ذلك انتقل الرجلان الى ناحية الفراش... ووقفا ينظران الى المرأة الميتة.. كانت فى حوالى الأربعين، سوداء الشعر شاحبة الوجه.. ولم تكن ملامح وجهها تشف عن السكينة..! كانت لا تزال تحمل عذاب..! ميتتها..

قال مستر ساترثوايت ببطء: يا للمسكينة..!

ونظر عبر الغرفة الى مسيو بوارو.. لقد كان هناك تعبير غريب على وجه البلجيكى القصير... جعل ساترثوايت يرتجف..

قال ساترثوايت: لقد عرف أحدهم بأنها ستتكلم، فقتلها.. لقد قتلت لمنعها من الكلام..

فاومأ بوارو قائلا: نعم.. هو كذلك..

- لقد قتلت لمنعها من أخبارنا بما تعرف..

- أو ذاك الذى لا تعرف..! ولكن دعنا لا نضيع الوقت.. هناك كثير ليعمل.. لا يجب أن تكون هناك وفيات أكثر من ذلك.. يجب أن نعمل على ذلك..

وسأل مستر ساترثوايت بفضول:

- هل يتفق هذا مع فكرتك عن شخصية القاتل؟.

- نعم انه يتفق.. ولكننى أدرك شيئا واحدا.. انا القاتل أكثر خطورة مما ظننت.. علينا أن نحتاط..!

ولحق المفتش كورسفيلد بهما خارج الغرفة... وعلم منهما موضوع البرقية الى مكتب بريد ميلفورت.. وبالتحرى يتعين بأنها قد سلمت الى المكتب من صبى، وقد تذكرته العاملة المسئولة.. لأن البرقية قد أثارتها كثيرا.. اذ أنها تضمنت وفاة سير بارثلومير سترينج..

وقد استؤنفت التحريات والتحقيق.. وبعد الغذاء بصحبة المفتش كورسفيلد، وبعد ارسال برقية الى سير تشارلس.

وفى الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم أمكن العثور على الصبى الذى سلم البرقية الى مكتب البريد، وسرد قصته فورا.. لقد أعطاه

البرقية رجل يرتدى ثيابا رثة بالية.. وأخبره ذلك الرجل بأن البرقية قد ألقتها اليه سيدة مختلة من نافذة (المنزل الذى فى الحديقة)، ملفوفة على نصفى جنيهين. وقال الرجل أنه خائف من التورط فى عمل مضحك، وأن منزله بعيد عن مكتب البريد. لذا فلقد أعطى الصبى البرقية، والمبلغ مع ست بنسات وطلب منه أن يحتفظ بالباقى.

وتقرر البحث عن هذا الرجل..

وفى الوقت نفسه بدا أنه لا يوجد أى شئ هناك يمكن عمله بعد ذلك، فعاد بوارو وساترثوايت الى لندن..

وكان الوقت يقترب من نصف الليل عندما عاد الرجلان الى لندن.. وقابلهما سير تشارلس.. وجلس الثلاثة رجال يتباحثون فى الموقف..

قال بوارو: يا صديقى.. استرشد برأيى.. هناك شئ واحد فقط سوف يحل هذه القضية.. خلايا المخ الرمادية الصغيرة.. ان الجو هنا وهناك فى انجلترا.. والأمل فى أن يكون هذا الشخص أو ذاك سوف يخبرنا عما نبحث عنه -كل هذه الطرق من أساليب الهواة، وهى عقيمة.. ان الحقيقة يمكن أن ترى فقط من الباطن..

نظر اليه سير تشارلس فى شئ من الشك، قائلا:

- وماذا تنوى أن تفعل اذن؟.

- اننى أريد أن أفكر.. اننى أطلب منكم أربعة وعشرين ساعة فقط..! لأفكر فيها!

وهز سير تشارلس رأسه بابتسامة يسيرة وقال:

- وهل سيدلك هذا التفكير على ما كانت ستقوله هذه المرأة لو أنها عاشت؟ اننى أعتقد هذا..

- انه لا يكاد يبدو محتملا.. على أى حال يا مسيو بوارو، تصرف بطريقتك الخاصة.. اذا ما استطعت أن تنفذ الى غوامض هذا اللغز، فان

هذا أكثر مما استطعته أنا.. اننى فشلت.. وأعترف بهذا.. وعلى أى حال، عندى مساله أخرى أهتم بها..

وربما كانت أمنيته أن يسأل عن هذه المسألة، ولكن خاب توقعه.. ان ساترثوايت تطلع اليه فعلا، أما بوارو فقد ظل غارقا فى أفكاره..

قال الممثل: حسن.. يجب أن أنسحب.. ولكن هناك شئ آخر يقلقنى عن مسز ويلز..

- وماذا عنها..؟ لقد ذهبت..

وحدق فيه بوارو: ذهبت.. الى أين ذهبت..؟

- لا أحد يعرف.. لقد كنت أفكر فيما وصلت اليه الأحداث بعد برقيتك لى..؟ وكما أخبرتك فى حينه بأننى كنت مقتنعا بأن هذه المرأة تعرف شيئا لم تخبرنا به، وفكرت بأن أقوم بمحاولة لمعرفة ما عندها.. وأخذت سيارتى وتوجهت الى منزلها.. وعندما وصلت هناك كانت الساعة حوالى التاسعة والنصف.. وسألت عنها.. واتضح أنها قد غادرت المنزل فى نفس الصباح. ذهبت الى لندن ليومها فقط.. كما قال.. ولكن أهلها تلقوا برقية تفيد بأنها لن تعود لمدة يوم أو نحو ذلك.. حتى لا يقلقوا..!

- وهل كانوا قلقين..؟

- أظن ذلك.. الواقع أنها لم تأخذ معها أمتعة..

وغمغم بوارو: شئ غريب..

- مفهوم يبدو.. آه.. اننى لا أعرف.. اننى أشعر بقلق..

قال بوارو: لقد حذرتها.. لقد حذرت كل فرد هل تذكرنى اننى قلت لهم: تكلموا الآن؟

- نعم.. نعم.. هل تعتقد أنها هى أيضا..؟

وقال بوارو: ان عندى أفكارى الخاصة.. وفى الوقت الحالى أفضل الا أتناقش فيها..

- أولا -سامى- ايليس- ثم.. مس ويلز، محال أن يصدق أن البوليس لم يتمكن من أن يضع يديه عليه..

وقال بوارو: أنهم لم يبحثوا عن جثته فى المكان الصحيح..

- اذن أنت توافق ايج.. أنت تعتقد أنه قد مات؟

- ان ايليس لن يظهر حيا بعد ذلك..

فانفجر سير تشارلس قائلا: يا الهى.. هذا كابوس!.. ان الأمر كله يبدو غير مفهوم بأى حال..!

- لا.. لا.. بالعكس.. انه بديهى ومنطقى..

حملق فيه سير تشارلس: أنت تقول ذلك..؟

- بالتأكيد.. المسألة ان عقلى من الطراز المنظم..

- اننى لا أفهمك..؟

نظر ساترثوايت أيضا بفضول الى المحقق القصير..

وقال سير تشارلس فى شئ من شعور بغض كرامته:

- وما هو نوع عقلى أنا اذن؟

- ان لك عقل الممثل يا سير تشارلس.. عقل خلاق.. مبتكر يرى القيم الدرامية دائما ومستر ساترثوايت عقليته هى عقلية رواد المسرح.. انه يدرس الشخصيات.. انه ينظر الى الجو المحيط به... أما أنا فعقلى من النوع الواقعى.. اننى أرى الحقائق فقط..! بلا أى حيل درامية.. أو أضواء..

- اذن علينا أن نترك القضية لك؟

- هذا رأيى.. لأربع وعشرين ساعة..

- اذن.. حظا سعيدا.. وليلة سعيدة..

وعندما خرج سير تشارلس مع مستر ساترثوايت قال الأول بلهجة أقرب الى السدود: هذا الفتى يعتقد كثيرا فى نفسه..!

وابتسم ساترثوايت.. لقد بدا له أن بوارو يريد أن ينفرد بالدور الأول.. النجم.. على أنه قال لسير تشارلس:

- ماذا كنت تعنى بقولك أن عندك مهمة أخرى تهتم بها؟

ومما لاح على وجه سير تشارلس نوع من التعبيرات الوادعة التى يعرف معناها جيدا لطول حضوره حفلات الزواج فى ميدان (هانوفر سكوير).

- حسن.. فى الحقيقة.. اننى أنا.. أعنى ايج وأنا..

وقال ساتر ثوايت: اننى سعيد جدا.. أطيب تهانئى..!

- بالطبع.. اننى أكبر منها بأعوام كثيرة..!

- انها لا تعتقد ذلك.. وهى خير حكم..!

- هذا شئ لطيف منك يا ساترثوايت.. هل تعرف أنه خطر لى أنها كانت مغرمة بالشاب ماندرز..!

وقال مستر ساترثوايت ببراءة:

- ترى ما الذى جعلك تفكر فى هذا..؟

وقال مستر ساترثوايت ببراءة:

- على أى حال.. فانها ليست مغرمة به فعلا..

***

الفصل الثانى عشر
مس ميلراى



ولم يحصل بوارو على الأربع والعشرين ساعة التى حددها..

ففى الساعة الحادية عشرة والثلث من صباح اليوم التالى دخلت عليه ايج دون اعلان سابق..

وشد ما ذهلت اذ وجدت البوليس السرى الكبير مشغولا فى بناء منازلا من الورق.. وقد تجلى فى وجهها ازدراء بالغ حتى اضطر بوارو أن يدافع عن نفسه قائلا:

- ليس هذا يا آنسة لأننى أصبحت طفلا فى شيخوختى.. ولكننى وجدت دائما أن بناء المنازل من الورق ينشط الذهن..! رياضة عقلية..! انها عادة قديمة لى.. وأول شئ فعلته هذا الصباح هو أنى خرجت وحصلت على علبة الورق.. ولكننى لسوء الحظ ارتكبت خطأ.. فانها ليست الورق الحقيقى ولكنه يفى بالغرض..

ونظرت ايج متفحصة الى البناء الموجود على المائدة.. وضحكت قائلة: يا للسماء.. لقد باعوا لك (العائلات السعيدة)..

- ما معنى (العائلة السعيدة)..؟

- انها لعبة يلعبها الأطفال فى دور الحضانة!.

- حسن.. يمكننا أن نركب المنازل.. بنفس الطريقة..

والتقطت ايج بعض الأورق من المائدة؟ ونظرت اليها بتعاطف وحنين.

- (المعلم -بن- ابن الخباز)- اننى أحببته دائما.. وهنا (مسز مج.. زوجة اللبان).. أوه يا عزيزى.. اننى أعتقد بأن هذه أنا..!

- ولماذا تكون هذه الصورة المضحكة هى صورتك أنت يا آنسة..؟

- بسبب الاسم.. وضحكت ايج من حالة التحير البادية على وجهه.. ثم بدأت فى الايضاح.. ولما انتهت.. قال: آه.. اذن هذا هو ما كان يقصده سير تشارلس ليلة البارحة..؟ مج.. آه.. نعم.. اننا نقول بالعامية.. هل أنت مج.. هل أنت أبله؟ طبيعى أنك سوف تغيرين اسمك.. أنك بالطبع لن تحبى أن تكونى (الليدى مج)؟

ضحكت ايج وقالت: حسبنا.. ادعو لى بالسعادة..

- اننى أتمنى لك السعادة يا آنسة، ليست سعادة الشباب القصيرة الأمد. ولكنها السعادة الباقية. السعادة الباقية. السعادة المبنية على الصخر!

فقالت ايج: اننى سأقول لتشارلس بأنك تسميه صخرا.. والآن.. لنتكلم فى الموضوع الذى جئت من أجله.. آه.. اننى كنت قلقة من أجل تلك القصاصة التى سقطت من مفكرة أوليفر.. أعنى تلك القصاصة التى التقطتها مس ويلز وأعادتها اليه.. يبدو لى أنه اما أن أوليفر لم يكن صادقا عندما قال أنه لا يتذكر وجودها هناك، واما أن القصاصة لم تكن موجودة بتاتا.. لقد أسقط هو ورقة ما.. وادعت تلك المرأة أنها قصاصة النيكوتين..

- ولم تكن قد فعلت هذا يا آنسة..؟

- لأنها أرادت أن تتخلص منها.. وتلصقها بأوليفر..

- هل تعنين انها هى المجرمة..؟

- نعم.. وماذا كان دافعها؟

- ليس هذا بسؤال تسألنى أنا عنه.. اننى فقط أستطيع أن أقول أنها مخبولة.. ان الأذكياء غالبا أقرب الى المجانين. اننى لا أستطيع أن أجد أى سبب آخر. فى الحقيقة.. اننى لا أدرى أى دافع فى أى اتجاه.

- هذا هو المأزق بالتأكيد.. يجب الا أسألك عن تصور الدافع.. انما يجب أن أسأل نفسى هذا، وبدون أى توافق.. ما هو الدافع وراء موت بابنتجون..؟ اذا ما استطعت ان أجيب على هذا السؤال، فان القضية سوف تحل..

فقالت ايج تدلى برأيها: لعلك تظن أنه الجنون..؟

- لا يا آنسة.. ليس الجنون بالمعنى الذى تقصدينه.. هناك سبب..

ويجب على أن أجد هذا السبب..

فقالت ايج: حسنا الى اللقاء.. اننى آسفة لازعاجك.. ولكن الفكرة خطرت ببالى فقط.. يجب على الآن أن أسرع.. فاننى ذاهبة مع تشارلس الى (بروفة) مسرحية (الكلب الصغير يضحك) أنت تعرف أن المسرحية كتبتها مس ويلز لانجيلا ساتكليف! ان غدا ليلة الافتتاح..!

هتف بوارو: يا الهى..! ماذا هنالك؟.. هل حدث شئ..؟

- نعم.. نعم.. فى الحقيقة حدث شئ.. فكرة.. فكرة رائعة.. أوه.. لقد كنت أعمى.. أعمى.

حدقت فى وجهه وكأنما تأكدت من غرابة أطواره، ولكن بوارو تمالك نفسه، وربت على كتف ايج قائلا:

- أنت تعتقدين بأننى مجنون.. العفو.. اننى سمعت ما قلته.. ستذهبين لتشاهدى بروفة (الكلب الصغير يضحك) وستمثل فيها مس ساتكليف.. اذهبى اذن.. ولا تبالى بما قلته أنا..!

انصرفت ايج وهى أقرب الى الشك.. وعندما بقى وحده بوارو أخذ يذرع الغرفة جيئة وذهابا، يغمغم فى سره وحده وبرقت عيناه الخضروان كأى قط..

- آه.. نعم هذا يفسر كل شئ.. أنه دافع عجيب..! دافع عجيب جدا! دافع لم أصادف مثله أبدا من قبل..! ومع ذلك فهو معقول.. مقنع.. واذا تهيأت له الظروف، فهو طبيعى..! انها فى مجموعها قصة غريبة جدا..!

ومر بالمائدة التى كان منزل الورق مازال فوقها.. وبحركة مكتسحة من يديه ازاح الأوراق عن المائدة قائلا: العائلة سعيدة.. اننى لم أعد بحاجة اليها.. لقد حلت القضية..! ولا يبقى سوى العمل..

واختطف قبعته.. وارتدى معطفه.. وهبط الى أسفل.. واستوقف له سيارة أجرة استقلها، بعد أن ذكر عنوان شقة سير تشارلس..

- وفتح الباب، وظهرت مس ميلراى، التى اجعلت عندما شاهدت بوارو؟

- أنت..!

وابتسم بوارو: أنا أخيرا أنا..

قالت مس ميلراى: اننى أخشى أنك لن تجد سير تشارلس.. لقد ذهب الى مسرح بابليون مع مس لايتون كور..

- انه ليس سير تشارلس الذى أبحث عنه.. أنها عصاى التى أعتقد أننى تركتها هنا يوما ما..

- آه.. فهمت.. حسنا.. اذا قرعت الجرس فان تمبل سوف تجدها لك.. اننى آسفة.. لا يمكننى أن أتوقف.. اننى فى طريقى لأخذ القطار الى كنت.. الى أمي..

- اننى أفهم.. لا تدعينى أؤخرك يا آنسة..

ووقف جانبا.. ومرت مس ميلراى بسرعة هابطة السلالم.. وكانت تحمل فى يدها محفظة صغيرة..

ولكنها عندما ذهبت بدا وكأن بوارو قد نسى الغرض من حضوره.. وبدلا من أن يطرق الباب استدار وهبط السلالم ثانيا.. ووصل الى الباب الأمامى فى اللحظة التى رأى فيها مس ميلراى تستقل سيارة أجرة.. وكانت هناك سيارة أجرة تتهادى ببطء.. فرفع بوارو يده.. واستوقفها ثم ركبها وأمر السائق بمتابعة السيارة الأخرى..

ولم تبد أية دهشة على وجهه حينما رأى السيارة الأولى تتجه الى الشمال ثم تتوقف أمام محطة بنزين بابنجتون.. وذهب بوارو الى شباك تذاكر الدرجة الأولى.. وطلب تذكرة الى لوماوث.. وكان القطار على وشك القيام فى دقائق.. وجذب بوارو ياقة معطفه حتى تغطى اذنيه، لأن اليوم كان باردا.. ثم انزوى بوارو فى ركن احدى عربات الدرجة الأولى..

ووصل الى لوماوث حوالى الساعة الخامسة..

وكان الظلام قد أخذ يحل وسمع بوارو وهو وأقف الى الخلف قليلا الحمال بالمحطة الصغيرة يحي مس ميلراى بمودة قائلا: اننا لم نكن نتوقع حضورك. هل سير تشارلس سيحضر الى هنا؟

فاجابت مس ميلراى: اننى جئت الى هنا على غير انتظار.. وسأعود ثانيا غدا صباحا.. لقد أتيت فقط لأخذ بعض الأشياء.. لا.. لا أريد سيارة.. اشكرك. سأسير فى ممر الصخرة..!

وتزايدت العتمة. وسارت مس ميلراى بنشاط فى الممر المنحدر المنفرج. وأخذ بوارو يسير خلفها بمسافة كافية. كان يمشى بخفة كالقط.

وعندما وصلت مس ميلراى الى (كروز نست) أخرجت مفتاحا من حقيبتها ودخلت من الباب الجانبى تاركة اياه مواربا.. وعادت للظهور بعد دقيقة أو اثنتين.. وكان معها مفتاح صدئ وبطارية كهربائية فى يدها.. وانزوى بوارو الى الوراء.. خلف شجيرة مناسبة..!

ودارت مس ميلراى حول المنزل. ثم سارت فى الممر المظلل بالشجيرات. وتبعها هيركيول بوارو فى الطريق المتصاعد حتى وصلت فجاة الى برج حجرى قديم كالذى يوجد غالبا عند ذلك الشاطئ. وكان مبنى متواضعا وعتيقا. وعلى أى حال كانت هناك شارة تغطى النافذة القذرة.. وأدخلت مس ميلراى مفتاحها فى الباب الخشبى الكبير..

ودار المفتاح فى صرير مسموع.. وفتح الباب بصوت كالحشرجة.. ودخلت مسز ميلراى شاهرة بطاريتها.

وبخطوة سريعة مر بوارو بدوره بلا أدنى ضوضاء من خلال الباب.. ولمح ضوء بطارية مس ميلراى متقطعا على أنابيب زجاجية.. وموقد معملى.. وأجهزة أخرى مختلفة..

وتناولت مس ميلراى عتلة.. ورفعتها فوق الأجهزة الزجاجية، عندما امسكت يد بذراعها..

فشهقت.. ثم استدارت..!

واذا عينا بوارو الخضروان كعينى القط تنظران فى عينيها..

وقال لها: لا يمكن أن تفعلى هذا يا آنسة..! فان ما تسعين الى تدميره دليل إثبات!

الفصل الثالث عشر
الســاتــر



جلس هير كيول في مقعد كبير وثير..! لقد أطفئت أضواء الحائط وبقي فقط ضوء وردى مظلل يضفي وهجه على الشخص المستقر في المقعد الكبير الوثير.. وبدا كان لهذا معنى رمزيا.. هو وحده في الضوء.. والثلاثة الاخرين -سير تشارلس، مستر ساترثوايت، وايج لايتون كور، المتفرجوند جالسون في الظلام المطبق من حولهم..

كان يبدو وكأنه يوجه حديثه الى الفضاء.. أكثر مما يوجهه الى مستمعيه.. راح يقول: لإعادة بناء الجريمة -هذا هو الغرض من التحقيق.. لاعادة بناء الجريمة، يجب أن نضع حقيقة فوق أخرى، تماما كما نضع ورقة فوق ورقة فى بناء بيت من الورق..! واذا لم تتطابق الحقائق.. واذا لم تتوازن الأوراق.. حسن.. يجب عليك اذن ان تبدأ فى بناء منزلك من جديد.. والا فسوف ينهار..

- وكما قلت يوم سابق.. هناك ثلاثة أنواع مختلفة من العقول..! هناك العقل الدرامى.. عقل المخرج الذى يرى انجاز الواقع بالوسائط الميكانيكية.. وهناك أيضا العقل الذى يتقبل بسهولة المظهر الدرامى.. وهناك العقل الرومانتيكى الفنى.. وأخيرا يا أصدقائى، هناك العقل الواقعى الذى لا يرى زرقة البحر وأشجار الميموزا.. ولكن المنظر الخلفى المطبوع على خشبة المسرح..

واذن نصل يا أصدقائى الى مقتل (ستفان بابنجتون) فى أغسطس

الماضى.. فى ذلك المساء، قدم سير تشارلس كارترايت نظرية تقول أن ستيفان بابنجتون مات مقتولا.. ولم أوافق أنا على هذه النظرية.. لم أستطع أن أصدق:

(أ) ان شخصا مثل ستيفان بابنجتون يحتمل أن يقتل..

(ب) وانه كان من الممكن دس السم لشخص معين تحت هذه الظروف التى لابست تلك الليلة..

والآن اننى «أعترف أن سير تشارلس كان على صواب. وكنت أنا على خطأ. نعم. لقد كنت مخطئا، لأننى كنت أنظر الى الجريمة من زاوية خاطئة تماما. أن ما حدث فى الأربع والعشرين ساعة الماضية فقط انى رأيت فجأة الزاوية الصحيحة الرؤية! ودعونى أقول: انه من هذه الزاوية فى الرؤية فان مقتل ستيفان بابنجتون هو معقول وممكن معا.

ولكننى سوف أتجاوز معكم تلك النقطة مؤقتا، واخطو بكم خطوة عبر الممر الذى سرت فيه أنا نفسى... ان موت ستيفان بابنجتون هو ما أسميه أنا المشهد الأول من درامتنا وأسدل الستار على ذلك المشهد حين رحلنا كلنا من (كروز نست)!

وما أسميه بالمشهد الثانى من الدراما بدأ فى (مونت كارلو) عندما أرانى مستر ساترثوايت الجريدة التى تشير الى موت سير بارثلومير سترينج.. لقد اتضح على الفور بأننى كنت مخطئا، وكان سير تشارلس محقا.. الا كلاهما قتل: ستيفان بابنجتون وسير بارثلومير سترينج وجريمة القتل شكلتا جزءا من جريمة واحدة..

وأخيرا.. جريمة قتل ثالثة أكمل السلسة.. جريمة قتل مسز دى روشبريدجر. وما نريده بعد ذلك هو نظرية مقنعة تربط هذه الميتات الثلاثة معا. وبكلمات أخرى، فان هذه الجرائم الثلاثة قد ارتكبت بفعل شخص واحد معين.. انها كانت لفائدة ومصلحة هذا الشخص المعين..

والآن.. ينبغى أن أقول على الفور. أن الشئ الرئيسى الذى اقلقنى هو حقيقة أن قتل سير بارثلومير سترينج جاء (بعد) قتل ستيفان بابنجتون. واذا نظرنا الى هذه الجرائم الثلاث دون اعتبار لاختلاف الزمان والمكان، فان الترجيحات تشير الى أن قتل سير بارثلومير كان ما يمكن أن نسميه: بالجريمة المركزية أو الرئيسية وان الجريمتين الأخريين تعتبران ثانويتين، أو بالأحرى فانهما ترتبتا على ارتباط هذين الشخصين بسير بارثلومير سترينج وعلى كل حال فلا يمكن كما أشرت من قبل أن ينشد الانسان الجريمة كما يريدها أن تكون! لقد قتل ستيفان بابنجتون أولا. وبعد ذلك سير بارثلومير سترينج. وعلى هذا فقد بدا وكان الجريمة الثانية لابد قد نبعت بالضرورة من الجريمة الأولى.

وانه وتبعا لذلك فان الجريمة الأولى هى التى يجب أن نفحصها للوصول الى مفتاح الموقف كله.

اننى فى الحقيقة كنت ميالا عند هذا الحد الى نظرية ترجيح فكرة ان هناك غلطة ما قد ظهرت.. هل كان من الممكن أن سير بارثلومير سترينج..! كان المقصود أن يكون الضحية الأولى؟ وان تسميم مستر بابنجتون حدث بطريق الخطأ؟.. على أى حال لقد اضطررت الى التخلى عن هذه الفكرة.. فان أى شخص يعرف سير بارثلومير سترينج معرفة وثيقة كان يعلم أنه يكره عادة شرب (الكوكتيل)!

اقتراح آخر: هل حدث تسمم مستر بابنجتون بطريق الخطأ، بدلا من أى فرد آخر من أعضاء الحفل؟. اننى لم أستطع أن أجد أى دليل يثبت ذلك.. لذا فقد أكرهت على العودة الى استنتاج أن قتل ستيفان قضية شديدة، فى الاستحالة الظاهرة لامكان حدوث شئ كهذا..

على المرء أن يبدأ التحقيق والتحرى بأبسط وأوضح نظرية... واذا سلمنا بأن ستيفان بابنجتون قد احتسى كوكتيلا مسمما، فمن كانت له

الفرصة فى تسميم هذا الكوكتيل؟

للوهلة الأولـى: بدا لى أن الشخصين اللذين كان يمكنهما فعل ذلك أعنى من قاما بعملية الشراب كانا سير تشارلس كارترايت نفسه.. والوصيفة تمبل...

ولكن بالرغم من أنه كان بوسع أحدهما فرصة دس السم فى الكأس، الا أنه لم تتيسر لاى منهما فرصة لتوجيه تلك الكأس المعنية الى يد مستر بابنجتون..

كان يمكن لتمبل أن تفعل ذلك اذا ما قدمت اليه الكأس الوحيدة الباقية على الصينية.. (ليس هذا سهلا.. ولكن كان هذا ممكنا) كان يمكن لسير تشارلس أيضا فعل ذلك بأخذ تلك الكأس عمدا.. ومناولتها له.

ولكن -لم يحدث شئ من هذا... وبدا كانت الفرصة وحدها قد وجهت تلك الكأس المعينة الى ستيفان بابنجتون...

ان سير تشارلس وتمبل قاما بعملية الكوكتيل.. فهل كان واحد آمن الاثنين فى (ميلفورت آبى)؟ لا.. لم يكونا هناك.

من كانت عنده أفضل الفرص للعبث بكاس البورت لسير تشارلس بارثلومير سترينج؟ الساقى المختفى -ايليس- ومساعدته الوصيفة...

من هنا على أى حال، فان امكانية حدوث ذلك بواسطة أحد الضيوف أمر لا يمكن استبعاده... انها كانت مخاطرة.. ولكنها كانت ممكنة.. اذ كان يمكن لأى واحد من المجموعة أن يتسلل الى غرفة الطعام ويضع النيكوتين فى كأس البورت..

قائمة بأسماء المدعوين فى (كروز نست) و (ميلفورت آبى) ويمكن أن أقول الآن بأن الأربعة اسماء التى أخذت مكان الصدارة فى القائمة داكريس وزوجته، ومس ساتكليف، ومس ويلز -نبذتها فى الحال..!

لقد كان من المحال على أى واحد من هؤلاء الأشخاص الأربعة أن

يكون قد عرف (سلفا) بأنه سوف يقابل ستيفان بابنجتون على العشاء.. وان استخدما النيكوتين كسم أظهر انها فكرة مدروسة بعناية، ولم تكن وليدة اللحظة وكانت هناك ثلاثة أسماء أخرى بالقائمة.. (ليدى مارى لايتون كور.. مس لايتون كور.. ومستر أوليفر ماندرز)... ان هؤلاء الثلاثة وان كانوا بعيدين فى الاحتمال، الا أنهم كانوا مرجحين.. أنهم كانوا من المنطقة.. وربما كانت عندهم دوافع لازالة ستيفان بابنجتون، وقد اختاروا فرصة حفل العشاء فى ذلك المساء لوضع خطتهم موضع التنفيذ.

على انه من الناحية الأخرى لم أجد أى اثبات يقطع بأن أى واحد منهم قد فعل مثل هذا الفعل..

وقد اتجه مستر ساترثوايت فيما أظن.. مثل وجهتى فى الاستدلال.. ومركز شكوكه على أوليفر ماندرز.. ويجوز لى أن أقول أن الشاب ماندرز كان أقرب واحد الى هذا الشك... فلقد بدرت منه كل علامات التوتر العصبى الشديد فى تلك الليلة فى (كروز نست).. وكانت له نظرة ملتوية الى الحياة بسبب متاعبه الخاصة..

وكان عنده شعور قوى بمركب النقص وهو كثيرا ما تسبب فى الجريمة. وكان فى سن غير متوازن النضج.. وقد تشاجر فعلا، بل يمكننا القول بأنه قد أظهر عداوة ضد مستر بابنجتون.. ثم كانت الظروف الغريبة التى اقترنت بوصوله الى (ميلفورت آبى)، وأخيرا كانت هذه القصة غير القابلة للتصديق على الخطاب الذى جاءه من سير بارثلومير سترينج، وشهادة مس ويلز عن القصاصة التى وجدتها معه خاصة بموضوع النيكوتين..

ولكن يا أصدقائى لقد زارنى خاطر عجيب..! انه يبدو واضحا ومنطقيا ان الشخص الذى ارتكب هذه الجرائم لابد وأن يكون حاضرا فى كلتا المناسبتين... وبعبارة أخرى كان اسمه مدونا فى قائمة السبعة ولكن انتابنى

احساس بأن ذلك الوضوح كان وضوحا مدبرا لقد شعرت بأنني أنظر الى واقع حقيقى،.. ولكن الى مشهد فنى رسم بمهارة.. ان المجرم الماهر يدرك أن أى فرد سيكون اسمه على القائمة، سوف يكون بالضرورة من المشتبه فيهم.. وعلى ذلك فهو أو هى يمكن أن يرتب هذا الأمر بحيث لا يكون موجودا...

أو بكلمات أخرى.. فان قاتل ستيفان بابنجتون وسير بارثلومير سترينج كان حاضرا فى كلتا المناسبتين.. ولكن لم يظهر انه حاضر..

من كان حاضرا فى المناسبة الأولى ولم يكن حاضرا فى الثانية؟ سير تشارلس كاترايت، ومستر ساترثوايت، ومس ميلراى، ومسز بابنجتون.

هل كان يمكن لأى فرد من هؤلاء الأربعة أن يكون حاضرا فى المناسبة بصفة أو صورة أخرى غير صفته أو صورته؟...

ان سير تشارلس ومستر ساترثوايت كانا فى جون فرنسا.. ومس ميلراى كانت فى لندن، ومسز بابنجتون كانت فى لوماوث...

اذن، من من الأربعة..؟ يمكن أن يشار الى مس ميلراى، ومسز بابنجتون..

ولكن.. هل كان يمكن أن تكون مس ميلراى موجودة فى (ميلفورت آبى) دون أن يتعرف عليها أحد...؟ أن لمس ميلراى مظهرا مميزا ليس من السهل تنكير معالمه ولا نسيانه... قررت آبى دون أن يتعرف عليها أحد.. وظهرت هذه الاستحالة أيضا بالنسبة لمسز بابنجتون..

وفى هذا الصدد أيضا، هل كان يمكن لمستر ساترثوايت أو سير تشارلس كارترايت أن يتواجدا فى ميلفورت آبى دون أن يتعرف عليهما أحد..؟

مستر ساترثوايت ممكن.. ولكن عندما نأتى الى سير تشارلس كاترايت نجدها مسألة شديدة الاختلاف...! ان سير تشارلس ممثل اعتاد أن يمثل أدوارا... ولكن؟ أى دور تمكن من تمثيله؟

وهنا وصلت الى موضوع الساقى.. ايليس ايليس هذا انه شخص

شديد الغموض.. شخص ظهر قبل اسبوعين فقط من ارتكاب الجريمة، واختفى بعدها بمنتهى النجاح.. لماذا كان ايليس ناجحا هكذا؟.. لأن ايليس فى الحقيقة لم يوجد... ايليس كان شيئا مطليا.. مرسوما... بخداع مسرحى.. ايليس لم يكن حقيقيا...

ولكن هل كان هذا ممكنا؟ مهما يكن، فان الخدم فى (ميلفورت آبى) يعرفون سير تشارلس كارترايت. وسير بارثلومير سترينج كان صديقا حميما له. اننى تجاوزت عن مسألة الخدم! ان تقمصى شخصية الساقى ليس به خطورة، اذا عرفه الخدم بل انه يمكن أن يمر وكأنه مزاح. فاذا مر اسبوعان ولم يشك فيه أحد، فكل شئ على ما يرام اذن. وكل شئ مأمون. ثم اننى استعدت ملاحظات الخدم بصدد الساقى. قالوا انه كان جنتلمانا تماما... وكان فى بيوتات طيبة.. وكان يعرف فضائح كثيرة مسلية.. وكان هذا سهلا تماما.. ولكن.. كانت هناك ملاحظة ذات مغزى أبدتها الوصيفة (أليس) التى قالت: كان يدير العمل بطريقة مختلفة تماما عن أى ساق آخر عرفته من قبل..

وعندما أعيدت هذه الملاحظة أمامى، فانها كانت مؤيدة لنظريتى..

ولكن سير بارثلومير سترينج كان شيئا آخر. انه من الصعب الافتراض ان صديقه يمكن أن يخدعه. لابد أنه عرف يتقمص الشخصية فهل يوجد عندنا أى اثبات لذلك؟ نعم. هناك الملاحظة الذكية التى لاحظها مستر ساترثوايت الخاصة بمجاذبة سير بارثلومير وتبسطه!

(وهى شئ غير موجود منه بالمرة حيال خدمة)... اذ قال سير بارثلومير انك ساق من الدرجة الأولى..! ألست كذلك يا ايليس..؟

انها ملاحظة تبدو مفهومة تماما اذا كان الساقى هو سير تشارلس كارترايت، وكان سير بارثلومير مطلعا على سر هذه الدعابة...

ذلك لأن هذا هو.. بلا شك ما أخد به سير بارثلومير هذه المسألة.. ان تقمص شخصية ايليس كان دعابة...! بل ربما كان رهانا.. وكانت ذروته هى

المفاجاة الناجحة للحفلة، وذلك استنادا الى قول سير بارثلومير من أنه يعد مفاجاة لمدعويه! وأيضا استنادا الى حالته المرحة أثناء حفل العشاء..

ولاحظوا أيضا أنه لو كان أحد من المدعوين قد عرف تشارلس كارترايت فى المساء على مائدة العشاء، فانه كان هناك وقت للتراجع، وكان يمكن أن يبدو على أنه دعابة...

ولكن أحدا لم يلاحظ الساقى المقوس القامة المتوسط العمر، ذا العينين المظللتين بسائل (البلادونا)، واللحية الخفيفة وشامة الميلاد المرسومة على رسغه...! ان أحدا لم يلاحظ هذه العلامة الظاهرة التى كانت مقصودة للتعرف عند وصف الساقى... وفى طوال الاسبوعين أيضا لم يلاحظها أحد.

الشخص الوحيد الذى لاحظها هو مس ويلز الحادة النظر! واننى سوف أتى اليها بعد قليل...

وماذا حدث بعد ذلك..؟

لقد مات سير بارثلومير. وفى هذه المرة لم تعز الوفاة لاسباب طبيعية.. وجاء البوليس، واستجوب ايليس والآخرين. وفى مساء ذلك اليوم رحل ايليس عن طريق الممر السرى. واستعاد شخصيته الحقيقية.. وبعد يومين من ذلك. كان يتجول فى حدائق مونت كارلو. مستعدا لابداء الصدمة والدهشة عند سماعه خبر موت صديقه العزيز.

هذه الفكرة كانت فقط نظرية.. لم يكن لدى البرهان الفعلى، ولكن كل شئ برز بعد ذلك..! أيد هذه النظرية.. لقد كان منزلى الورقى جيد البناء سليمة.. عن خطابات الابتزاز التى اكتشفت فى غرفة ايليس..؟ لكن..! آه.. ان سير تشارلس هو الذى اكتشفها..

وماذا عن هذا الخطاب المفروض ان سير بارثلومير سترينج قد أرسله للشاب ماندرز ليرتب حادثة..؟

ليس أسهل من أن يكتب تشارلس هذا الخطاب باسم سير بارثلومير..

اذا لم يكن ماندرز قد أباد هذا الخطاب بنفسه فان سير تشارلس فى شخصية ايليس عندما كان يخدم الشاب كان يمكن أن يفعل ذلك.. وبنفس الطريقة كان بامكانه أن يضع القصاصة فى جيب أوليفر ماندرز...!

والآن.. نأتى الى الضحية الثالثة.. مسز دى روشبريدجر... متى سمعنا أولا عن مسز دى روشبريدجر هذه..؟ فى الحال فور تعقب سير بارثلومير للساقى عن كونه ساقيا ممتازا..! (بذلك الاسلوب الدعائى الغريب الذى لم يكن معروفا فى طباع سير بارثلومير سترينج..) اذن فيجب بأى ثمن ابعاد الأنظار عن مسلك سير بارثلومير حيال الساقى... وبسرعة نرى سير تشارلس يسأل ماذا كانت الرسالة التى أبلغها الساقى انها كانت عن تلك المرأة مريضةالدكتور.. وفى الحال ألقى سير تشارلس كل شخصيته فى تحويل الاهتمام الى هذه المرأة وبعيدا عن الساقى. ونراه يذهب الى المصحة. واستجوب الرئيسة. أنه بذل قصارى جهده وكل ما فى طاقتة لاستغلال موضوع هذه المرأة.

والآن، يجب علينا أن نفحص الجزء الذى لعبته مس ويلز فى الدراما.. ان لمس ويلز شخصية عجيبة.. هى من ذلك اللون من النساء الذى لا يترك أثرا فى المحيطين بهم.. انها ليست حسنة المظهر، أو سريعة الخاطر أو ماهرة أو حتى رقيقة متعاطفة.. انها لا توصف ولكنها قوية الملاحظة.. شديدة الذكاء.. انها تنتقم من العالم بقلمها.. ان عندها الفن العظيم لتقديم الشخصيات على الورق... ولست أدرى اذا ما كان هناك شئ غير عادى استرعى نظر مس ويلز من ناحية الساقى.. ولكننى أعتقد أنها كانت الشخص الوحيد ممن كانوا على المائدة الذى قد تنبه اليه..

وفى الصباح التالى لوقوع الجريمة قادها فضولها لكى تدس أنفها وتتجسس كما قالت الخادمة..! لقد ذهبت الى غرفة داكريس.. واخترقت الباب القماشى الى جناح الخدم.. منقادة بحاستها القوية لاكتشاف شئ ما...

لقد كانت هى الشخص الوحيد الذى سبب أى قلق لسير تشارلس..

لذلك كان مهتما بمعالجة موضوعها... لقد اطمأن من المقابلة الى أنها قد لاحظت شامة الميلاد.. ولكن بعد ذلك جاءت الكارثة... ولست أظن أن مس ويلز حتى تلك اللحظة قد ربطت بأى صلة بين ايليس الساقى وبين سير كارترايت..! بل أعتقد أنه كان لديها فقط احساس بالتشابه بين شخص ما وبين ايليس... ولكنها كانت لماحة.. فانه عندما قدمت اليها الأطباق لاحظت اتوماتيكيا، لا الوجه، ولكن اليدين اللتين حملتا الأطباق.

لم يخطر ببالها أن ايليس كان سير تشارلس.. ولكن عندما كان سير تشارلس يتحادث معها خطر لها فجأة ان سير تشارلس كان ايليس!. هكذا طلبت منه أن يمد يده اليها بطبق خضراوات.. ولكن.. لم تكن شامة التى بالرسغ الأيمن أو الرسغ الأيسر هى التى كانت تستهويها.. انها أرادت ذريعة فقط لكى تدرس يديه... تدرس يدين حملتا اليها الطبق بنفس الوضع الذى حمله ايليس الساقى...

وهكذا تنبهت الى الحقيقة..

ولكنها كانت امرأة فريدة فى نوعها.. انها تعشق المعرفة من أجل المعرفة... بجانب هذا، لم تكن بأى حال متأكدة من أن سير تشارلس قد قتل صديقه لقد تنكر فى دور الساقى.. نعم... ولكن ليس ضروريا ان يجعله التنكر قاتلا.. كثيرون من الرجال الحسنى النية قد لزموا الصمت لأن الكلام سوف يضعهم فى مركز حرج...

وهكذا.. احتفظت مس ويلز بمعرفتها لنفسها.. واستمتعت بها.. ولكن سير تشارلس كان قلقا.. انه لم يسترح الى تعبير الخبيث الذى بدا على وجهها عندما غادر الحجرة. انها تعرف شيئا. ما هو؟ هل هو يمسه؟ انه غير متأكد.. ولكنه شعر بأنه شئ يتصل بايليس الساقى.

أولا فى الشك، مستر ساترثوايت.. والآن مس ويلز!..

اذن لابد أن يوجه الاهتمام بعيدا عن هذه النقطة الخطيرة.. يجب أن يركز نهائيا فى مكان آخر.. وفكر فى خطة.. بسيطة.. وجريئة..

وأيضا كما توهم هو فيها الغموض والقيمة تماما...

وفى صباح يوم حفلة الشيرى التى أقمتها، فاننى أتصور أن سير تشارلس قد استيقظ مبكرا جدا.. وذهب الى يوركشير متنكرا فى ثياب رثة بالية.. وأعطى البرقية الى الصبى ليرسلها... ثم عاد فى الوقت المناسب ليمثل الدور الذى أشرت به اليه فى الدراما الصغيرة التى صورتها لكم... وفعل شيئا واحدا آخر أكثر من ذلك.. لقد أرسل علبة الشيكولاتة الى امرأة لم يرها أبدا فى حياته ولا يعرف عنها أى شئ..

وأنتم تعرفون ما حدث فى ذلك المساء.. اننى تأكدت بدرجة كافية مما آنسته من قلق أن مس ويلز كانت لديها شكوك معينة.. فعندما أدى سير تشارلس (مشهد موته) راقبت وجه مس ويلز جيدا.. فلاحظت نظرة الدهشة التى بدت عليه.. وأدركت حينئذ أن مس ويلز أصبحت تشك بصفة قاطعة فى أن سير تشارلس كارترايت هو القاتل..

ولكن.. اذا كانت مس ويلز قد شكت فى سير تشارلس، اذن فان مس ويلز فى خطر جدى.. الرجل الذى قتل مرتين. سيقتل مرة ثالثة.

وفى تلك الليلة.. وجهت لكم انذارا جديا...

وبعد ذلك، اتصلت بمس ويلز تليفونيا.. وبناء على مشورتى فانها غادرت منزلها فجأة فى صبيحة اليوم التالى، ومنذ ذلك الحين وهى تقيم هنا فى هذا الفندق.. والدليل على حكمتى وصواب رأيى هو أن سير تشارلس ذهب الى منطقة (توبنج) فى الليلة التالية عقب عودته من (جيلنج).. لكن فات الأوان... فلقد طار العصفور..

وفى خلال ذلك، ومن وجهة نظره هو، فان الخطة قد سارت سيرا حسنا.

ان مسز دى شبريدجر كان لديها شئ هام لتخبرنا به.. وهكذا قتلت مسز دى روشبريدجر قبل أن تستطيع الكلام.. للصورة الدرامية!.. ما أشبهها بالقصص البوليسية! والمسرحيات.. الأفلام..!

ولكننى أنا.. هيركيول بوارو.. لم أخدع..! لقد قال لى مستر ساترثوايت أنها

قد قتلت حتى لا تتكلم..! ووافقت..! ومضى يقول بأنها قد قتلت حتى لا تستطيع ان تقول لنا ما تعرفه... وقلت أنا.. (أو الذى لا تعرفه). وأظنه قد تحير..!

ولكن كان عليه أن يرى الحقيقة وقتئذ... ان مسز دى روشبريدجر قد قتلت لأنها فى الواقع لم يكن بامكانها أن تقول لنا أى شئ على الاطلاق.. لأنها كانت لا صلة لها بالجريمة.. اذا ما كانت ستكون الورقة الناجحة التى يلعب بها سير تشارلس، فهى لا تعالج لهذا الغرض الا ميتة.. وهكذا فان مسز دى روشبريدجر المرأة المسالمه الغريبة قد قتلت...

ولكن.. حتى فى غمرة هذا الانتصار، فان سير تشارلس قد ارتكب غلطة صبيانية جسيمة.. ان البرقية كانت معنونة لى أنا (هركيول بوارو) على (فندق ريتز)، ولكن مسز دى روشبريدجر لم تسمع أبدا بصلتى بهذه القضية. بل لم يكن هناك أحد فى كل هذا الجزء من العالم يعرف شيئا عن هذا! أنها كانت غلطة صبيانية بصورة لا تصدق!

- حسنا.. اذن فقد وصلت الى مرحلة معينة... اننى عرفت شخيصة القاتل.. ولكننى لم أعرف الدافع على الجريمة الأساسية.. جعلت أفكر واتأمل...

ومرة ثانية وأكثر وضوحا من أى وقت مضى، رأيت موت سير بارتلومير سترينج باعتباره الجريمة الأساسية المدبرة المقصودة...! ما هو السبب الذى يجعل سير تشارلس كارترايت يقتل صديقه..؟ هل يمكننى أن أتصور هذا الدافع؟.. خطر لى باننى أستطيع هذا...

وفى هذه اللحظة سمعت زفرة عميقة.. لقد نهض سير تشارلس ببطء وتقدم الى المدفأة.. ثم وقف هناك، ويده فى خصره، ناظرا من عليائه الى بوارو... كان يتألق نبالة واشمئزاز... كان يمثل الاستقراطى الذى ينظر من عليائه الى الصعلوك التافه...

قال: ان لك خيالا رائعا يا مسيو بوارو... انه لا يستحق أن أقول لا توجد كلمة واحدة حقيقية فى قصتك كلها هذه... أما كيف جرؤت على اختلاق كل هذه الأكاذيب، فهذا مالا أعرفه... لكن استمر.. اننى مشوق..!

ما هو اذن الدافع لى لكى أقتل رجلا أعرفه منذ طفولتى...

تطلع (هركيول بوارو) الرجل المتواضع الى الاستقراطى، وأخذ يتكلم بسرعة.. ولكن بحزم!.

- سير تشارلس.. ان عندنا مثلا فرنسيا يقول (فتش عن المرأة) فى هذا المثل وجدت الدافع الذى أبحث عنه.. اننى رأيتك مع الآنسة لايتون كور.. وكان واضحا تماما انك تحبها.. تحبها بكل المشاعر المشتعلة التى تأتى للرجل فى منتصف العمر.. والتى تذكيها عادة فتاة صغيرة بريئة..!

أنت أحببتها. انها كانت متأثرة باحساس عبادة البطولة. عليك فقط أن تتكلم، فتسقط هى حتما بين ذراعيك! ولكنك لم تتكلم. فما السبب؟

لقد زعمت لصديقك مستر ساترثوايت أنك المحب المتبلد الذى لا يمكنه أن يفهم عواطف محبوبته.. ولقد تظاهرت بأنك ترى أن مس لايتون كور كانت تحب أوليفر ماندرز.. ولكننى أقول لك يا سير تشارلس بأنك رجل مجرب رجل له خبرة كبيرة بالنساء.. لا يمكن أن يخدع من هو مثلك... كنت تعرف معرفة تامة أن مس لايتون كور مغرمة بك..! لماذا اذن لم تتزوجها.. انك كنت تريد ذلك..

السبب هو لابد أنه يكون هناك قصه ما.. ترى ماذا كانت تلك القصة؟ لا يمكن أن تكون الا شيئا واحدا، هو أنه توجد لديك فعلا زوجة.. ولكن لم يتكلم عنك أحد كرجل متزوج.. انك تمر دائما كعازب.. لابد اذن وأن يكون الزواج قد حدث وأنت مازلت فتى يافعا، قبل أن تصبح الممثل المعروف..

وما حدث لزوجتك، اذا كانت لم تزل على قيد الحياة، فلماذا اذن لا يعرف عنها أحد شيئا.. اذا كنت تعيش منفصلا عنها، فالعلاج هو الطلاق.. اذا كانت زوجتك كاثوليكية أو لا توافق على الطلاق، فلابد وأنها ما زالت تعرف كانسانة تعيش منفصلة عنك.

ولكن هناك مأساتان لا يتسامح فيهما القانون.. المرأة التى تزوجتها ربما كانت تمضى عقوبة مؤبدة فى السجن.. أو تكون محجوزة فى

مصحة أمراض عقلية.. فى أى من الحالتين لا يمكن الحصول على الطلاق.. ولو كان هذا حدث وأنت لا تزال فى شبابك، فلن يعرف ذلك أحد...

واذا لم يعرف أى شخص، كان بامكانك أن تتزوج مس لايتون كور دون أخبارها بالحقيقة..

لو كان لنفترض ان شخصا قد عرف.. صديقا يعرفك طول حياتك!. ان سير بارثلومير سترينج كان مسالما مستقيما محترما... وقد يرثى بعمق..! وقد يتعاطف لعلاقة أو حياة غير شرعية... ولكنه لن يقف مكتوف اليدين عندما يراك تجمع بين زوجتين ومع فتاة لا تشك فيك...

اذن يجب أن يزاح سير بارثلومير سترينج من الطريق قبل أن تتزوج مس لايتون كور... ضحك سير تشارلس وقال:

- نعم؟ العجوز الطيب بابنجتون..؟ هل كان يعرف كل هذا أيضا...

- اننى تصورت ذلك فى البداية.. لم ألبث أن وجدت أنه لا يوجد أى دليل يؤيد هذه النظرية.. ونقلا عن هذا فان العقبة الأصلية بقيت..! فحتى لو كنت أنت الذى وضع النيكوتين فى الكأس، فما كنت تستطيع أن تضمن وصوله الى شخص معين..

كانت هذه مشكلتى.. وفجأة، فان كلمة سانحة من مس لايتون كور أنارت أمامى الطريق..

ان السم لم يوضع خصيصا لأجل ستيفان بابنجتون... ولكنه قد وضع لأى واحد آخر من الحاضرين، مع ثلاثة استثناءات.. هؤلاء المستثنون كانوا: مس لايتون كور، والتى كنت حريصا على أن تقدم لها كأسا بريئة انت بنفسك، وسير بارثلومير سترينج الذى تعرفه بأنه لا يشرب الكوكتيل...

وهنا صاح مستر ساترثوايت:

- ولكن هذا لا معنى له!.. ما هى الفائدة منه؟.. لا توجد أية فائدة من ورائه...

فالتفت بوارو اليه.. وخال الزهو صوته وهو يقول:

- آه.. نعم..! بل توجد... أنها مسالة عجيبة.. مسألة عجيبة جدا..! انها المرأة الوحيدة التى أصادف فيها مثل هذا الدافع للقتل.. ان قتل ستيفان بابنجتون لم يكن أكثر ولا أقل من (بروفة)!

- ماذا..؟

- نعم.. ان سير تشارلس كان ممثلا.. كان بطبع غريزته كممثل لقد حاول تجربة جريمته قبل ارتكابها.. وما كان يمكن أن تصل اليه الشبهة.. ان وفاة أى واحد من هؤلاء الناس لن تفيده بشئ على الاطلاق.. وفضلا عن ذلك، وكما تبين، فانه لا يمكن قط اثبات انه قد حاول ان يسم شخصا معينا...

ومن ثم يا أصدقائى، فان (البروفه) سارت سيرا حسنا! ومات مستر بابنجتون، ولم يشك أحد فى وقوع عمل مجاف للاخلاق.. بل انها تركت لسير تشارلس الفرصة لكى يعجل بهذا الشك..! وأنه لشديد السرور لمحاولته اقناعنا بالقتل، ورفضنا نحن أخذ الموضوع بجدية وبصدق.. وأيضا تم استبدال الكأس بلا أدنى صعوبة..!

وكما تعلمون... لقد أخذت الوقائع دورة مختلفة قليلا...! ففى المناسبة الثانية، كان هناك طبيب حاضر، حيث اشتبه فى وجود السم فى الحال وعندئذ كان لمصلحة سير تشارلس أن يؤكد على موت بابنجتون وأن موت سير بارثلومير سترينج يجب أن يفترض أنه نتج عن الميتة الأولى. والانتباه يجب أن تركز على الدافع لجريمة قتل بابنجتون، وليس على أى دافع آخر قد يوجد ازاحة سير بارثلومير سترينج.

ولكن كان هناك شئ واحد فشل سير تشارلس فى ادراكه المراقبة الدقيقة من جانب مس ميلراى.

ان مس ميلراى كانت تعلم أن مخدومها يمارس تجارب كيميائية فى البرج الموجود بالحديقة.. ومس ميلراى كانت تدفع الفواتير لشراء محلول رش الورود، وكانت تعلم أن هناك كمية كبيرة قد اختفت بصورة لا تعليل لها... وعندما قرأت أن مستر بابنجتون قد مات من سم النيكوتين،

فان ذهنها الذكى اتجه على الفور الى نتيجة هى أن سير تشارلس قد استخلص النيكوتين الخالص من محلول رش الأزهار..

ولم تدر مس ميلراى ماذا تفعل.. لأنها كانت تعرف مستر بابنجتون منذ أن كانت فتاة صغيرة وكانت غارقة فى الحب، حبا عميقا ومتفانيا، كأى امرأة دميمة يمكن أن تتدله فى حب مخدوم فاتن..

وفى النهاية قررت أن تدمر جهاز سير تشارلس.. وكان سير تشارلس نفسه شديد الخيلاء لنجاحه، حتى أنه لم يفكر قط أنه من الضرورى أن يفعل ذلك.. وهكذا ذهبت هى الى كورنوول.! وتبعتها أنا.

وللمرة الثانية ضحك سير تشارلس.. وأكثر من أى وقت مضى، بدا سيدا متعاليا، مشمئزا من فأر..

وقال باحتقار: هل بعض الأجهزة الكيمائية القديمة هى كل اثباتاتك..؟

فقال بوارو: لا.. هناك جواز سفرك يشير الى التاريخ الذى رجعت فيه الى انجلترا وغادرتها... وهناك الحقيقة التى تقول أنه يوجد فى مصحة (هرفرتون كونتى) امرأة تدعى: (جلاديس مارى مج... زوجة تشارلس مج...)

وكانت ايج كل هذا الوقت صامتة.. كانت صورة متجمدة.. ولكن لم تلبث أن تحركت... وبدرت منها صرخة صغيرة، كحشرجة..

واستدار اليها سير تشارلس بروعة، قائلا: ايج.. أنك لا تصدقين كلمة واحدة من هذه القصة السخيفة.. هل تصدقين..؟

وضحك.. وكانت يداه ممدودتين:

وسارت ايج الى الأمام ببطء وكأنها منومة تنوميا مغناطيسيا.. راحت تحدق بعينين فيهما استعطاف وكرب فى حبيبها..! قبل أن تصل اليه وقفت مترددة، واسبلت نظرتها التى اتجهت الى هنا وهناك كأنما تلتمس اليقين...

ولم تلبث أن سقطت على ركبتيها أمام بوارو صارخة وتقول:

- هل هذا حقيقى.. هل هذا حقيقى..؟

ووضع بوارو يديه على كتفيها.. بلمسة ثابتة رحيمة... وقال لها:

- انه حقيقى يا آنسة...
ولم يكن هناك أى صوت الا نحيب ايج...
وبدا سير تشارلس وكأنه قد هرم فجأة... لقد كان وجه رجل عجوز.. وجه مخلوق خرافى.. ينظر نظرة نكراء..
وقال: عليك لعنة الله...!
فى كل حياته التمثيلية لم تخرج منه قط مثل هذه الكلمات الكارهة الحاقدة...
ثم استدار خارجا من الحجرة...
وكاد ساترثوايت يثب من مقعده.. لكن بوارو هز رأسه، وما زالت يداه تربتان على كتفى الفتاة المنتحبة برقة...
قال ساترثوايت: أنه سيهرب!...
- لا.. لا أنه فقط سيختار نهايته... البطيئة أمام انظار العالم...! أو السريعة على خشبة المسرح...
وفتح الباب برقة.. ودخل أحدهم.. لقد كان (أوليفر ماندرز)! واختفى منه التعبير المتهكم المعتاد.. بدأ شاحبا.. تعسا..
ومال بوارو الى الفتاة وقال لها بلطف:
- أنظرى يا آنسة.. ها هو صديق، جاء ليصحبك الى المنزل..
ووقفت ايج على قدميها.. ونظرت الى أوليفر مترددة..! ثم خطت خطوة متعثرة نحوه..
- أوليفر..! خذنى الى أمى.. أوه.. خذنى الى أمى..!
فلف ذراعه حولها وجذبها الى ناحية الباب قائلا:
- نعم يا عزيزتى.. سأصحبك الى المنزل.. تعالى...
وكانت قدما ايج ترتجفان حتى لم تكد تقوى على المشى.. فتعاون أوليفر وساترثوايت على توجيه خطواتها... وعند الباب.. تمالكت نفسها.. ورفعت رأسها قائلة: أننى على ما يرام.

وأشار بوارو بيده الى ماندرز ليعود ثانيا الى الحجرة:

قال بوارو: كن رحيما بها...

- سأكون يا سيدى.. انها هى الوحيدة التى تهمنى فى هذا العالم... أنت تعرف ذلك.. ان حبى لها جعلنى مملوءا حرارة ونعمة على الدنيا.. أما الآن.. فسوف أكون مختلفا تماما.. اننى على استعداد للوقوف بجانبها.. وفى يوم ما.. ربما..؟

قال بوارو: أعتقد أنها قد ابتدأت بالاهتمام بك.. عندما جاء فى طريقها وبهرها.. ان لمعان البطولة خطر حقيقى ورهيب على الشباب فى يوم ما ستقع ايج فى غرام صديق وستبنى سعادتها على أساس راسخ كالصخر...

ونظر بعطف خلف الشاب وهو يغادر الحجرة...

وعاد ساترثوايت بعد قليل... وقال:

- مسيو بوارو.. لقد كنت رائعا..! رائعا تماما..

فأبدى بوارو تواضعه، قائلا:

- لا شئ.. لا شئ.. (أنها فقط) فاجعة ذات ثلاثة فصول.. والآن... قد أسدل الستار.

قال مستر ساترثوايت: هل تأذن لى؟..

- نعم هناك بعض النقاط تريدنى أن أفسرها لك؟

- هناك شئ واحد فقط.. هو الذى أريد معرفته.

- اذن.. اسأل..

- لماذا تتكلم فى بعض الأحيان الإنجليزية بإتقان.. وفى بعض الأحيان لا؟

ضحك بوارو.. وراح يقول:

- آه.. اننى سأفسر هذا! حقيقى اننى أستطيع أن أتكلم الإنجليزية الصحيحة البليغة. ولكن يا صديقى، ان التكلم بالانجليزية الركيكة هو خطأ جسيم. أنه يدعو الناس الى احتقارك.. أنهم يقولون أنه (أجنبى)..

انه لا يستطيع حتى أن يتكلم الإنجليزية السليمة.. وليس من شيمتى ازعاج الناس. وبدلا من ذلك.. فاننى أستثيرهم سخرية رقيقة.

وأيضا.. اننى أتباهى: الرجل الانجليزى يقول عادة: (ان الفتّى) الذى يعتقد كثيرا فى نفسه لا يستأهل شيئا... هذه هى وجهة نظر الانجليز.. وهى ليست صحيحة على الإطلاق..

وهكذا، أنت ترى.. اننى أضع الناس بعيدا عن الحراسة..!

ثم أضاف: وفضلا عن هذا.. فانها قد أصبحت عادة..

فقال ساترثوايت: يا آلهى..! تماما.. كخبث الثعبان...

وصمت برهة مفكرا فى القضية.. ثم قال متضايقا:

- أننى أخشى ألا أكون قد لمعت فى هذه القضية..

- بالعكس.. انك ركزت على تلك النقطة الهامة أعنى ملاحظة سير بارثلومير عن ساقى..! وأدركت ملاحظة مس ويلز الذكية... والواقع أنه كان بامكانك حل القضية كلها، لولا اتجاهك كمشاهد للتأثير الدرامى...

بدا ساترثوايت منشرحا...! وفجأة! خطرت بباله فكرة... وهتف:

- يا الهى.. الآن فقط قد أدركتها..! هذا الوغد بكوكتيله المسمم!.. كان من الممكن أن يحتسيه أى أحد.. كان يمكن أن أكون أنا...!

فقال بوارو: بل هناك احتمال أشد فظاعة لم تفكر فيه..

- ما هو؟

فقال بوارو: كان يمكنه أن أكون أنا...!

تمت